

دراسات  
في التاريخ الثقافي

دراسات في التاريخ الثقافي

د. محمود الجبارات

الطبعة الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022.



الآن ناشرون وموزعون

المدير العام: د. باسم الزعبي

الأردن، عمان، شارع الملكة رانيا، مجمع المفلح التجاري (87)، ط 1. هاتف: 797162720.797162720(+962)

alaan.publish@gmail.com

alaanpublishers.com

تصميم الغلاف: م. سجاد العنساوة

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

ISBN:978-9923-13-504-4

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022 /4 /2162)

8 1 3 . 0 3

الجبارات، محمود محمد هملان

دراسات في التاريخ الثقافي / محمود محمد هملان الجبارات. عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2022

ص (206)

ر. إ: 2022 /4 /2162

الواصفات: التاريخ الثقافي/ الدراسات التاريخية// فلسفة التاريخ

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

د. محمود الجبارات

دراسات

في التاريخ الثقافي





إلى والدي...

المحب للعلم والمتعلمين؛ الذي كان ديدنه في كل توجيهاته الأبوية الشفوية والخطية، قول  
الله تعالى:

"وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (التوبة: 105) صدق الله العظيم.



## مقدمة

لا شك عندي ، إن كان لي عند ، أن الكتابة فعل قصدي ناتج عن الشعور بأهمية الموضوع في اللحظة الحاضرة أو الشعور بالتحدي والاستفزاز المعرفي أو الاحساس بتهديد مستقبلي وشيك ، وهي في كل الحالات ، محاولة للتغلب على آفة النسيان .

وعندما تقترب الكتابة من منظور تاريخي تكون ناتجة عن وعي بالبعد التاريخي للحدث والقضايا والموضوعات التي يستدعيها الحاضر ؛ باعتبار أن للتاريخ حضوره فهو الماضي والحاضر والمستقبل في صيرورة مستمرة ومتنامية ومتشابكة ومعقدة التركيب .

كما إن إدراك بعض الموضوعات والإشارات أو الطرائف والالتفات إليها أو استفزازها للباحث هي أولية الوعي على أهميتها ؛ والفكرة تستفز فكرة نقيضة أو استجابة في عملية دينامية حية تتطور خلالها الأفكار ذاتيا أو بأعمال ومنجزات الآخرين ووعيهم وهي عملية جماعية يساهم كل فيها بجهد .

ولقد اتسعت موضوعات التاريخ و أصبحت المعرفة التاريخية ضرورية وهامة في الوعي على الذات والآخر المختلف ، على حد سواء ؛ وشكل التداخل بين التاريخ ومعطيات الحياة المعاصرة وسلوكات الانسان إدراكا تاريخيا ثقافيا يحمل رؤية متعلقة بالقوة ما فتأت تراوح حول محورها الأساس الانسان ومتصلة ب أسلوب حياة الجماعة الإنسانية .

ولعل التاريخ الثقافي للامة يشكل وحدة كلية ، تختلف في جزئياتها وتألف في نهر دافق واحد يشكل التاريخ الثقافي القطري والقومي ؛ والمساهمة في إثارة الوعي بجزئياته يستلزم إستفزازا للوعي لدى الآخرين .

لذلك كله ، ولأغراض أخرى ، جاء هذا الكتاب ؛ نسأل الله - سبحانه - أن يكون نافعا خالصا لوجهه الكريم ؛ وهو - سبحانه - ولي التوفيق والسداد .



## نقوش

### في ذاكرة المكان ومقاربة بين زمانين<sup>(1)</sup>

لا شك أن الطروحات الحالية المتعلقة بتطوير التعليم العام والعالي في الأردن، تشكل للمشتغلين في هذين المجالين، ولكافة المواطنين المهتمين بالمستقبل العلمي والثقافي، والمعنيين باستمرار تطوير مسيرة التعليم في الأردن التي بدأت بذرة وهْيء لها أن تنمو وتكبر وتزدهر وتثمر. ونقبض اليوم على قلوبنا لكي يستمر عطاؤها ويبقى ألقها نبراسًا ملهمًا ودافعًا ومحفزًا للعطاء والإنجاز. وإن تطوّر الأردن واستمرار ازدهاره مرتبط بهذه القيمة والبناء على هذا النهج في الزمان والمكان.

نستذكر صيحة الأكاديمي البارز وأستاذ التاريخ في الجامعة الأردنية الدكتور محمد عدنان البخيت، في ندوة علمية ذات مساء، عن أن التعليم العالي في الأردن بات يحتضر؛ وأن تدارك هذا الوضع بحاجة إلى جهود جادة وواعية وهادفة من الجميع.

ولأننا لا نستطيع أن نتقدّم إلى الأمام؛ دون أن نقيّم تجربتنا السابقة كلّها أو جُلّها، فإن العودة إلى بدايات التعليم العالي في الأردن تغدو ضرورة عملية وعلمية، نقف من خلالها على جوانب هذه التجربة زمانًا ومكانًا، محاولين المقاربة بين زمانين في مكان واحد، وعاكفين على قراءة نقوش ذاكرة المكان، محاولين البحث عن جوهرها الأصيل لصقله وللبناء عليه، ومحتفظين بقدرتنا على إعادة إنتاج الوعي، وشحذ الهمم والعقول، حاملين المشعل مستنيرين به.

---

(1) صحيفة الرأي، أبواب، نقوش في ذاكرة المكان ومقاربة بين زمانين، الخميس 11/4/2013.

## • أقدم معهد للتعليم العالي

كلية عمّان الجامعية التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية حالياً، هي أقدم معهد للتعليم العالي في الأردن، فقد بدأ التدريس فيها كدار للمعلمين في عمّان في العام الدراسي 1950-1951م، بأربعين طالباً على شكل «صف معلمين واحد» انتظم للدراسة أولاً في كلية الحسين، ثم انتقل إلى مبنى الكلية الحالي، وقد تخرج فوجها الأول ذو الأربعين طالباً بعد عامين من الدراسة حاصلين على درجة الدبلوم.

وقد استمرت الدار بهذه الصيغة حتى عام 1965م عندما تحوّلت إلى معهد للمعلمين، وذكر المربيّ القدير د. سعيد التل أن تغيير التسمية تم بسبب الرغبة في إضافة برامج جديدة لدور المعلمين، واستيعاب التحوّل في البرامج الأكاديمية الجديدة مثل: المحاسبة، الإدارة، والسكرتارية.

واستمرت الحال كذلك حتى عام 1979 - 1980م، عندما قام أعضاء هيئة تدريس من المعهد بزيارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاطلاع على تجربة كليات المجتمع فيها، وقد اقتبست وزارة التربية والتعليم آنذاك التجربة الأمريكية، وتم تحويل جميع معاهد المعلمين إلى كليات مجتمع.

## • كلية جامعية تابعة لجامعة البلقاء التطبيقية

ثم حوّلت كلية مجتمع عمان إلى كلية جامعية تابعة لجامعة البلقاء التطبيقية في العام 1997م، وأصبح المعهد أو كلية المجتمع الذي كان يمنح درجة الدبلوم بعد عامين من الدراسة الأكاديمية والتدريب العملي بعد الثانوية العامة، أصبح يمنح إضافة إليها، درجة البكالوريوس في تخصصات أربعة، ودرجة الماجستير في تخصصين ربما يزدادان إلى خمسة تخصصات في وقت قريب، بحسب ما ذكر عميد الكلية د. هيثم الشبلي، الإداري القدير وخبير جودة التعليم العالي على مستوى الوطن العربي.

كانت دار المعلمين في عمّان قد سبقت زماناً ومكاناً وتجهيزات فنيّة ومكتبة عامرة، إنشاء الجامعة الأردنية باثني عشر عاماً، والذين درّسوا في الدار أو تعلّموا فيها يقولون: إن مكتبة الدار كانت أكثر غنيّاً وتنوعاً وتنظيماً من مكتبة الجامعة الأردنية حتى أواسط الستينيات، وقد كانت ميزة الدار مرتبطة بتركيزها على التعليم الأكاديمي المتنوع والمتداخل (تخصصات علمية وأدبية)، والتدريب العملي داخل الدار وخارجها في مدارس ووزارة التربية والتعليم.

### ● محددات للمحافظة على جودة التعليم العالي

ولعلّ أبرز ملامح تجربة الدار تتركز حول مجموعة من المحددات التي كانت ولا تزال ضرورية للمحافظة على جودة التعليم العالي. أولها: طريقة اختيار الطلبة الحاصلين على المترك أو الثانوية العامة لاستكمال دراستهم العليا، وأهمها المعدّل ثم مقابلات للمتقدّمين تجري في مديريات التربية والتعليم في المحافظات وامتحانات نظريّة، ثم مقابلة في الوزارة. وثانيها أن التعليم والإقامة في الدار مجانيان وإجباريان، ما أتاح للأساتذة أن يعيدوا إنتاج ثقافة وسلوك الطالب في هذه الدار على أسس علمية ومنهجية ومسلكية جديدة تؤثر في المحيط، ولا تكون انعكاساً له.

وقد ذكر المربّي الفاضل الأستاذ تيسير الدويك أحد الذين تعلّموا في الدار، أن التعلّم في الدار كان «صناعة» وأن كل شيء مهياً للطالب لكي يتشرّب المعارف والسلوكات عملياً، وليس من خلال التلقين، وكان نمط الحياة الموحد يذوّب الفروقات وتشكّل وحدة وطنية تذوب فيها الاختلافات في الأصول الجغرافية، والثقافية والسياسية، رغم تنوعها وتصارعها أحياناً.

وكان الوقت مخصّصاً للتعليم، وإشغال الطلبة في مجالات الدراسة والتحصيل العلمي واجتياز الامتحانات والأبحاث والتقارير والتدريب الميداني، وكان الحوار أساساً في عملية التعلّم حتى إن بعض الطلبة كانوا ينزعجون من مساحة الحوار، وقد نعتوا أحد أبرز

الأساتذة فيها بأنه لا يقوم بالتدريس بل بإدارة الحوار وأنه «كسول»، وكل ذلك يتم بصورة مقصودة ومبرمجة من خلال المناهج والعيش المشترك والإقامة بصحبة الأساتذة وقيادتهم.

وبلغت النظر ثالثاً: النشاطات اللامنهجية التي كانت تجري في الدار وأبرزها: المحاضرات الثقافية والعامّة التي كانت تُنظَّم فيها، والإذاعة التي كانت تقدّم برامج عديدة منها ما كان ناقداً لما يجري داخل الدار وخارجها، ومنها ما هو ترفيهي، وقد ذكر الأستاذ تيسير الدويك أنّ أحد البرامج كان معنياً بتقليد من يزور الدار، وكان هناك «مقلّدي» يقلّد الشخصيات وتصرفاتها وطريقة حديثها، كما كان هناك برنامج مميز اسمه: «سر الهبرة في طبق الخضرة» مكرّس لتسليط الضوء على الطعام المقدّم للطلبة. ثم الاحتفالات في المناسبات الوطنيّة والدينيّة، ومحاضرات لأصحاب الكفاءات العلميّة من الأردن أو الزائرين له خلال تلك الفترة.

### • مجلّة القلم

كما كانت هناك مجلّة داخلية للدار عرفت بـ«مجلّة القلم» يحرّرها الطلبة في نحو خمس وثلاثين صفحة، ومسرحيات عديدة، ورحلات داخلية متنوّعة يكتب خلالها أو قبلها أو بعدها الطلبة تقريراً عن المكان، ثم مخيّمات في أماكن محدّدة يدرس خلالها الطلبة المنطقة من كافة النواحي، ويقدمون دراسة للدار تتضمّن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والزراعية، ومعوّقات التنمية في المنطقة. إضافة إلى اهتمام الأساتذة بإشغال الطلبة بالأشغال اليدويّة والرسم والتخطيط وأشغال المنجرة والصناعات الخشبيّة، واستخدام مختبرات الكيمياء والفيزياء.

ورابعها الإدارة التربوية الحازمة المنتجة لمفهوم القدوة، التي كانت تتمتع بالاستقامة، فقد كانت إدارة أول مدير للدار وهو المرحوم عبد الحميد ياسين حازمة مع الطلبة والأساتذة، وصارمة في تحديد الأهداف والأولويات. وقد رفض مدير الدار عام 1957م

انتظار بدء الحفل عشر دقائق لحين قدوم راعي حفل الدار، وزير التربية والتعليم آنذاك، وكانت أولوياته مرتبطة بتنظيم عمل جميع الأساتذة والطلبة والموظفين، دون أن يُخلَّ ببرنامج عمله، وإن كان لصالح مسؤوله الأعلى المباشر. كل ذلك في أداء متناغم ومنضبط وقتاً وأداءً، فيه مساحة من الديمقراطية، والجميع منضبط بقواعد محددة لا يحيد عنها أحد إدارةً وأساتذةً وطلبةً، واتحاد طلبة.

### • كسوف للديمقراطية

وقد وصف الطلبة معاقبة طالب لرفضه الأكل، بسبب تكرار نوع معيّن منه: بأنها «كسوف للديمقراطية». وعندما قرّر المدير تحويل خلاف بين المربي الفاضل، الأستاذ علي الغول، ومجموعة من الطلبة، حرمهم من مغادرة الدار إلى وسط البلد في عمّان ذات يوم خميس، وهو يوم إجازتهم، بسبب مخالفة ارتكبتها الطلبة، وحوّل الخلاف إلى اتحاد الطلبة، ونظر الاتحاد في الخلاف والتقى الطرفان، وأقرّ اتحاد الطلبة قرار المدرّس، وتنفيذ حرمان الطلبة المعنيين من مغادرة الدار في ذلك اليوم.

وكانت هناك تجربة لإشراك الطالب في إدارة الدار في مختلف المجالات بدءاً من الجرساتي، إدارة المطبخ، الإشراف على الطاولات، النشاطات العامة والثقافية، وزراعة الأشجار والتدريس تحت إشراف أساتذتهم، وتحضير الوسائل التعليمية، وهذا غيض من فيض وللحديث صلة.

## الحوثيون في اليمن: بين الاجتهاد الديني والممارسة السياسية

تعتبر الأزمة اليمنية (2011-2017) من أهم الأزمات الدولية التي واجهت النظام الإقليمي العربي، والعالم الإسلامي المعاصر في بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، ولا تزال تُشكل أزمة دولية وإقليمية تُهدد السلم والأمن الدوليين في المنطقة؛ ومن خلالهما في العالم؛ على ضوء ما أحدثته من استقطاب إقليمي ودولي. وظهرت المنافسة السياسية ثم المواجهة العسكرية اللاحقة في اليمن متسلحة بالآراء والدعاوى السياسية في البداية، ثم اتخذت هذه الخلافات بُعداً مذهبياً دينياً؛ تحاول من خلاله الأطراف السياسية والإقليمية تغذية هذا الصراع والاستمرار فيه لتحقيق أغراض سياسية.

وكان للمذهب الزيدي دور هام في إذكاء المعارضة السياسية في البداية، ثم في استمرار الصراع العسكري للوصول إلى السلطة (الدولة)؛ والاستيلاء عليها، والاستعانة بدول أخرى لتحقيق أهدافه السياسية والبقاء على رأس السلطة (الدولة). ولما كان للمذهب الزيدي تجربة تاريخية طويلة في اليمن، وكان له دور في إنشاء دول يمنية مختلفة، وكانت له مواقف من الدولة الإسلامية المركزية، ومن الدول الإسلامية الأخرى في اليمن؛ ولأن دراسة تاريخ الإمامة الزيدية لا يزال مجالاً بكرًا؛ فقد أثرت عدة تساؤلات حول الاجتهادات المذهبية الدينية، والممارسات السياسية لهذا المذهب في اليمن.

ورغم أهمية الدراسات السابقة التي تناولت الفرقة الزيدية والمذهب الزيدي والحركة الحوثية باعتبار الأخيرة امتداداً وتطوراً فكرياً وسياسياً لهما؛ والدراسات التي أشارت إلى

علاقات وارتباطات الحركة الحوثية على المستوى الاجتهادي والمستوى السياسي؛ فإن أيًا من هذه الدراسات لم تذهب لاستقراء التجربة التاريخية للفرقة الزيدية أو المذهب الزيدي في الحكم على شكل معارضة سياسية لنظام سياسي قائم، أو على أداء أتباعها عند وصولهم إلى السلطة، وتأسيس دولهم المختلفة في اليمن.

### • الزيدية

هي فرقة إسلامية تُنسب إلى زيد بن علي، زين العابدين (ت: 122هـ/ 739م)، وتقول بإمامته؛ واستطاعت الفرقة أن تؤسس دولتها الأولى في المغرب الأقصى، ثم أسست دولة زيدية في طبرستان وبلاد الديلم في بلاد فارس؛ وأُطلق مصطلح الدولة الزيدية على السلطة التي أسسها الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت: 298هـ/ 910م) في اليمن؛ وساهم في نشأتها ضعف سيطرة الدولة العباسية على الأطراف من جهة، وضعف وتمزق واقتتال القبائل الخولانية اليمنية من جهة أخرى، مما دفع القبائل لاستدعاء الإمام، كما ساهم الكثير من الطبريين (زيدية خراسان) الذين عرفوا الإمام خلال زيارته لطبرستان، وقدموا إلى اليمن؛ بعد خروجه للإمامة وكانوا أكثر حماسًا من اليمنيين لترسيخ المذهب الزيدي. وتُعدّ الزيدية إحدى فرق الشيعة من حيث الأصل، وتتميز بإيمانها المطلق بفكرة الخروج على أئمة الجور؛ وتخالف الشيعة الإمامية في العمل؛ كما عرفت الزيدية تاريخيًا كمذهب بأنها جزء لا يتجزأ من مدرسة المتكلمين، وبعيدة عن منهج الشيعة الإمامية، ولم تخرج إجمالاً على منهج جمهور العلماء السُّنة، ورغم افتراق الزيدية إلى فرق عدة؛ إلا أن الأفكار السياسية للفرق الزيدية الرئيسية الثلاث (الجارودية، الصالحية، السليمانية)؛ شكلت أسس البناء الفكري والحركي عند الزيدية في اليمن.

طورت الزيدية نظريتها الفقهية والسياسية، ومثلت أفكارها المرجعية الفكرية لعملية التجديد الحديث والمعاصر في فكر الإمامة عند زيدية اليمن؛ ولوحظ أن نقاط التقارب

والالتقاء بين الاجتهادين الزيدي والسني أكثر من نقاط التباعد، وأن المسائل المختلف عليها لا تمس جوهر العقيدة الإسلامية.

وقد حكمت الزيدية اليمن نحو ألف سنة؛ رغم أنهم لا ينتمون جغرافياً وتاريخياً لأي قبيلة يمنية؛ ولكن يبدو أن الترابط القوي الذي نشأ بين المذهب الزيدي والنظام القبلي اليمني قد أسهم في خلق شوكة عصبية لنظام حكمهم من خلال التوازن القبلي الذي أوجدوه في هذه المنطقة الجغرافية، وتطور الفكر السياسي الزيدي المعارض؛ ثم تحول المذهب إلى سلطة حاكمة. وتميزت الزيدية بالإمامة وسلطة الإمام الذي يستمد مكانته من نصوص وقواعد المذهب الزيدي.

#### • الزيدية المعاصرة (1265هـ / 1849م - 1336هـ / 1918م)

بدأت التجربة الزيدية المعاصرة متناغمة مع التطورات السياسية في المنطقة؛ فقد استعان السادة الأئمة بالعثمانيين على إمامهم فدعواهم إلى صنعاء عام 1872م، وبذلك وطد العثمانيون أقدامهم في أعالي هضبة اليمن لمدة قصيرة؛ ثم استمرت الحروب بينهما سجالاتاً.

وكان التوزيع الجغرافي للسكان، في اليمن مذهبياً كما يلي: صنعاء وأطرافها زيدية ينقسمون إلى قسمين متعصبين ومعتدلين، والحديدة شافعية، وتعز حنبلية وشافعية؛ وهناك إشارة ذات معنى أن الزيديين كانوا - من وجهة نظر العثمانيين على الأقل - منقسمين إلى متعصبين ومعتدلين.

وكانت اليمن تعاني خلال هذه الفترة من الفوضى وتعدد القوى المحلية وتصارعها بزعامة أربعة من الأئمة، إضافة إلى صراع الأئمة مع العثمانيين؛ إلى أن تلاشت سيطرة الأئمة الثلاثة الأوائل، وبقي الإمام شرف الدين إلى أن توفي، وكان قد أوصى باستدعاء محمد بن يحيى حميد الدين (ت: 1322هـ / 1904م) أبرز علماء صنعاء، وأنقضهم للقيام للإمامة ومبايعته إماماً، وتمت مبايعته؛ واستغل الإمام كراهية اليمنيين للأتراك، وبثَّ

العلماء والمرشدين في القبائل اليمنية الشمالية للدعوة إلى مباينة الأتراك وموالاته الإمام، وحكم أربعة عشر عامًا منزويًا في شمال صنعاء، قضاها بين أشياعه من القبائل الزيدية في شهارة وقفلة وعدر والسودة.

ويُفهم من المصادر المعاصرة لتاريخ اليمن خلال هذه المرحلة ما يلي:

أولاً: الإمام الزيدي محمد بن يحيى حميد الدين (1307-1322هـ/ 1889-1904م) الذي خرج لتولي الإمامة بعد وفاة الإمام الهادي شرف الدين (1307هـ/ 1889م) وقاد المقاومة اليمنية ضد العثمانيين، جهز قبيلتي حاشد وبكيل والقبائل الأخرى التي طلبت ذلك ضمن تحالف عربي؛ وزودهم بالمقاتلين والطعام والريالات والكساء، ونظم جهادهم ضد العثمانيين باعتبارهم عجمًا.

ثانيًا: إن الإمام احتفظ بحق جباية الزكاة دون سائر القبائل ومشايخها، وحارب من امتنع عن دفعها، أو جباها لنفسه.

ثالثًا: إن الإمام لم يُظهر أي تعصب مذهبي وحاول الاتصال بجميع القوى اليمنية ومن ضمنها بني إسماعيل «الباطنية الإسماعيلية» في حراز وطلب منهم الطاعة والامثال، والسادة من بيت الوزير وبيت المتوكل وبيت شرف الدين والسادة الشوافع، ومشايخ القبائل وعقالها ومشايخ العُزلات والنواحي، ثم المُلّاك والتجار والفلاحون والصناع الحرفيون والقشامون الذين يقومون بزراعة المحاصيل.

رابعًا: إن الإمام حافظ على علاقة طيبة مع علماء الشافعية في زبيد، ولم يُشهر في من سائر العثمانيين منهم وأجرى لهم العثمانيون جريات شهرية.

خامسًا: إن الإمام كان في نظر أتباعه معصومًا، وقد أفتى بقتل المُضر المعارض دون استتابة خلافًا لاجتهاد أهل السُّنة.

واجه العثمانيون ثورات متعددة بزعامة الأئمة من بيت حميد الدين، وأعلن الإمام يحيى حميد الدين إمامته مقرونة بخبر وفاة والده الإمام المنصور يوم الجمعة 11 ربيع الأول

1322هـ/ 6 حزيران 1904م؛ وكان ابنه الوحيد بحسب الشروط المعتمدة عند الزيدية، ورغم علو مكانته العلمية اختلف في أهليته للإمامة بدعوى العيب والنقص؛ «فقد كان في غاية البخل والشح»، ولهذا اختلف العلماء في بادئ الأمر حول إمامته؛ لكن الإمام يحيى كان قد عهد إلى الشيخ ناصر الأحمر، زعيم قبيلة حاشد التي يعيش الإمام والعلماء في كنفها وتحت حمايتها، وأعطاه مبلغاً من المال ليحسم الأمر حينما يرى أن الكفة قد رجحت لخصمه، كما أنه لم يتولَّ الإمامة إلا بأمر من والده الإمام المنصور بالله، وهذا مخالف لشروط تولي الإمامة عند الزيدية، وتوجب الخروج على إمام الوراثة، وحسم الإمام يحيى الخلاف عسكرياً، ومن خلال تهويل خطر العثمانيين العجم باعتبارهم العدو الأولي بالمجاهدة، وضرورة توحيد الجهود لجهادهم.

ويبدو أن الإمام يحيى وصل إلى الحكم عن طريق القوة وجمع بين السلطتين الزمنية والدينية، وخاض الإمام يحيى حروباً متواصلة ضد العثمانيين بعد أن وضع نظاماً للجيش، «فالجنود هم الجناح والسيف والرمح لدولة الإمام».

ومارست القوات الإمامية، التي عُرفت بالمجاهدين؛ نهب وإحراق القرى المعارضة التي وصفت أحيانا كثيرة بـ «الشوافع». ومارست قوات الإمام يحيى نهب القرى والمدن الزيدية كذلك؛ رغم أنها فتحت أبوابها لجيش الإمام معتزة به كجيش يكافح لتحرير اليمن من السلطة العثمانية، ولم يُعَوِّض الإمام الأهالي عن المنتهبات.

حاول الإمام، بعد أن قويت شوكته، استقطاب القوى المحلية في المناطق الشافعية، شافعية كانت أم صوفية، وفي لواء تعز خاصة، عن طريق إبقاء السلطة بيدها، وإسناد بعض الأعمال الإدارية والقضائية إليهم.

وبالمقابل حاول الإمام يحيى مهادنة أو التحالف مع الإسماعيلية في حراز للتفرغ لقتال العثمانيين الأتراك، وأغرى بالمال والمؤونة حاكم عسير والمخالف السليماني.

ورغم ما ألحق حصار الإمام يحيى لصنعاء عام 1904م وما بعده من أضرار بالغة بالاقتصاد في المدينة وجوارها، إلا أن الإمام يحيى أبقى على المسؤولين الإداريين السابقين على عهده في أماكنهم.

انتهى الصراع العسكري بين الإمام يحيى والعثمانيين بتوقيع صلح دعان عام 1911م، ولم يكن الصلح استجابة لدعوات رواد الإصلاح العرب في الدولة العثمانية، الذين طالبوا بحكم لا مركزي ضمن إطار الدولة العثمانية؛ ولم يطالبوا بالانفصال عن الدولة العثمانية، بل كان الإمام يحيى يهدف منه إلى البدء بالحصول على استقلال شامل عن الدولة العثمانية، ولكن على مراحل.

وأتاح صلح دعان للإمام يحيى أن يعقد أول اتفاقية مع دولة تعترف به حاكماً مستقلاً في اليمن، وأفاد من هذا الصلح في أن يتفرغ لإعادة إحياء المذهب الزيدي؛ وساعده على ذلك الاعتراف به حاكماً وقاضياً لمختلف المذاهب ومطبّقاً للشريعة في مناطقه، كما وفر الصلح الجهد والمال على الدولة العثمانية وعلى الإمام، بينما ألغت الدولة العثمانية بموجب الصلح الضرائب المستحقة لها على المناطق الزيدية، وضمنت انحياز الإمام للدولة العثمانية ضد القوى الأجنبية، ورفض الإمام دعوات عدة لنقض الصلح مع العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى، في الوقت الذي عانى فيه اليمن كباقى دول الجزيرة العربية، من عدم وجود حدود واضحة بينه وبين الدول المجاورة؛ واتساع هذه الحدود وتقلصها تبعاً للقوى الموجودة الفاعلة وللظروف المستجدة.

وأصبح اليمن مجزأً إلى أربع مناطق ذات سلطات مختلفة هي: مناطق يحكمها الإمام تمتد من حدود عمران إلى صعدة، ومناطق فيها سيطرة مشتركة بين الإمام والعثمانيين تمتد من عمران إلى سُمارَة، وثالثة خالصة للعثمانيين من سمارَة إلى الراهدة، ومنطقة تهامة تحت حكم الإدريسي، واستطاع الإمام يحيى أن يحقق بعض النجاحات الداخلية في مناطقه في مجالات الإدارة والقضاء وتطبيق الشريعة.

اهتمت الدولة العثمانية بمجاراة المذهب الزيدي بعد ذلك؛ وأسس الوالي العثماني حسين حلمي باشا في صنعاء دارًا للمعلمين، فجرى تعيين علماء زيديين للتدريس فيها وفق مذهبهم، وأجريت إصلاحات على الطرق والضرائب والجمارك، وتأسست بعض الشركات. ومع ذلك بقيت منظومة الاحتكارات الاقتصادية تحت إشراف دقيق للإمام يحيى ثم الإمام أحمد بعده، وكان الاحتكار المتنامي للتجارة قد حد من النفوذ السياسي للنخب التقليدية؛ وأثر في نفوذها الاقتصادي من جهة، وكان على حساب الحياة الاقتصادية للمدن من جهة أخرى.

وواصل الأئمة عاداتهم بالاحتفال في يوم 22 ذي الحجة بذكرى حديث الغدير؛ وكان الأئمة يحتفلون به لهدف سياسي وليس دينيا، وكان الإمام يحيى حينما يخرج لحضور الاحتفال يقول عن هذا اليوم «إنه يوم صقل الخلافة».

#### ● المملكة المتوكلية اليمينية (1336هـ / 1918م – 1382هـ / 1962م)

خلال وبعد الحرب العالمية الأولى؛ عمل الإمام يحيى على توسيع نفوذه السياسي والإداري في المناطق اليمينية التي لم تخضع لسلطاته من قبل، وتمكن من إخضاعها لحكمه، وأقام أول مملكة يمنية تشمل الشمال الزيدي، والقسم الشني (الشافعي والحنفي) الذي شكل في ما بعد الشطر الشمالي، وحافظ على وحدة اليمن الطبيعية من التمزق بعد أن كان في اليمن نحو مائة إمارة ومشيخة وسلطنة.

اتسم حكم الإمام يحيى بعد رحيل العثمانيين بالانفراد مع أفراد أسرته بالحكم؛ بالنظر إلى زيادة عدد المتطلعين والطامحين من السادة الفاطميين بالسلطة والإمامة؛ وكانوا يرون أنهم الأحق بها والأقدر على مسؤولياتها والأكمل في توافر شروطها، وأفاد الإمام يحيى من اطلاعه على تاريخ صراع الأئمة على الحكم؛ وتمثلت خطته في إحكام السيطرة على السلطة؛ وتحويل الدولة اليمينية الإسلامية إلى مملكة متوكلية يمنية عام (1342هـ / 1924م). وكان مغزى ذلك أنه أصبح ملكًا على اليمن بقسميه الزيدي

والشافعي، وتأكيداً على تخليه عن أسس الاجتهاد الزيدي التي أصبحت تهديداً لسلطاته فكرياً وسياسياً، وسعيًا لتأهيل كادر قضائي وإداري واستشاري من خارج الأسرة الفاطمية لخلق تنافس بين الفئتين وتأهيل كادر لا ينافسه على الحكم.

وكان خطأ الإمام يحيى السياسي قد تمثّل في عزل اليمن سياسياً واجتماعياً وثقافياً، عن المحيط الإقليمي المتطور نسبياً، وتجاهله للقوى الاجتماعية والسياسية الداخلية بما فيها الفاطمية، واحتكاره للسلطة، وخالف على المستوى الفكري واحداً من أسس الإمامة في الاجتهاد الزيدي بتعيين السيف أحمد (1895-1962م) ولياً للعهد خلال حياته؛ ومثل ذلك تطوراً فكرياً وسياسياً هاماً؛ ومخالفة لأسس الإمامة التي استمد منها شرعية الحكم، الإمامة التي كانت قائمة في اليمن مدة تزيد على ألف سنة، وأكد مبدأ وراثة الإمامة، وخلق ذلك تدمراً داخل أسرة الإمام نفسها؛ مما أدى لانضمام أحد أبنائه للمعارضة لاحقاً، وشجع أسرة آل الوزير الفاطمية للتعاون مع قوى المعارضة السياسية التي قامت بالثورة ضده، وتمت مبايعة عبد الله بن احمد الوزير (ت: 1367هـ / 1948م) إماماً شرعياً شورياً دستورياً لليمن. ومع ذلك أخذت البيعة بالإمامة لعبد الله بن الوزير من بعض القبائل والعقال دون تفويض من ابن الوزير نفسه، وربما دون علمه، ولُقب بأمر المؤمنين الهادي، وأصبح إبراهيم بن الإمام يحيى رئيساً لمجلس الشورى في حكومة الوزير، وكانت معظم المناصب لأسر تقليدية دعمت الانقلاب.

ولم تكن الثورة التي وصفت بالدستورية عام 1948م بزعامة الإمام الوزير، بحسب القائمين عليها، إلا محاولة لتجاوز الإمامة والتخلص من إمام مستبد منغلق متحجر العقلية؛ ونصب إمام تتوفر فيه قابلية التطور والخروج من العزلة المضروبة على اليمن. وكانت إحدى طروحات قادتها آنذاك إنشاء مجلس سيادة أو مجلس إمامة؛ على أن يتحلّى الإمام بشروط الإمامة المعتمدة في المذهب الزيدي، وأن تكون له شعبية ووجاهة لدى القبائل الشمالية.

وقد مثلت الإمامة الإطار الفكري واللبنة الأساسية للبناء السياسي للدولة عند آل الوزير؛ وتمكنوا من خلال صياغة الميثاق المقدس، كدستور للثورة، من الإبقاء على شكل النظام السياسي اليمني القائم على الإمامة، من جهة، والقضاء على حكم أسرة حميد الدين الجائر، من وجهة نظرهم، من جهة أخرى؛ ثم تطور فكرهم لاحقاً إلى المناداة بدولة إسلامية شوروية ربانية مع الحفاظ على المسار الفكري للزيدية من خلال التمسك بالإمامة العادلة، وتقديم رؤية اجتهادية إسلامية يمكن أن تقنع الأطراف الإسلامية الأخرى في اليمن، وخاصة الشافعية، قائمة على أن الإمامة مصطلح لغوي الأصل ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وليس مصطلحاً مخصوصاً ومقتصرًا على الزيدية؛ وقدمت هذه الآراء في محاولة للتوافق مع الظروف السياسية المستجدة بعد الثورة.

ويلاحظ أن الاتهام بالتعصب السياسي والمذهبي قد برز، بصورة واضحة لدى الأوساط السياسية اليمنية، بُعيد الثورة الدستورية، وخاصة بين سياسيين الذين تبادلوا الاتهامات بالولاء للسنة والشيعة والشافعية والزيدية.

وعندما تلقى ابن الإمام يحيى وولي عهده أحمد بن يحيى، الذي أخذ له والده البيعة عام 1937م، دون أن يمتلك كامل شروط الإمامة، تلقى برقية من عبد الله الوزير يطلب إليه الدخول في الطاعة. أدرك أحمد أن الوزير كان ضالعا في اغتيال أبيه؛ فأرسل له برقية جاء فيها «من أمير المؤمنين المؤيد بالله الناصر أحمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى، إلى الناكث الذليل الحقيير عبد الله الوزير: لقد ركبت مركبا صعبا عن طريق الغدر والخيانة.. واني زاحف إليك بأنصار الله»، وأعلن نفسه إماما، وأصبح هناك إمامان؛ أحدهما بايعته أغلبية من العلماء في صنعاء، والثاني كان وارثاً للحكم في حجة. واستعدا للمواجهة العسكرية، وازداد عدد القبائل المؤيدة للإمام أحمد والدعم الإقليمي له باضطراد، فحسم الأمر لصالحه عسكرياً. ويلاحظ أن الإمام أحمد استند في حكمه إلى تعزيز دور القبائل والسماح لها بنهب صنعاء، ثم الانفراد بالسلطة والاستخدام المفرط للقوة والبطش

بالمعارضين سياسياً عن طريق القتل والاعتقال والسجن والنفي للجميع، بما فيهم أخوة الإمام وأبنائهم.

وعند صياغة نص البيعة لولي العهد الإمام البدر محمد بن الإمام أحمد في أيار 1954م، لوحظ أن البيعة كانت خارجة على شروط المذهب الزيدي، لكنها تضمنت التأسّي المعهود عندهم بما عهد به الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعلي بن أبي طالب في غدِير خم، في أحقيته بالخلافة، وجنحت لتوريث الإمامة رغم توقف العمل بها.

### ● الجمهورية العربية اليمنية (1382هـ / 1962م - 1412هـ / 1991م)

ألغت حكومة ثورة 1962م الاحتفال بيوم الغدير، باعتباره كان جزءاً من توطيد حكم الأئمة كحق إلهي وميراث شرعي واستغلالاً لمكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في تدعيم حكم فاسد أو حاكم ظالم.

وشجعت القوات المصرية، المُشاركة في الحرب اليمنية إلى جانب قوات الجمهوريين، النعرة الطائفية في اليمن، وقد كانت الأوضاع مهیأة، بسبب الأثرة والتسلط للطائفة الزيدية على أبناء الطائفة الشافعية، خلال عهد الأئمة، بينما أصبح أبناء المناطق الجنوبية الأوفر حظاً في المناصب الحكومية بعد الثورة بحكم تعليمهم وكفائتهم، وكانت أغلب المناطق الشمالية غير موالية للجمهورية، وفرّ الأكفاء من أبنائها خارج البلاد.

في العام 1967، وخلال الحرب بين أنصار الجمهورية بدعم من مصر وأنصار الإمامة الذين عرفوا بالملكيين بدعم من الأردن والسعودية، حاصرت قوات الإمامة العاصمة صنعاء سبعين يوماً، واعتبر فشل الحصار بداية النهاية لنظام الإمامة في اليمن، وانتقلت بعض القيادات الزيدية المعارضة إلى الأردن والسعودية وسواهما.

وبقي المذهب الزيدي في السلطة خلال الحكم الجمهوري من خلال المشاركة في السلطة التنفيذية، وساهم التسامح الذي تبناه النظام السياسي اليمني في تبادل المواقع بين

المذهب الزيدي والمذهب الشافعي، وسجلت الكثير من الانتقالات بين المذهبين على شكل قناعات بالاجتهادات الفقهية وليس السياسية.

### • تأثير الثورة الإيرانية

بعد إعلان نجاح الثورة الإيرانية عام 1979م، جرت تظاهرات مؤيدة لها في صعدة معقل الزيدية، وشكلت استفزازًا للحكومة التي قامت بحملة اعتقالات. ولم يبدأ أول تحرك مدرّوس ومنظم للمذهب الزيدي سوى عام 1986م حين أنشأ العلامة صلاح أحمد فليته (1935 - 17 أيار 2008م) تنظيم «اتحاد الشباب الزيدي»، وكان محمد بدر الدين الحوثي والد عبد الملك الحوثي، يُدرّس خلاله مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها، وبدأ تشكيل نواة دينية لتدريس أبناء الطائفة الزيدية أمور الدين والعقيدة والفقه، وساعده في ذلك عدد من الشباب على رأسهم يحيى سالم عزان. وفي عام 1988 ازداد نشاطهم بانضمام علماء عادوا من السعودية إلى اليمن، منهم العلامة مجد الدين المؤيدي (ت: 2007/9/18) وبدر الدين الحوثي (ت: 25 تشرين الثاني 2010).

مع قيام الوحدة اليمنية 1990 التي أحدثت انفتاحاً سياسياً وسمحت بالتعددية السياسية والفكرية، بادر أتباع المذهب الزيدي إلى إنشاء عدة أحزاب منها: حزب اتحاد القوى الثورية الإسلامية أو حزب الثورة الإسلامية، وحزب العمل والتوحيد الإسلامي (حزب للسادة آل الوزير)، واتحاد القوى الشعبية اليمنية (حزب للسادة آل الوزير)، وحزب الله، وحزب الحق، وفي حين تلاشت الأحزاب الأربعة الأولى، فإن الحزب الأخير بقي وتحول إلى مشروع حزب سياسي زيدي خالص له قيادة ومرجعية رمزية مؤلفة من (32) شخصية تمثل الطائفة الزيدية؛ ويعطي للزيديين وسيلة للتعبير السياسي. وبحسب تعبير الأمين العام العلامة أحمد الشامي: «لإيجاد توازن فكري سياسي منظم يُعبر عن وجهة نظر إسلامية أخرى»، وأعلن صراحة أنه يتبنى الفكر الزيدي الفقهي والسياسي، والدفاع عن هذا الفكر باعتباره فكرًا إسلاميًا لا يمكن التخلي عنه، ولأنه ثانيًا جزء من تاريخ اليمن وعقيدته لا

يمكن سلخه منها، ورغم أن الحزب أصدر بيانه الشرعي الأول عام 1990م وأعلن فيه التخلي عن الإمامة كإطار فكري وسياسي لنشاط الحزب، واعتبرها صيغة بشرية كانت لها مبرراتها في الماضي؛ ولم يبق لها مكان في حاضر اليمن؛ وأن معيار اختيار الحاكم اليوم هو التقوى، وأن الأمة مصدر السلطات، إلا أنه تبنى الدفاع عن الفكر الزيدي السياسي في مواجهة التيار السني؛ وكان جميع الموقعين على البيان الشرعي من علماء صنعاء، ولم يوقع علماء صعدة على البيان لأنهم يبنون رؤيتهم السياسية والعقائدية على نظرية البطنين الزيدية الهادوية. ونتيجة للتطورات الدولية؛ حرب الخليج الثانية والمقاومة اللبنانية، ازداد التباعد بين التيار الزيدي العام والتيار الحوثي، وقد نجح الحوثيون في استقطاب أغلب المذهب الزيدي وآل البيت الهاشميين في اليمن.

وأصدر الحزب صحيفته «صحيفة الأمة» وهي أسبوعية، وكان الحزب هامشياً ولم يكن له وزن في الانتخابات النيابية لعام 1993م؛ إذ شارك بالانتخابات بستة مرشحين وفاز اثنان فقط هما: حسين الحوثي وعبد الله عيظة الرازمي صهر الأول ومساعدته، ولم يفز حسين ابن العلامة مجد الدين المؤيدي.

في العام 1994 أحدث حسين الحوثي انشقاقاً في حزب الحق على خلفية إصراره على مناصرة الحزب الاشتراكي اليمني في مسعاه الانفصالي؛ وانشق معه نحو ثلاثة آلاف من أنصاره قدموا استقالة جماعية من الحزب.

حدث تطور آخر عام 1997م إذ تحول المنتدى الثقافي الفكري إلى تنظيم سياسي باسم «تنظيم الشباب المؤمن» وتفرغ حسين الحوثي للعمل فيه، تاركاً مقعد مجلس النواب الذي كان يشغله لشقيقه يحيى (1965م)، وبرز والده بدر الدين الحوثي كمرجعية عليا للتنظيم، وتم إقصاء العلامة المؤيدي الذي كان اجتهاده أن الإمامة في آل البيت هي استدلالية وليست نصية «ما يعني أنها ليست من ضروريات الدين»، كما أفصي العلامة صالح فليته.

غذّي نظام الرئيس علي عبد الله صالح الخلافات داخل حزب الحق فانقسم في صعدة إلى نصفين: الأول بزعامة المؤيدي، والثاني تسمّى «منتدى الشباب المؤمن» بزعامة بدر الدين الحوثي وأولاده. وكان بدر الدين من المراجع العلمية الزيدية، ومن فرقة الجارودية القريبة من الشيعة الاثنتي عشرية من حيث إنكار إمامة الخلفاء الراشدين، والقول بإمامة علي والحسن والحسين بالنص الخفي من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد هاجر مع ابنه حسين إلى إيران؛ لأن النظام غضب عليه لدوره في تأييد الانفصاليين الجنوبيين عام 1994م، وأقاما في قُم بضعة أشهر ثم غادرا إلى لبنان، وتنقلا بين الضاحية الجنوبية لبيروت حيث حزب الله وإيران إلى أن عادا إلى اليمن.

خلال الأعوام (1999-2004م) نشط تنظيم الشباب ثقافياً من خلال مجلة «الرسالة»، والتدريب العسكري لعناصره في مخيمات صيفية، ووسع نشاطه أولاً في محافظة صعدة حيث افتتح (24) مركزاً، ثم فتح فروعاً في بقية محافظات اليمن بلغت في العاصمة أربعة وفي عمران ستة مراكز، والمحويت خمسة وحجة اثني عشر، والأمانة خمسة وذمار سبعة ومركزاً واحداً في كل من إب وتعز.

ورغم الانفتاح والاعتدال والتأصيل لأفكار المنتدى فإن الشباب المؤمن كان أقرب إلى التشدد، وكانت الدعوة إليه أسهل وأكثر رواجاً؛ حتى إن علماء الرعيل الأول بقيادة العالم مجد الدين المؤيدي؛ اعتبروا هذا النهج انقلاباً على الفكر الزيدي؛ وأعيدت طباعة كتب المنهاج التدريسي مع بعض التعديلات وعليها توقيع بدر الدين الحوثي الذي دعم توجهات جيل الشباب الذين يؤكّدون على العلامات الفاصلة بين المذاهب؛ أي التركيز على فكرة تقديس الموروث والكف عن التحديث والانفتاح بإعتباره خطراً ومُفسداً لأتباع المذهب، وكان ذلك متناقضاً مع وسطية الزيدية باعتبارهم «سنة الشيعة وشيعة السنة». وذكرت مصادر حوثية أن عدد الطلبة المنتظمين في مراكز صعدة وحدها بلغ (18000) طالب، وأن هذه المراكز تجاوزت محافظة صعدة إلى تسع محافظات يمنية أخرى.

وبدأ بتأسيس مراكز دينية في مديرية حيدان بمحافظة صعدة منذ 1997م وأطلق عليها اسم «حوزة»، تشبهاً بحوزات قم الإيرانية. وفي 16 آذار 2007 قدم العلامة أحمد الشامي أمين عام الحزب طلباً للجنة شؤون الأحزاب والتنظيمات السياسية لحل الحزب لعدم التزام المؤسسين بأهداف وتوجهات وبرنامج الحزب، وفشل الحزب في عقد مؤتمره العام رغم مرور ستة عشر عاماً على تأسيسه؛ ويبدو أن حل الحزب ساهم في دفع الكثيرين من أتباعه للالتحاق بالحركة الحوثية؛ رغم أن بعض قيادات الحزب رفضت الحل وانتخبت حسن محمد زيد (1954م)، الداعي لدولة مدنية توافقية عادلة، أميناً، وبقي الحزب يمارس نشاطه السياسي متحالفاً مع الحزب الاشتراكي وإيران، وتمسكاً بشرط البطينين في الإمامة وتمثيل الهاشميين، ومدافعاً عن المذهب الزيدي وحقوق أبنائه. لكل ما سبق كان الحزب في صراع مع السلطة. ورغم أن جماعة الحوثي بشكلها الحالي لم يكن لها حضور عند تأسيس الشباب المؤمن؛ إلا أن تميز بالمنهج الذي اتبعه للطلبة الملتحقين به، الذي تضمن دروساً دينية، كالفقه، والحديث، والتفسير، والعقائد، وأنشطة رياضية، وتعليم الخطابة والأناشيد، والمسرحيات، واللقاءات والحوارات، ضمن برنامج يومي في ثلاث فترات: صباحية، وفي الظهر، ومسائية، في مراكز علمية افتتحت لهذه الغاية بدأت في ضحيان ثم انتشرت في مختلف المحافظات.

هياً تنظيم الشباب المؤمن أتباعه سياسياً وعسكرياً بأن نظام الرئيس صالح فاسد وعميل وغير شرعي وأن الصدام معه قادم، وأبرز دور إيران كنموذج للخلاص، وركز على مظاهر القوة والكثرة لشبابه في مناسبات عاشوراء والغدير، ودعا أتباعه لشراء السلاح، واعتبر التدريب على السلاح واقتنائه شرطاً للعضوية، وقسم محافظة صعدة إلى مناطق عسكرية، ووزع فيها الميلشيات، وازدادت المراكز إلى ستين مركزاً بلغ عدد منتسبيها خمسة عشر ألف شاب، فاهتمت الحكومة الحوثيين بالسعي لإقامة دولة دينية شيعية في صعدة وإحياء الإمامة الزيدية، وبالغ الرئيس صالح في بيان أخطار الحوثيين لأسباب منها ما تعلق بضرب

خصومه في الداخل أو التكبُّب من وُد السعودية وأمريكا، والترئُّب من عمليات الحرب وتجارة السلاح.

اعتمد تنظيم الشباب شعار الصرخة «الله أكبر، الموت لأمریکا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام» منذ 2002؛ أي بعد حادثة 11 أيلول 2001 في نيويورك، وظل أنصاره يرددونه عقب كل صلاة ويكتبونه على جدران المساجد والمباني والممرات العامة. منعت السلطات اليمنية ترديد الشعار في المساجد، في الوقت الذي كان فيه الحوثيون يؤكِّدون لأتباعهم أن الزيديين تعرضوا للتمييز والسياسي والاجتماعي في الوظائف الحكومية والقمع الفكري والمذهبي من قبل الأكثرية الشافعية، ويحاولون تأصيل هذا كله بالقول إن سياسات التمييز تعود إلى عام 1962م عندما أُطيح بالإمامة الزيدية التي حكمت اليمن لأكثر من أحد عشر قرنًا، وأن مطالبهم تتضمن تكوين حزب سياسي مدني زيدي، وإنشاء جامعة معتمدة، وحققهم في تعلم المذهب الزيدي في الكليات الشرعية، واعتماد المذهب الزيدي مذهبًا رئيسًا في اليمن، بينما كانت السلطات تؤكد أنهم يسعون إلى إقامة حكم رجال دين، وإعادة الإمامة الزيدية.

وكان علماء الزيدية قد أصدروا فتوى أن شرط النسب الهاشمي والبطين للإمامة لم يعد مقبولًا اليوم، وأنه كان لظرف تاريخي مضى، وأن شؤون الأمة وقيادتها (الرئاسة) حق لكل المواطنين، وتراجع عن هذه الفتوى عام 2004 كل من العلامة مجدد الدين المؤيدي والعلامة محمد بن محمد المنصور (1915 – 9 أيلول 2016م)، وأصدرا بيانًا تبرأ فيه ممن يستحل دماء المسلمين، واعتبرا أن الخلاف في المسائل الفقهية شأن العلماء ولا يجوز لأحد أن يبني موقفًا سياسيًا، وطالبا الرئيس صالح باحتواء حسين الحوثي.

وتجذرت أيديولوجيا الحوثيين على يد حسين الحوثي صاحب الفكر السياسي الزيدي، الذي يعتبر الأصل الخامس عنده هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن من مستلزمات الإيمان به الرفض والتمرد والعصيان بل المحاربة والثأر على كل حاكم يُعتقد

فسقه وفساده، وأصبحت شخصية حسين ثم عبد الملك من بعد شخصية كارزمية على نسق السيد حسن نصر الله، وتداخل الأيديولوجي المذهبي بالسياسي، والاجتماعي بالاقتصادي والتنموي.

أقر عبد الملك الحوثي أن شعار الصرخة الذي أطلقه شقيقه حسين كان السبب في كل التداعيات اللاحقة، بينما أكد بدر الدين الحوثي صحة الدعوة لترديد الصرخة وأن ابنه حسين كان مرجع الشباب المؤمن.

أحس النظام السياسي اليمني في عهد الرئيس صالح بالتهديد وبدأت ست جولات من الصراع المسلح بين الدولة والحوثيين بين عامي (2004-2010)، وأصبحت الحركة الحوثية إثر هذه الحروب نوعاً من التنظيم الديني المسلح الحديث الشبيه بحزب الله اللبناني؛ فهو يجمع بين الانتماء الديني المذهبي (الطائفي)، والمشروع السياسي والأدوات التنظيمية والعسكرية الحديثة من جهة أخرى. وكان الحوثيون يعلنون أنهم ينتمون للمذهب الزيدي، ويحاولون استمالة القلوب إليهم، بعيداً عن المذهبية الفقهية. وبحسب أحد مؤسسي منتدى الشباب المؤمن، فإن الحرب على صعدة زُعم أنها للقضاء على الزيدية؛ وذلك لكسب تأييد ودعم أبناء المذهب في مواجهتها، وتصوير ما يجري في صعدة بأنه حرب إبادة جماعية لتدويل القضية والتدخل الخارجي.

حمّلت أحزاب اللقاء المشترك المعارضة الحكومة اليمنية مسؤولية التصعيد في الحرب على الحوثيين، وأدانت استخدام القوة العسكرية في صعدة، وكان لهذا التضامن علاقة بمشاركة حزبي الحق واتحاد القوى الشعبية في أحزاب اللقاء المشترك، وبمعارضة أحزاب اللقاء المشترك توريث السلطة لابن الرئيس صالح، لكنها أدانت أيضاً في بيانها بتاريخ 7/4/2005 «كل أشكال التطرف السُّلالي والمذهبي والمناطقية والأسري».

لم تنجح الدولة الحديثة في اليمن في مركزه الولاء نحوها، وسحب ارتباطات الأفراد والجماعات تجاه الزعامات النابعة من البنى القرايبية الأولية، وكانت المتغيرات في بنية

القبيلة وديموغرافيتها، وفي المستوى التعليمي والمهني، وتغيير المكان وتعدد الممارسات والوظائف، وتمكين أبناء القبيلة من أدوات السلطة والقوة ضمن مؤسسات الدولة؛ كانت قد ساعدت على ظهور زعامة جديدة في الوسط القبلي اليمني تمثلت بـ«الحركة الحوثية». وأصبح الحوثيون حركة طائفية أفادت من التهميش اللاحق بالزيدية منذ ثورة 1962، وخصوصاً بعد الوحدة 1990م، وطرحت نفسها كممثل للشرعية الزيدية التاريخية، واستطاعت تجيش الزيدية لاستعادة دعاوى النسب القرشي والهاشمية والفاطمية، في مسعى لاستعادة الدور والموقع، وأفادت من انهيار النظام السابق، واستثمرت في حزبه (المؤتمر الشعبي) وقياداته ومنهم الرئيس صالح على أساس الدفاع عن حقوق ومصالح الزيدية، وقد قلبت التوازنات القبلية اليمنية القديمة، وخلقت وضعاً جديداً فقدت فيه القبيلة سيطرتها على مناطقها، وتفككت مرجعياتها في مواجهة تنظيم مذهبي طائفي سياسي وعسكري حديث.

ولا شك أن الحوثيين تبنا التشيع مذهباً دينياً على طريقة الزيدية التي كانت شائعة في اليمن، لكنهم كانوا أكثر قرباً في التشيع السياسي إلى الزيدية الهادوية المعاصرة؛ وهي الجارودية. وقد خلصت ندوة عن الحوثيين في جامعة ذمار بتاريخ 2009/10/5م إلى عدم وجود ارتباط بين المذهب الزيدي والحركة الحوثية، وأن الأخيرة هي امتداد للحركة الرافضية الاثنتي عشرية.

ورغم ملاحظة أن المذهب الزيدي أقرب المذاهب الشيعية إلى السنة؛ وتطور فكرياً واجتهادياً على ضوء مدرسة المتكلمين المعتزلية، وركز على الإمامة ودور الإمام في السلطة السياسية (الدولة)، لكن ما إن تقوى سلطة الإمام ودولته، ويجد أي مبادرة خارجية من دولة شيعية إمامية اثنتي عشرية؛ المختلفة في اجتهادها الفقهي عن الزيدية؛ فإن الإمام يستقوي بها، وينسق معها في مواجهة معارضي السياسيين، ويرافق ذلك تطبيق اجتهادات الفرقة المطرفية أو الجارودية أو الاثنتي عشرية في اليمن، ومنها شروط الإمامة والموقف من خلافة الشيخين، وحديث الغدير، والإضافة على الآذان، والصرخة.

## النساء الفقيهات

### (1) في مكة خلال القرن التاسع الهجري

#### • مقدمة

نحاول من المصادر الأولية التاريخية والفقهية على اختلافها وتنوعها أن يلقي هذا البحث الضوء على الأوضاع العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمرأة الفقيهة خلال فترة الدراسة، وأن نُوضِّح دورها بشكل عام في الحركة العلمية والدينية والثقافية، ومن خلال إبراز ملاحظات أساسية على دور المرأة ووضعها في المجتمع المكي خلال هذا القرن الذي وُصِفَ فيه العصر المملوكي من قبل مؤرخين محدثين بأنه كان عصر جمع وشرح وتفسير، وليس عصر إبداع واستنباط، وساد فيه جمود عقلي وسياسي.

على أن الباحث لم يحاول أن يخرج عن إطار البحث خلال الحديث عن وضع المرأة المكية خلال فترة الدراسة، لكنه بالمقابل حاول أن يلقي الضوء على وضع المرأة المكية من خلال ما ورد في المصادر المتوفرة عن وضع المرأة الفقيهة؛ وعليه فقد تمت معاينة وضع المرأة العام من خلال ما ورد عن الأوضاع المتصلة بالمرأة الفقيهة في مكة، وليس العكس.

وقد وجد الباحث أن المرأة الفقيهة في مكة عاشت حياة اجتماعية وعلمية لا تختلف في جوهرها عن المرأة في مختلف أنحاء السلطنة المملوكية. وإن كانت هناك خاصية مرتبطة بمكة بوصفها تضم الحرم المكي وتعتبر عن رمز ديني إسلامي مرتبط بالعقيدة الإسلامية

---

(1) بحث مقدم للندوة العالمية السابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي عقدت في جامعة الملك سعود/ الرياض - المملكة العربية السعودية في الفترة 19-21/1/1431هـ / 5-

وهو أنها قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، ولزيارتها والمجاورة فيها، فضلاً عن الإقامة فيها، معنىً روحي مرتبط بالعقيدة والعبادات والنسك.

وفيما حاول الباحث استقصاء ما ورد في المصادر الأولية المتوفرة، واستخلاص ما ورد فيها عن هذا الموضوع الهام، في محاولة لرصد الصورة العامة للمرأة الفقيهة في مكة؛ فإنه لم يحاول إسقاط رؤيته أو تطويع النصوص ليخرج باستنتاجات معينة، واقتصر دوره على جمع المادة المتوفرة وتنظيمها وربطها بأسباب ومسببات ثم تحليل هذه النصوص والخروج باستنتاجات ونتائج.

حاول الباحث جاهداً رسم صورة لوضع المرأة الفقيهة في مكة خلال فترة الدراسة، ويرجو أن ينال أجر المجتهد، والله من وراء القصد، وهو لي التوفيق والسداد.

### ● المرأة الفقيهة

ولإلقاء الضوء على تعليم المرأة الفقيهة من حيث مصادره ومشاربه الفقهية وطريقة التعلم والإجازة، فقد استطاع الباحث حصر مائتين وسبعين امرأة فقيهة في مكة، كانت مقيمة أو جاورت أو حجت و جاورت أو تزوجت وأقامت في مكة، وركز الباحث على التدقيق في سير هؤلاء النسوة لإلقاء الضوء على الحركة العلمية/ الفقهية في مكة، وعلى دور المرأة عالمة ومتعلمة في مجالات الفقه والحديث.

ووجد الباحث أن المصادر المتوفرة لا تُميّز بين الفقه الحديث في الإجازة والتعليم، وهو ما ذهبت إليه الموسوعة الفقهية التي عرّفت الإجازة بأنها: «الإذن بالرواية، سواء أكانت رواية حديث أو رواية كتاب،.. وهي لا تكون إلا لاحقة للتصرف، بخلاف الإذن فلا يكون إلا سابقاً عليه»<sup>1</sup>، ولم تُميّز المصادر بين رواية الحديث النبوي الشريف وتعلم الفقه الإسلامي من مضائنه، ولعلها اعتبرت أن الفقه الذي كان سائداً هو الفقه الذي «يُعنى بالأدلة التفصيلية لاستنباط الأحكام العملية منها، وهو حكم تكليفي. وفرض عين على المكلف

كتعلّمه ما لا يتأدى الواجب الذي تعيّن عليه فعله إلا به.. لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»<sup>(2)</sup>.

وموضوع علم الفقه هو: أفعال المكلفين من العباد (المسلمين)، فيبحث فيه عما يعرض لأفعالهم من حِلٍّ وحرمةٍ، ووجوبٍ وندبٍ وكراهة<sup>(3)</sup>، ولذلك فإن الفقه مرتبط بحياة المسلم ارتباطاً عميقاً من الناحية العقدية والتعبدية.

### • وضع المرأة الفقيهة في مكة

عانت المرأة الفقيهة في مكة ما كان يعانيه المجتمع من الأمراض، فقد تبين أن حالات وفيات الأطفال حديثي الولادة، وحالات الوفاة بعمر سنة أو سنتين أو ثلاث أمور شائعة<sup>(4)</sup>، كما أن حالات الوفاة في ظروف الحمل أو الولادة أو بعد الولادة بقليل كانت منتشرة<sup>(5)</sup>، أو أن يطلق زوج المرأة الفقيهة زوجته وهي حامل ويترك الابنة التي ستصبح فقيهة المستقبل تنشأ على يدي الزوجة<sup>(6)</sup>، كما توفيت المرأة الفقيهة قبل الزواج، وقبل أن تبلغ العشرين أو الثلاثين، مما اعتبره مؤرخ العصر السخاوي وفاة مبكرة<sup>(7)</sup>، وقد حدثت وفيات لفقيهات من مكة خلال سنوات انتشار مرض الطاعون؛ وكانت هذه السنوات (819هـ/1416م)، (833هـ/1429م)، (849هـ/1445م)، (881هـ/1475م)<sup>(8)</sup>، أو بمرض الحمى<sup>(9)</sup> أو بمرض الفالج<sup>(10)</sup>، أو أصيبت بالماحولية<sup>(11)</sup>. أو علة الاستسقاء<sup>(12)</sup>، أو شهيدة تحت هدم<sup>(13)</sup>، أو غريقة في البحر بين ينبع وجدة وخاصة سنة (878هـ/1473م)<sup>(14)</sup>، أو أصيبت بحصر البول الناتج عن حجر في المسالك البولية<sup>(15)</sup>.

كما عانت المرأة الفقيهة من مشاكل الأسرة التي كان منها: «اختلت وفارقها (زوجها)<sup>(16)</sup>، طردته (زوجها)<sup>(17)</sup>، طُلِّقت لغيبته عنها<sup>(18)</sup>، تزوجت ثم فارقت قبل الدخول<sup>(19)</sup>، طلقها تطييراً<sup>(20)</sup>، مات عنها زوجها فخلفه أخوه<sup>(21)</sup>، تزوجها بعد شقيقتها أو أختها<sup>(22)</sup>، تزوج عليها زوجها في سفرها<sup>(23)</sup>، أو بانت منه لظهور محرمية بينهما<sup>(24)</sup>، أو تعلّلت ولزمت الفراش.. واتهم جماعة بسحرها حسداً وبغضاً»<sup>(25)</sup>، أو «اتفق زوجها وأخوانها على

إلغاء ما كانت حبسته في مرض موتها وتصيرية ميراثها»، أو أن زوجها كان مغاضباً لها فأشهدت بأن جميع ما في حوزتها لأبيها رجاء حرمانه<sup>(26)</sup>.

كما أن المرأة الفقهية عانت في زواجها أو من زوجها، وظهر ذلك من خلال أنها تزوجت وطلقت مرتين وثلاث مرات<sup>(27)</sup>، ومنهن من أصرت على استمرار الإنجاب لاستيلاء الذكور من الأولاد وتوفيت في حالة النفاس<sup>(28)</sup>، أو أنها طلقت وبقيت دون زواج<sup>(29)</sup>، أو أنها تزوجت ثم فقدت زوجها وتزوجت ثانية ففقدته وبقيت دون زواج<sup>(30)</sup>، أو مكثت تحته مدة ثم فارقتها وهي بكر<sup>(31)</sup>، أو «لم يحصل التئام الفراقها بعد بذل له وإبراء»<sup>(32)</sup>؛ وهي المرة الأولى والوحيدة التي أشارت فيها المصادر المتوفرة إلى شكل من أشكال الخلع<sup>(33)</sup>، أو أن ابن عمها تزوجها قبل بلوغها مضافة لزوجته له أخرى<sup>(34)</sup>، أو أن «أخاها لم يجب من سألها تزويجها»<sup>(35)</sup>، أو أن تطلق وهي حامل<sup>(36)</sup>، أو أن يتزوج عليها ابن عمها سرّاً<sup>(37)</sup>، أو أن زوجها الثاني استولى على تركتها جدها وتصرف فيها ما شاء<sup>(38)</sup>، أو أنها تزوجت من ذوي وجهة ثم بعد وفاتهم «تزوجت من لا وجهة له»<sup>(39)</sup>، أو «تزوجت عامياً»<sup>(40)</sup>، أو أنها تزوجت بعد وفاة أبيها ووفاة زوجها الأول من مملوك أبيها<sup>(41)</sup>، أو تزوجها كاتب السر بين زوجها الأول والثاني أياماً كمحلل<sup>(42)</sup>، أو تزوجها مملوك زوجها بعد زوجها<sup>(43)</sup>.

وكانت بعض النساء شريفات<sup>(44)</sup> أو حرائر<sup>(45)</sup>، وبعضهن من أمة لأبيهن، أو أمة حبشية<sup>(46)</sup>، أو من أمة من سبي قبرص<sup>(47)</sup>، أو أن لها نوبية<sup>(48)</sup> أو تركية<sup>(49)</sup>. وورد أن بعض الفقهاء كان يعتقد أُمَّته ثم يطؤها ثم تصبح زوجته<sup>(50)</sup>، وإحدى الفقيهات كانت ابنة عتيق حبشي<sup>(51)</sup>، ووصفت بعض النساء بأنها «معشوقة أهل مكة»<sup>(52)</sup>، أو «خيرة مُتعبدة»<sup>(53)</sup>، أو «صالحة مباركة، رئيسة»<sup>(54)</sup>، أو «مذكورة بجمال»<sup>(55)</sup>، كما توصف أحياناً بأنها «عاقلة، مُدبرة، مُتوددة»<sup>(56)</sup>، «صابرة، قانعة، محتشمة»<sup>(57)</sup>، أو «من صالحتي نساء زمانها صلاة وطوافاً وصوماً»<sup>(58)</sup>، و«كثيرة العبادة والمحبة للأيتام والأرامل»<sup>(59)</sup>، أو «كانت شريفة حسباً ونسباً»<sup>(60)</sup>، أو كانت لها وجهة عند الرؤساء لما اشتملت عليه من الدين والتدبير والعقل

وعلو الهمة؛ ومنهن من كان يقوم لها قاضي الحنابلة عند قدومها لمنزلها، على غير عادته مع الأخريات لفضلها وقدرها<sup>(61)</sup>، أو كان بيتها مجمعاً للنسوة والمنقطعات والأرامل، متقنة في تعليم البنات<sup>(62)</sup>.

بينما كانت من الفقيهات من اشتهرت بأدب معرفة الكتابة وضرب الرمل<sup>(63)</sup> وهي إشارة إلى أن إحدى الفقيهات كانت تمارس الشعوذة وقراءة الطالع، أو أنها وصفت بأنها ذات سيادة «ونبل رأي وتديبير وإفصال»<sup>(64)</sup>، أو أنها لعنايتها بالكتابة والخط لقبت بـ«الكاتبة»<sup>(65)</sup>، أو أنها كانت تتجمل لدرجة أنها «تبالغ في الطيب والعطر»<sup>(66)</sup>، أو «ذات ملاءة وخير ومروءة»<sup>(67)</sup>، أو «رئيسة مدبرة متمولة مذكورة بالعقل والجمال»<sup>(68)</sup>، أو أنها كانت «كثيرة الرياضة والحشمة والثروة واليسار والقِرَى للضيفان وإكرامهم.. وأوصت لعتقائها بصلة حسنة»<sup>(69)</sup>، أو أنها، بعد وفاتها «خلفت تركة متسعة وورثة مستغرقين»<sup>(70)</sup>.

### • تعليم وتعلم المرأة الفقيهة

كانت المرأة الفقيهة في مكة تُعلم وتتعلم الفقه والحديث، وأوردت المصادر أن الطفلة كانت تحضر وتسمع في سن سنة أو سنتين وأربع سنوات<sup>(71)</sup>. وورد أيضاً أن طفلة في السنة الأولى أُجيزت من قبل والدها القاضي<sup>(72)</sup>، أو حضرت على قاضٍ وقد أُجيزت المرأة الفقيهة من قبل والدها<sup>(73)</sup>، أو جدّها لأبيها أو جدّها لأمها أو جدتها أو امرأة<sup>(74)</sup>، أو أجاز لها أبواها وعمّاها وأمهما<sup>(75)</sup> وأحياناً من ابنها<sup>(76)</sup>، وأجيزت مع أخيها أو أخويها أو سمعت من عمتها<sup>(77)</sup> أو عمّة أمها<sup>(78)</sup> أو خالها أو عم والدتها<sup>(79)</sup>، كما تبين أن المرأة الفقيهة أجاز لها رجال غير ذوي قرى<sup>(80)</sup>، ورجال محارم<sup>(81)</sup>، كما أجازت لرجال وصفو بالعلم وبرعوا في الفقه في فترة لاحقة<sup>(82)</sup> وأجازت لها نسوة<sup>(83)</sup>، كما أُجيزت من قبل جمع من الرجال بلغ من الكثرة بين (جماعة)<sup>(84)</sup>، أو جماعة وآخرين<sup>(85)</sup>، أو (خلق) كثيرين<sup>(86)</sup>، أو أجاز لها سيدها<sup>(87)</sup>.

وقد أُجيزت الفقيهة المكية في الحرم المكي<sup>(88)</sup>، أو في الحرم المدني أو المدينة المنورة<sup>(89)</sup>، أو في بيت المقدس والخليل ومصر<sup>(90)</sup> ودمشق وحلب<sup>(91)</sup> وبلاد المغرب<sup>(92)</sup>، وغيرها من المدن الإسلامية بعضها أو جُل ما ورد منها أعلاه.

كما تبين أن المرأة الفقيهة في مكة ارتحلت في طلب العلم وأجاز لها أحياناً «الشاميون والمصريون»<sup>(93)</sup>، وسمعت المرأة الفقيهة من فقيه رجل بحضور رجال آخرين<sup>(94)</sup>، أو باستدعاء أخيها<sup>(95)</sup>، وأحياناً أخذت الفقه من أسرتها إذا كانت من بيت «حديث ورواية»<sup>(96)</sup>، أو من بيت «رواية وعلم»<sup>(97)</sup>، أو من كبار العلماء منهم أو منهن<sup>(98)</sup>، أو أجازها «غير واحد من المعترين»<sup>(99)</sup>، وكان من الفقيهات من ترددت للحج والعمرة على الحرمين لطلب العلم والعبادة، وإحداهن حجّت ثلاث عشرة مرة<sup>(100)</sup>.

وكان من الأزواج من يُعلّم زوجته الكتابة<sup>(101)</sup>، ومنهم من علّمها الكتابة والاستخراج<sup>(102)</sup>، وكان منهن من يتردّدن مع آباء<sup>(103)</sup>، أو أزواج<sup>(104)</sup>، أو إخوة<sup>(105)</sup>، أو أبناء وأحفاد<sup>(106)</sup>، على الحرمين للعبادة والمجاورة. ومنهن من جاورن قبل الزواج<sup>(107)</sup>.

ووصفت المصادر المرأة الفقيهة في مكة بأنها كانت رحيمة مشفقة<sup>(108)</sup>، باذلة للخير<sup>(109)</sup>، وأشارت المصادر إلى أنها كانت: «تقبل من الطلبة اليسير»<sup>(110)</sup>، وأنها أحياناً «لكثرة إنفاقها أملت جداً بحيث أقامت في رباط»<sup>(111)</sup>، وأنها كانت «غاية في البذل والكرم»<sup>(112)</sup>، ومنهن من كانت لبراعتها في «النظم وحسن فهمها وقوة خباتها» فريدة في ما اشتملت عليه<sup>(113)</sup>. ومن النساء الفقيهات من «كُنَّ يُفدُن النساء في الكتابة والخط»<sup>(114)</sup>، أو في «باب الحيض ونحوه»<sup>(115)</sup>، ومنهن من كانت قابلة لنساء أهل مكة مثل أمها<sup>(116)</sup>، أو خلطة بيوت الأمراء وخدمة بالولادة ونحوها<sup>(117)</sup>، وانتشرت في أوساط فقيهات مكة المذاهب الفقهية الأربعة جنباً إلى جنب وهي: الحنبلية، الشافعية، المالكية، والحنفية، إضافة إلى الطرق الصوفية (ابن داود)<sup>(118)</sup>. وقد تبين أن إحدى الفقيهات كان لها أربعة أولاد اشتغلوا بالفقه فكان

الأول شافعيًا، والثاني حنفيًا، والثالثة ابنة مالكية، والرابع حنبليًا؛ «واشتغل كل من المذكورين وتمذهب لما وصف به»<sup>(119)</sup>.

### • فقيهاً مكة والوقف

أقامت فقيهاً مكة الأربطة في مكة وأنفقن عليها<sup>(120)</sup>، واستطاعت المرأة الفقيهة أن تدير الوقف، وأدارت إحداهن وقف والدتها، بينما أوقفت بعض الفقيهاً أوقافاً خيرية في مكة كان منهن: فاطمة المسيكينة التي أوقفت سنة (811هـ/1408م) على النساء الأيماء<sup>(121)</sup>، الواردات إلى مكة رباطاً بأجياد الكبير<sup>(122)</sup>؛ ذكره الفاسي (ت: 832هـ/1428م) على أنه رباط المسكينة بأجياد وكان قائماً<sup>(123)</sup>، بينما أنشأت عائشة الظاهرية (ت: 837هـ/1433م) رباطاً بأسفل مكة، وأوقفت عليه داراً بباب الصفا مطلة على المسجد، وكانت قائمة بالمشيخة (تسيح وأوراد)، وذكر واجتماعية لذلك في كل يوم سبت وإطعام<sup>(124)</sup>.

### • كتب الفقه والحديث المتداولة عند فقيهاً مكة

كان أكثر الكتب تداولاً عند فقيهاً مكة خلال فترة الدراسة هي كتب: الصحيحان لمسلم والبخاري، ومسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، وسنن ابن ماجه، وسنن الترمذي، والسنن الكبرى للبيهقي، وسنن الدارقطني، وسنن البغوي، والعمدة، والحاوي، ومختصر أبي شجاع في الفقه، والجزء الكبير للعز بن جماعة، وجزء المناديلي ليوسف بن حبال، والمسلسل للجمال يوسف الصيرفي، وموطأ الإمام مالك على رواية يحيى بن يحيى، أو رواية يحيى بن بكير، والثلاثة الأول من فوائد ابن حجر، والأربعين النووية، والأربعين العشاريات، والأربعين الموافقات، والأربعين الصغرى للبيهقي، ورباعيات النسائي، ورباعيات القزاز، وانتخاب الطبراني، والمناهي وذم الملاهي للبلداني، وطرق حديث الإفك للديرعاقولي، وأمالي أبي سهل القطان، والمُلحَّة في الإعراب، وختم الشفاء،

وخماسيات ابن النقور، وثلاثيات أسامة بن شريك، ونسخة أبي مسهر، وألفية العراقي في السيرة النبوية، وسداسيات الرازي، والأسلاف النبوية للمسيبي، وبلدانيات السلفي، وجزء أبو يعلى الخليلي، وجزء سفيان بن عيينة، وجزء البيهقي، وجزء بشر بن مطر، ومعجم ابن جميع، والمنسك الكبير لابن جماعة، والأورد والتلاوة، والشقراطسية، ومشیخة الفخر لابن أميلة، والدُّرْبَةُ الطاهرة للدولابي، ومنتقى الذهبي من مشیخة الفخر، ومشیخة الجمال الأميوطي تخريج الولي العراقي، والمئة المنقاة من مشیخة ابن البخاري انتقاء العلائي، والمسلسل بالأولية، ومسلسلات ابن شاذان رواية الدارمي، وجزء البطاقة، وجزء ابن الطلاية، والسفينة الجرائدية، والإبدال تخريج الحافظ المراكشي وقصيدي البوصيري (الهمزية والبردة). إضافة إلى كتب الأنساب والتاريخ ومنها: المجلس الأول من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، والأنساب للزبير بن بكار.

ويذكر أنه لم نجد أي إشارة في المصادر المتوفرة لكتب أو مؤلفات لفتيات مكيات أو غير مكيات كانت متداولة في مكة خلال فترة الدراسة، وإن كان قد ذكرت المصادر أن فقيهتين على الأقل قد خرجت أحاديث لهن.

## • الإحالات

1. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ج1، الطبعة الأولى 1415هـ/ 1995م، مطابع دار الصفاة للطباعة والنشر والتوزيع، ص303، سيشار إليها لاحقاً: الموسوعة الفقهية.
2. انظر: الموسوعة الفقهية، ج32، 193-194.
3. المصدر السابق، ج32، 195.
4. انظر: السخاوي، شمس الدين محمد عبد الرحمن (ت: 902هـ/ 1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج12، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، باب الخلق، حارة الجدواي، 1355هـ/ 1936م، انظر مثلاً: الصفحات 37، 39، 48، 94، 132، 144، 155، 156، وسيشار إليه لاحقاً: الضوء.
5. الضوء، 96، 151.
6. الضوء، 140.
7. الضوء، 126.
8. الضوء، 85.
9. الضوء، 49.
10. الفالنج: في الطب يطلق على الاسترخاء في أي عضو كان حتى لو عمّ الشقين من البدين فالجاً، لكن يشترط أن لا يعم الرأس. انظر: التهانوني، محمد علي بن علي بن محمد الحنفي (توفي بعد 1158هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، أربعة أجزاء، وضع حواشيه: أحمد حسن بسبح، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1998م، ج3، ص408، سيشار إليه لاحقاً: كشاف الفنون.

11. انظر: الضوء، 80، والماخولية هي: تغيّر الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد والخوف والرداءة، لمزاج سوداوي يوحش روح الدماغ داخلياً وخارجياً، وسببها إما أن يكون في الدماغ نفسه أو خارجه. وعلامات ابتداء المناخوليا: ظن رديء، وخوف بلا سبب، وسرعة غضب، وحب الانطواء، انظر: ابن سينا، الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن علي (ت: 428هـ/1037م)، القانون في الطب، 4 أجزاء، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1414هـ/1994م، انظر: ج2، 110-113.

12. الضوء، 50.

13. الضوء، 139-140.

14. الضوء، 137.

15. الضوء، 120.

16. الضوء، 55، 140.

17. الضوء، 64.

18. الضوء، 67.

19. الضوء، 55.

20. الضوء، 76.

21. الضوء، 24، (64-65)، 120.

22. الضوء، (80-81).

23. الضوء، 80.

24. الضوء، 99.

25. الضوء، 70.

26. انظر: الضوء، 84، 47.

27. الضوء، 25، 30، 32، 43، 64، 76، 84، 97، 99، 124، 154.
28. الضوء، 159.
29. الضوء، 123.
30. الضوء، 43، 123.
31. الضوء، 94.
32. الضوء، 104.
33. تعريف الخلع: «المباراة بإسقاط حق لها عليه، أو هو الطلاق بعوض» انظر:  
الموسوعة الفقهية، ج20، 195.
34. الضوء، 116.
35. الضوء، 138.
36. الضوء، 140.
37. الضوء، 19.
38. الضوء، 156.
39. الضوء، 8.
40. الضوء، 41.
41. الضوء، 32.
42. الضوء، 35.
43. الضوء، 105.
44. الضوء، 48، 67.
45. الضوء، 67.
46. الضوء، 30، 47، 49، 50، 99، 100.
47. الضوء، 50.

48. الضوء، 142.
49. الضوء، 33.
50. الضوء، 71-72.
51. الضوء، 59.
52. الضوء، 37.
53. الضوء، 20، 31، 32، 39، 41، 55، 85، 128، 133، 151، 152، 156، وانظر:  
ميرداد أبو الخير، الشيخ عبد الله (ت: 1343هـ/ 1924م)، قاضي مكة، المختصر من  
كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، من القرن العاشر إلى القرن الرابع  
عشر، اختصار وتحقيق وترتيب: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، الطبعة الثانية،  
عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، (1406هـ/ 1986م)،  
138؛ وسيشار إليه لاحقاً: نشر النور والزهر.
54. الضوء، 39، 42، 120، 132.
55. الضوء، 47، 71.
56. الضوء، 43، 44، 54، 59، 119.
57. الضوء، 25، 44، 144.
58. الضوء، 50، 73.
59. الضوء، 28، 157.
60. الضوء، 129.
61. الضوء، 148.
62. أو من سروات النساء، الضوء، 106.
63. الضوء، 66-67.
64. الضوء، 66-67.

65. الضوء، 39، 76، 120، 151، 156.
66. الضوء، 57.
67. الضوء، 82.
68. الضوء، 71.
69. الضوء، 90.
70. الضوء، 89.
71. الضوء، 149، 150، 151، 157 / 158 / 159.
72. الضوء، 161.
73. ابن فهد، معجم الشيوخ، 404.
74. الضوء، 150، 161.
75. الضوء، 3، 12، 25، 28، 34، 61، 71، (99-100)، 121، 124، 150. وانظر: نشر النور، 138.
76. الضوء، 146.
77. الضوء، 48، 88، وسمع منها ولدها وبنوه، 88.
78. الضوء، 120، 137. وانظر: نشر النور، 137.
79. الضوء، 155، وانظر: نشر النور، 138.
80. الضوء، 20، 31، 42، 43، 48، 73.
81. الضوء، 20، 30، 73، 74.
82. انظر: الهاشمي المكي، عمر بن فهد، (812هـ/ 1409م - 885هـ/ 1480م)، معجم الشيوخ، تحقيق وتقديم: محمد الزاهي، راجعه وقابله: حمد الجاسر، منشورات دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، المملكة العربية السعودية، 1982م، 119، وسيشار إليه لاحقاً: معجم الشيوخ.

83. الضوء، 2، 28، 30، 55، 64، 120.
84. الضوء، 3، 12، 19، 31، 61، 66، 121، 127، 142، 149، 158، نشر النور، 205.
85. الضوء، 22، 30، 61، 62، 73، 105، 120، 128، 133.
86. الضوء، 2، 24، 28، 41، 55، 67، 120، 144، 159، انظر: المعلمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، أعلام المكيين، (من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري)، جزأين، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، الطبعة الأولى، (1421هـ/2000م)، انظر: ج1، 171، وسيشار إليه لاحقاً: أعلام المكيين.
87. الضوء، 2، 30، 39، 42، 50، 159.
88. الضوء، 41، 42، 46، 50، 120، نشر النور، 137.
89. الضوء، 30، 42، 73، 122، وانظر: أعلام المكيين، ج1، 171.
90. الضوء، 73، 122، نشر النور والزهر، 137، وانظر: أعلام المكيين، ج1، 171.
91. انظر: الضوء، 38.
92. الضوء، 34، 58.
93. الضوء، 11، 41.
94. الضوء، 42.
95. الضوء، 31، 42، 47.
96. الضوء، 47، 48.
97. الضوء، 41.
98. الضوء، 4.
99. الضوء، 156.
100. الضوء، 45.

101. الضوء، 44.
102. الضوء، 28، 44، 46، 137.
103. الضوء، 45، 54، 61.
104. الضوء، 45، 89، 157.
105. الضوء، 25.
106. الضوء، 156.
107. الضوء، 120.
108. الضوء، 74.
109. الضوء، 74.
110. الضوء، 144، 156.
111. الضوء، 29، 129.
112. الضوء، 107.
113. الضوء، 29، 44، 129.
114. الضوء، 29.
115. الضوء، 114.
116. الضوء، 31.
117. الضوء، 3.
118. الضوء، 156.
119. الضوء، 77.
120. الضوء، 46.
121. الأيّم من النساء: التي لا زوج لها، بكرًا كانت أو ثيبًا.
122. الضوء، 89.

123. انظر: الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي المالكي، (775هـ/1373م – 832هـ/1428م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حققه وعلق عليه لجنة من كبار العلماء والأدباء، مجلدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، م1، 436.
124. الضوء، ص77.

## وقفَةٌ مع العَلامة العُزيزي

### في كتابه «تطور حقوق الإنسان»<sup>(1)</sup>

هذه وقْفَةٌ مع العَلامة روكس بن زائد العُزيزي، الأردني الهوى، المأدبيّ الولادة والنشأة، الكاثوليكي المذهب، الذي أرضعته مسلمة سُنِّيَّة، بعد أن أسماه والده «روكس» تيمناً بالقديس الفرنسي.

وكتابه هذا قلما يُشار إليه، صادر في بيروت، مطبعة العرفان عام 1965، واللافت أن الصحفيّ النابه نزار الريس صاحب مجلة «العرفان» وجريدة «جبل عامل» قدّم لهذا الكتاب واصفاً العُزيزي بأنه: «أديب عالم بحّاث، يعمل جاهداً مخلصاً بصورة بناءة لخدمة العلم والأدب والحقيقة والأمة والوطن؛ يطابق فعله قوله، وخبره خبره، ويمتاز بالكفاءة والخلق الرضي...».

والكتاب أعد على شكل دراسة لمناسبة المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان، ألقى فيه العُزيزي نظرة على تطور المطالبة بحقوق الإنسان التي عرفها بأنها: «سعي الإنسان لاسترداد ما سلب منه»، مُعرجاً على آراء بركليس الأثيني من أن شكل النظام الذي يُراعي حقوق الإنسان هذه هو الديمقراطية: حيث المساواة القانونية، وأن المناصب تُسند إلى ذوي المواهب، وليس لها علاقة بالطبقات أو الجاه وإنما هي خدمة للمجتمع.

واستشهد العُزيزي بأن الديانة المسيحية ساوت بين البشر أجمعين؛ بينما جاء الإسلام بفكرة المساواة المطلقة (كلكم لآدم وآدم من تراب)، وأن ليس لعربي على أعجمي فضلٌ

(1) د. محمود الجباريات، نُشرت في مجلة «أفكار»، العدد (287)، كانون الأول 2012م، ص 121-

إلا بالتقوى مستشهداً بالتجربة التاريخية الإسلامية، وأقوال الخليفة عمر بن الخطاب والصحابة رضوان الله عليهم.

وأكد العُزَيُزِي أن الثورة الفرنسية إنما استندت إلى آراء بركليس الأثيني، وهذا التراث الإنساني الضخم من التجارب التاريخية السابقة، ومؤكداً في الوقت نفسه أن «كل ما نادى به الكتب المقدسة من الإخاء الإنساني موته مطامح الإنسان؛ لأن الكتب المقدسة تعتمد ضمير الإنسان، وضمير الإنسان يصدأ من حين إلى حين. وطموح الإنسان لا يرضيه إلا التعالي والتسامي على غيره. وأن الديانة المسيحية وهبت للعبيد بطولة نفسية، بينما الديانة الإسلامية جاءت رحمة للأقنان، وأعتق المتورعون المسلمون العبيد تقريباً إلى الله».

ورغم أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تضمن احترام الفكر والضمير والكرامة المعترف بها للشخصية البشرية إلا أن الوثيقة لم تطبق بعد كما ذكر العُزَيُزِي، بسبب «أن السلطة التشريعية المنتخبة من الشعب أصبحت تنحني رويداً رويداً أمام السلطة التنفيذية»، وأنه مع وجود النظم الديمقراطية، ووثيقة حقوق الإنسان، فإن العُزَيُزِي لاحظ «أن هناك إقطاعية عصرية هي إقطاعية أصحاب الشركات المساهمة... فيولد هؤلاء الإقطاعيون الجدد شركة فاشلة من شركة رابحة، وشركة وهمية من شركة موجودة فعلاً حتى تبتلع الشركة الفاشلة الشركة الناجحة، وتزدرد الشركة الوهمية الشركة الموجودة تماماً مثل بقرات فرعون وسنابله...».

وعد وثيقة حقوق الإنسان أعظم نصر أدبي، إلا أن أصحاب الشركات الإقطاعية يستطيعون «أن يشتروا الضمائر وينتزعوا القرارات التي تمكنهم من السيطرة المستمرة على ما هو في حوزتهم».

وتناول العُزَيزي تطور فكرة حقوق الإنسان مشيراً إلى أن مؤتمر ديجون الذي عقد عام 1936 أقر استنكار الاستعمار، وإلغاء الحرب، ودعا الشعوب لرد الحق المعتدى عليه إلى نصابه، وإلى مكافحة الظلم.

وبعد فهذه وقفةٌ مع العُزَيزي في كتابه عن تطور حقوق الإنسان التي ما زالت نصراً أدبيّاً إنسانياً، ولكنه غير مطبق عالمياً وإقليمياً ومحلياً... وما أشبه الليلة بالبارحة!

## مشروع نهوض يمنع سايكس بيكو<sup>(1)</sup>

«مشروع النهضة العربية» أحد أهم المواضيع التي تشغل المثقف، وهو الأكثر إحباطاً للمواطن العربي العادي الذي يشعر بحالة من الضياع في ظل هذه الحالة العربية التي نعيشها، سواء على صعيد ضياع الجهود أو التراجع الاقتصادي وتحكم السلطة بجزئيات حياته، فكلما أمعن الواقع العربي في التراجع ازدادت الفجوة الحضارية اتساعاً بين العرب والدول الصناعية المتقدمة.

وهذه الفجوة لا تعني مجرد فوارق ومسافات في الفضاء الزمني، بقدر ما تعني سيطرة ونفوذاً وتحكماً، وتوسع صاحب الموقع الأرقى وخضوعاً واستلاباً وإحباطاً من صاحب الموقع الأدنى، وفي ظل عصر العولمة والتحديات الكبيرة التي نعيشها اليوم يصبح المشروع النهضوي مشروعاً دفاعياً بكل معنى الكلمة قبل أن يصبح مشروع اقتحام وهجوم للمستقبل.

يعيش العالم العربي مرحلة من التراجع والتقهقر النسبيين، فيبدو أنه لا يقوى عن الدفاع عن نفسه، فالأخطار السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعصف بالوطن العربي وتحيط به من كل حذب وصوب، تكاد تعصف بوحدة أقطاره السياسية وبنيته الاقتصادية والاجتماعية وبأمنه واستقلاله، من هنا فالنهضة مسألة بقاء وليست مسألة اختيار.

ويكثر الحديث في هذه الآونة عن مشروع أو مشاريع ثقافية للنهضة العربية أو حضارية كما يسميها بعض الباحثين، وتُعقد المؤتمرات والندوات من أجل هذا الأمر، ويعكس البعض تشاؤماً من مستقبل المشروع النهضوي الثقافي العربي، بينما يرى البعض الأكبر أن

(1) حوار أجراه مفلح عياش مراسل «البيان» الإماراتية، نشر 27/ أيلول/ 2002م بعنوان الملف السياسي - مفكرون وخبراء سياسيون عرب لـ (الملف): الأمة العربية تتعرض لخطر حقيقي يتهدد وجودها وكيانها.

هناك مشروعاً عربياً بدأ فعلياً في هذه المرحلة ولمسنا آثاره وبعض النتائج في ما تحقق على يد المقاومة اللبنانية من طرد للاحتلال الصهيوني. وما يحدث الآن في فلسطين المحتلة هو انبثاق لهذا المشروع، والرفض العربي للتهديدات الغربية ومقاومتها بكل السبل هو تعبير حي عن مشروع نهضوي ثقافي عربي يتملح ليقف بعد حين كالمارد، بينما يرى آخرون أن الأجيال القادمة هي التي ستحقق النهضة.

فهل هناك مشروع ثقافي عربي في الوقت الذي نعيشه؟ وما هي مقومات هذا المشروع والمعوقات التي تقف عائقاً أمام تنفيذه؟ وما القضايا الخلافية حول الحداثة والأصالة؟ وما انعكاسات الاستراتيجية الأمريكية الجديدة على مستقبل الأمة العربية بخاصة بعد 11 سبتمبر؟ وما هي الإمكانيات العربية لمواجهة هذه الحملة وارتباط ذلك بالمشروع النهضوي الثقافي العربي؟

«بيان الأربعاء» أثار هذه القضية مع عدد من المفكرين والمثقفين والباحثين العرب، وحاورهم حول المشروع النهضوي العربي، واستضاف الدكتور أحمد البرقاوي رئيس قسم الفلسفة في جامعة دمشق، والدكتور طلال عتريسي الأستاذ في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، والمفكر والناقد العراقي ماجد السامرائي، والكاتب والباحث الأردني حسني عايش، والباحث في جامعة اليرموك الدكتور محمود جبارات. في البداية سألنا المشاركين في المنتدى عن:

### ● حقيقة وجود مشروع حضاري عربي، هل هو موجود أم لا؟

- عتريسي: يمكن أن نقول إن هناك أكثر من مشروع تبعاً للقوى السياسية والفكرية التي تحمل مثل هذه المشاريع أو الأفكار أحياناً، ولو قمنا بقراءة السنوات الماضية وما قدم فيها على هذا المستوى لوجدنا أن هناك أكثر من اتجاه في التفكير في مشروع ثقافي عربي، فهناك من يفكر على قاعدة قومية، ويعتبر أن المشروع الثقافي العربي يجب أن ينهض بأسسه القومية بالدرجة الأولى، وهناك الكثير من المفكرين الذين قدموا

مساهمات في هذا المجال، بينما نلاحظ أن الاتجاه الإسلامي الذي برز في العقدين الماضيين يحاول أن يقدم وجهة نظره استناداً إلى جعل الإسلام مرجعية ثقافية في هذه المنطقة تأسيساً على أن شعوب هذه المنطقة في الأصل تجتمع أغلبها على دين واحد، وقد يكون هناك اتجاهات أخرى تنتمي إلى الفكر الماركسي أو الأفكار الوطنية أو أفكار تقع بين هذا وذاك.

وفي مقابل تباين الأسس والأساسات تتباين أيضاً الآليات للنهوض بالمشروع النهضوي العربي، فهناك مشاريع نهضوية عربية ثقافية تحملها قوى سياسية، وهناك مشاريع تحملها قوى فكرية، وكلٌّ قدّم إسهامات مختلفة تختلف باختلاف المواقع الفكرية التي ينطلق منها هذا أو ذلك.

- برقاوي: كلمة نهضة عربية نوع من أنواع الوعي المتجاوز للواقع، وإذا كان ما لدينا واقع التجزئة التخلف والتبعية إذن فسيكون المقصود من النهضة أن تحقق شكلاً من أشكال الوحدة العربية والحرية للإنسان.

في كل لحظة من لحظات التاريخ نشعر بنوع من مأساة التراجيديا الكبيرة التي لم تلمّ بنا، وأنا أرى أن طرح أي مشروع متصل بالنهضوية يُقصد منه تجاوز الحالة، وهو على هذا الأساس تعبير عن قلق مشروع وإحساس بمأساة قاسية نعيشها. هناك شيء غير معقول في عالمنا العربي، ويقع البعض في أخطاء كبيرة، إذ يعتقد هؤلاء بأن التنمية هي صناعة مسجل أو تلفزيون، علماً بأن النهضة العربية مشروع سياسي وليس اقتصادياً.

والمشكلة الأساسية هي كيف يمكن أن نحقق فكرة الأمة الدولة، وخارج هذه الفكرة ليس هناك مشروع نهضوي ثقافي عربي. دبي متقدمة؛ جبل علي ينتج كل شيء من تلفزيون وراديو وربما ينتج سيارات بعد فترة بسيطة، هل هذا تعبير عن مشروع نهضة؟ الرأسمال العالمي في ظل العولمة يوظف ماله في أي مكان وأي منطقة، وفي لحظة يستطيع أن يدمر أي منطقة في العالم، لهذا فإن علينا حماية جبل علي من خلال نهضتنا

العربية بصورة عامة، خصوصاً وأن لدينا عدوًّا قويًّا، والحتمية المعروفة لدى الجميع أن هناك قدرًا مؤكَّدًا يتجه نحو مواجهته ومن المستحيل أن تحقق نهضة وأنت تنام عن مواجهة العدو.

وهذا لا يحتاج إلى تقدم تقني، فإذا قرر العرب مواجهة عدوهم بإمكانياتهم الراهنة فسواجتهونه، لكن كيف تواجه إسرائيل بنظام سياسي يتوسل العلاقة معها وخاضع لأوامر الولايات المتحدة الأمريكية!!

المشكلات معقدة، وبالتالي لا يمكن فهم أي نهضة إلا بوصفها تغييرًا في بنية النظام السياسي العربي، هذا النظام المتهالك والمتناقض مع البشر ومصالحهم ومتناقض مع التاريخ والضرورة التاريخية، لأنه كلما تقدمت المجتمعات موضوعياً تغير نظامها السياسي، ومن المعلوم أنه بتطور المجتمعات العربية لم تتطور الأنظمة السياسية، فهناك تناقض بين النظام السياسي وحركة المجتمع، ولكي يستمر النظام السياسي متناقضًا مع المجتمع يجب أن يستخدم كل أشكال القمع.

وأعيد مجددًا القول بأن كل الجهود والمفاهيم العربية المتعلقة بالمشروع العربي النهضوي على جميع المستويات قد تم طرحها مسبقًا، فقد طرحت فكرة التنمية، وطرحت فكرة الوحدة والتقدم الاقتصادي، كل شيء مطروح، لكن هناك عجز إرادة بشرية، وهناك قوى ضاغطة أقوى من إرادتنا في التغيير.. لذلك إذا أردنا أن نحقق النهضة فيجب أولاً وقبل كل شيء أن نجيب عن السؤال التالي: كيف نحول الإرادة السلبية إلى إرادة فاعلة؟ لست أملك جوابًا في الحقيقة، لكنه سؤال يجب الإجابة عليه قبل القول بأننا نتجه نحو تحقيق ذواتنا.

## • دور غربي حقيق

هناك من سيقول إن هذا الأمر يتعلق بجلد الذات أكثر منه تصويبها خصوصاً ونحن نعلم حجم مسؤولية الغرب عما آلت إليه حالنا.

- برقاوي: نحن اعتدنا على أن نعلق مشكلاتنا على شماعة الغرب، هذا لا يعني أنني أقصد أن الغرب لم يلعب دورًا حقيقيًا في عالمنا العربي، لكن أود الإشارة إلى أن هذا الدور قد تم لعبه من خلال عدو وليس صديقًا.. هذا ما علينا فهمه والتعامل معه. نحن حتى الآن لا نعامل الغرب وفق منظور مصالحنا وإنما عبر «إجراءات» (الثقة).. وأنا لا أطلب من الغرب أن يكون أخلاقيًا، خصوصًا وأن المصالح لا تعرف الأخلاق. إذا كان الغرب ينطلق من مصالحه فعلاقته بنا ليست علاقة أخلاقية، إنها علاقة سيد بعبد، علاقة القوي بالضعيف علاقة المهيمن بالمهمين عليه، وبالتالي لغة المنطق مع الغرب لا تكفي.

كيف ذلك؟

- برقاوي: سأعطيك مثالًا للدور الأساسي الذي قام به الغرب في المنطقة.. بعد الحرب العالمية الأولى تم الاتفاق بين بيكو وسايكس على تقسيم بلاد الشام والعراق، وهذان الرجلان رسما الحدود بقلم الرصاص على الخارطة بأسمائها، ورحل الاستعمار وطردها لكننا تحولنا إلى حراس لسايكس بيكو. كان يجب بعد رحيل الاستعمار أن يرحل معه ما قام به في المنطقة، لكن الاستعمار رحل وترك خلفه حراس سايكس بيكو الذين حافظوا على خطوط قلم الرصاص ذلك حتى تحول الأمر إلى لعبة مقبلة، فأى نظام عربي يغضب على آخر تكون النتيجة إغلاق الحدود التجارية والسياسية والاقتصادية ومنع العائلات بين الحدوديين من رؤية بعضها البعض.

هل هذا يتحمل مسؤوليته الغرب؟ هل كان الغرب في الخمسينيات يمنعنا من تحقيق وحدة بلاد الشام والعراق؟ الغرب تأمر علينا بواسطة الأنظمة التي صنعها وكرس وجودها ما تسمى بإسرائيل المشروع البريطاني الأوروبي.

وكان ممكنًا لهذا المشروع ألا يتحقق لو كانت هناك مقاومة عربية له، الآن هذا المشروع غير قادر على البقاء إذا كانت هناك مقاومة عربية له ودعم لها.. وفي أي

حال، أنا أؤمن بأنه عندما يقال إن العامل الخارجي هو المعيق فإنني أفهم أنه لا أحد يريد تحقيق شيء.

- السامرائي: الأسئلة التي طرحت في القرن التاسع عشر كانت أسئلة أساسية ودقيقة جداً، وحاول النهضويون الأوائل وضع إجاباتهم بعيداً عن أي مؤثر أو أي ضغط سوى وضع الأمة وحالتها والتفكير بسبل نهضتها، ومع بداية سايكس بيكو حصل انحراف في وضع الإجابات عن هذه الأسئلة، فوضعت إجابات للتبعية.

وعندما نتكلم عن الحرية كمثال ونأخذ المثال الغربي، وعندما نتكلم عن الديمقراطية ونأخذ المثال الغربي كمثال لنا، ونعتقد أن الفكر الليبرالي يمكن أن يعيد لنا شأننا، فإن هذا المشهد يؤكد لي أن التبعية الفكرية والسياسية وجدت لخدمة أنظمة ساعدت تكريس الواقع العربي، هي في الأساس كانت تابعة أو نصبها الاستعمار. في ما بعد جاء جيل ثوري ونشأت الأحزاب التقدمية العربية التي نهضت بالمشروع النهضوي من جديد، لكن هذه الأحزاب بفعل ما تتعرض له من ضغوط ومضايقات ومصادرة تعطّل مشروعها النهضوي، لذلك أرى أنه لا بد من تحريك هذا المشروع من خلال الأجيال العربية الجديدة في الحياة الثقافية والسياسية العربية، لأن هذه الأجيال لا تزال الآن لم تفسد والقدرة على مصادرتها محدودة، وهناك مثل هو أبناء الانتفاضة الذين لم تحركهم مؤسسة، وجاء دور المؤسسة بالتالي، فقد حاولت استيعاب الانتفاضة ومصادرتها لصالحها لتحسين صورتها من خلال احتضان الانتفاضة، فالانتفاضة نشأت استجابة لنداء ذاتي وواقعي، هناك واقع حتم عليها أن تواجه ووجدت نفسها مطالبة من ذاتها بالمواجهة قبل أي جهة أخرى.

- د. جبارات: هذا السؤال يطرح تحدياً لتحديد مفهوم المشروع النهضوي العربي قبل الشروع في الحديث عنه أو حوله، والإجابات عن هذا السؤال مختلفة، وأنا أرى أن المشروع موجود وليس وهمًا فالعرب ميالون إلى النهوض والتقدم بطبعهم ومعتزون

بما لديهم، والمجتمع العربي والإسلامي يملك في ذاته مقومات هذا المشروع من حيث مستوى الوعي بالأخطار الخارجية، وازدياد وعي الذات ووعي الآخر وسبل مواجهة التحديات والأخطار، في الوقت الذي لا يزال التحدي الرئيس فيه ماثلاً أمام الأمة العربية والإسلامية، والمتمثل في الكيان الصهيوني الغاصب الجاثم على أرض فلسطين، ولا يزال يحمل المخططات التفتيتية والهيمنة، متماثلاً مع الاستراتيجية الأمريكية والغربية التي زرعتها في قلب هذه المنطقة.

وهذا التداخل والتدخل من القوى الغربية الاستعمارية في المنطقة أيقظ الإحساس بالخطر الذي كانت تلونه القوى الغربية الاستعمارية بألوان مختلفة تبعاً لسياساتها ومصالحها لدى المثقفين وأبناء هذه الأمة، وعرى «فقهاء السلطان» من المثقفين والمتعاونين من هذه الأمة معها. أضف إلى ذلك أحداث الحادي عشر من سبتمبر والمتغيرات الدولية والتحديات التي فرضت على الأمة العربية في هذه المرحلة، وما نشهده من عدوان على فلسطين واستهداف العراق، كلها خلقت تساؤلات لدى الإنسان العربي عن دوره في هذه المرحلة، وما قام به الشعب اللبناني من تحرير لأرضه بالمقاومة ودحر الاحتلال الصهيوني عن أرضه دون شروط ومفاوضات، وما يقوم به الشعب الفلسطيني المجاهد والمثابر، والرفض الواضح للسياسة الأمريكية المنحازة بشكل إلى الكيان الصهيوني، كلها مؤشرات تعزز السير قدماً في مشروع أو مشاريع نهضة عربية إسلامية موجودة.

- عايش: أعتقد أن النهضة العربية لن تنطلق وتفوز في غياب المنهج الديمقراطي والمناهج المواتية له في السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم. وأي تنظير فلسفي أو ديني أو علمي يتجاوز ذلك لن يؤدي إلى النهضة.

وعلى سبيل المثال فإن الجامعة العربية شكل من أشكال الاتحاد الفضفاض أو المهلهل الذي لا يلزم سياسياً الأعضاء بشيء حتى في حالة الإجماع لو تحقق. لقد

كانت الجامعة وغيرها من المنظمات العربية والنقابات وراء اتحادات نوعية شتى بدءًا من اتحاد كرة اليد مرورًا باتحاد الأطباء والمهندسين والبريد والمجلس الاقتصادي. إلا أن وجود كل هذه الاتحادات التي تغطي كل جوانب الحياة والنشاطات العربية لم يؤد إلى تحقيق الوحدة أو الاتحاد. لأن الأنظمة العربية ليست ديمقراطية، ونظام الحكم في كل الأقطار العربية خالد والوطن زائل.

ونزعة البقاء لدى الإنسان تدفعه إلى التثبيت بكل وسائل البقاء التي ألخصها في ثلاث وسائل أسميها «المثلث الذهبي» وهي: السلطة والقوة، والثروة، والجنس الآخر، وبالسلطة والقوة تحصل على الثروة، وبالسلطة والثروة تحصل على الجنس الآخر وبالعكس، ولقد عانت البشرية من نزعة الإنسان إلى التسلط، والديمقراطية بمعناها الحقيقي الراسخ وليس بأشكالها الخارجية المزيفة هي أحد أعظم الاختراعات والابتكارات البشرية عندما صارت السلطة بيد الشعب.

## ● مقومات

ما هي مقومات المشروع ومدخلاته؟

- عتريسي: أدعو إلى محاولة الانتقال من التفكير النظري المجرد والفلسفي المطروح إلى محاولة التقدم خطوة إلى الإمام في تحديد معوقات وأولويات النهضة، وأعتقد أن عوامل تحقق النهضة هي عوامل متكاملة ويؤثر بعضها على بعض. على سبيل المثال نحن بحاجة إلى تجاوز التخلف، والتقدم في الجوانب العلمية والحريات الديمقراطية والمؤسسات والإدارة، نحن بحاجة إلى التقدم على هذا الصعيد، والنهضة تعني أن نتحرر من الاحتلال، فلسطين هي قلب هذه المنطقة، وإذا كان الاحتلال موجودًا ومستمرًا ومهددًا، فمعنى ذلك أن النهضة ستكون منقوصة، والنقطة الأخرى هي وحدة هذه المنطقة، فلا نستطيع التحدث عن النهضة على

مستوى كل قطر منفصل عن الآخر في عالم اليوم؛ عالم الوحدات الكبيرة، خصوصاً أن هذه المنطقة لها مكونات واحدة على مستوى اللغة والدين والجغرافيا... إلخ. فإلى أي مدى كان يمكن لهذا المشروع (النهضة العربية) أن يتقدم بمعزل عن أولوية التحديات أو التهديدات التي فرضت على العرب من الخارج؟ رغم وجود تعليم وإنفاق على البحث العلمي وتعليم المرأة في البلدان العربية، إلا أن ذلك ليس يعني شيئاً إذا كان القرار السياسي العربي مرتباً للقوى الأجنبية، مع عدم التقليل من أهمية تحسين إطلاق الحريات وأوضاع المرأة. إلا أننا نشير ذلك في إطار أولوية التحديات التي تفرض على الأمة من خارجها ومن خارج إدارتها، المقصود من التركيز على قضية الأولوية بالنسبة إلى مشروع النهوض العربي هو المقارنة مع الأفكار التي تدرس طبيعة الأنظمة والفجوة بينها وبين مواطنيها وعدم تطبيقها للتنمية الشاملة على العامل الخارجي الإقليمي والدولي ودوره في تعثر النهضة.

والسؤال الذي يجب طرحه هو: هل يفترض أن نبقي نتحدث عن كل شروط النهضة بشكل متزامن بحيث يبدو في بعض الأحيان وفي بعض التنظيرات أنه لا يمكن أن نحقق شيئاً، أي جعل الصورة سوداوية إلى درجة من الإحباط الشديد؟ وإلى درجة يمكن جعل الإنسان يفكر بأنه لا يستطيع القيام بأي شيء؟ أنا أدعو إلى التأكيد على أولويات للنهضة، مع موافقتي على شروط ثلاثة كشروط أساسية في النهضة هي: مواجهة التخلف والتحرير والوحدة.

إن فكرة أن هناك أولويات ينبغي القيام بها للبدء بأي عمل أو مشروع هي في غاية الأهمية، إضافة إلى التأكيد على أن نقوم نحن وليس أي أحد غيرنا بتحديد هذه الأولويات، وهنا يقع خلاف بين الباحثين، فالبعض يقول إن التخلف هو أولوية، وإذا لم نقم بعملية تحديث لكل شيء في مجتمعنا فنحن لا نستطيع أن نواجه الغرب ونقاتل إسرائيل، وهناك نقاش كبير، والبعض يرى ضرورة تغيير الأنظمة الحاكمة لنقوم بعد

ذلك بالتحريير أو نقوم بعد ذلك بالوحدة، أما رأيي فـخلاف ذلك، إذ أرى أن ما يقطع وجهات النظر هو التهديد الخارجي الذي يفرض نفسه كتهديد، ومنذ سنتين نعيش الخارج كتهديد مباشر ويومي ومعلن، ولا يحتاج الأمر إلى كثير من التفكير والنقاش. فإسرائيل تقول بأنها ترفض كل الاتفاقيات التي عُقدت مع الفلسطينيين، حتى الاتفاقيات التي يعتبر البعض أن فيها تنازلاً وتخلياً عن قضايا، وإسرائيل تريد تدمير هذه الاتفاقيات وتريد القضاء على السلطة الفلسطينية.. هذا تهديد واضح.

أما النقطة الأخرى، فإن الولايات المتحدة الأمريكية بعد 11 سبتمبر قالت إنها تريد تغيير هذا النظام أو ذلك في المنطقة العربية، وإن استراتيجيتها الجديدة في ما يسمى «العمل الاستباقي»؛ فهي تريد أن تضرب عندما تعتقد أن قوة معينة يمكن أن تضربها، هذا الأمر سوف يسبب فوضى في العلاقات الدولية، وسيزرع القلق والرعب في كل أنحاء العالم، فالتهديد موجه بالدرجة الأولى إلى الدول العربية والإسلامية، وواضح ومعلن ولا يحتاج إلى كثير من النقاش.

وأقول إن هذا التهديد الخارجي يفرض نفسه علينا كأولوية، لذلك إذا أردنا أن نرتب أولويات النهضة فسوف تكون مواجهة الاحتلال الإسرائيلي ومواجهة التهديد الخارجي الأمريكي، وهذا الأمر باعتقادي هو الذي يصوّب مسار النهضة في هذه المرحلة، وأعتقد أيضاً أن أولويات النهضة يمكن أن تكون أولويات متحركة وليست أولويات ثابتة، فإذا كنا مثلاً نعتبر الآن أن أولوية النهضة هي تجاوز التخلف، فإن هذا الأمر يحتاج إلى تعديل لنقول إن الأولوية هي مواجهة الاحتلال الخارجي، لأننا قد نذهب إلى البناء الداخل والإدارة وتحديث الجسور... لكن بسبب وجود التهديد الخارجي الأمريكي تحديداً، لا شيء يمنع أن تخرج الطائرات غداً وتقصف كل المؤسسات العلمية وكل الجسور والطرق والبنية التحتية، وبالتالي نخسر كل شيء لهذا السبب، فإنني أؤكد على أن التهديد الخارجي يفرض نفسه كأولوية ويقول عن

نفسه إنه هو أولوية، فالنهضة هي قضية موازين قوى، والاختلال في هذه الموازين يدفعنا إلى الاعتقاد بترتيب أولويات النهضة فنجعل على رأس تلك الأولويات مواجهة التهديدات الخارجية التي قد تطيح بمنجزات التنمية العربية والبشر والحجر. فنجاح المقاومة في فلسطين شكل مشروع نهضة عربية فلسطينية أشمل، كما نجحت المقاومة في لبنان بإلحاق هزيمة بالتهديد الخارجي في الوضع الذي كان فيه الوضع الداخلي مهزوزاً وشديد الاشتباك، ولهذا السبب يتعرض لبنان لضغوط اقتصادية لإلغاء المقاومة من مشروع أعماله النهضوي، ولهذا السبب يتعرض أيضاً الشعب الفلسطيني لضغوط أمنية وسياسية واقتصادية أكثر قسوة لإلغاء المقاومة من أولوياته النهضوية واستبدالها بالمقترحات الأمريكية الإسرائيلية.

فهذه الأولوية يجب أن تكون هي المقياس الذي يجب أن يسترشد به الباحثون والمثقفون والحكومات والقوى الوطنية والأحزاب في مواجهة هذا الاحتلال وهذا التهديد الخارجي، وأن يكون الآن مطروحاً على جدول الأعمال كيف ندعم الانتفاضة في فلسطين لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي ومواجهة التهديد الخارجي الأمريكي، هاتان النقطةان ينبغي أن تكونا على جدول أعمال أي مؤتمر أو بحث كتفكير فعلي في تطوير النهضة وتفعيلها.

## ● فوضى

- البرقاوي: أرى أن هذا التناقض بين النظام السياسي والشعب سيتحول إلى فوضى عارمة في المنطقة العربية، وهذه الفوضى هي التي سننجم واقعاً جديداً، أي بصراحة؛ الأمر محتوم بحتمية أن نعيش في حالة فوض خصوصاً إذا ما استمر الأمر على ما هو عليه.

في فلسطين هناك انتفاضة من كل الأطراف الشعبية.. حماس إلى جانب الجهاد والجهة الشعبية وفتح والديمقراطية.. لماذا هم إلى جانب بعض؟ هناك حركة

وفاعلية على الأرض. أما السلطة الفلسطينية فهي غير قادرة على إيجاد حل كامل لعلاقتها بهذه الحركات، ففي معمعة الكفاح المشترك ضد عدو خارجي تزول الأيديولوجيات، لا بأس في ظهور الاختلافات، فكلما برزت الاختلافات كان المجتمع حيًّا. لكن كيف تتحول الخلافات إلى خلافات مثمرة على مستوى تأكيد حرية الفرد والنظر إلى المستقبل، وبناء مجتمع يشعر كل إنسان أن له دورًا فيه؟ أنا لا أريد مجتمعًا ذا أيديولوجيا واحدة فهذا خطر وموات، ونقطة موات الاتحاد السوفيتي أنه أراد أن يجعل المجتمع ذا أيديولوجيا واحدة، وهذا غير ممكن، فقد قضى على الاختلاف فقضى على نفسه.

ففي الاختلاف أنت تجدد نفسك دائمًا، وفي التناقضات والحوارات تجدد نفسك، في قول «لا» تجدد نفسك، أهم شيء قول لا وليس نعم، هم يريدون أن نقول دائمًا نعم، يريدون أن نرقص رقصة القروود وليس رقصة فرح، يريدون أغنامًا، نحن أغنام الآن.. لكن هم ليسوا أكباشًا، فبهذا المعنى أعتقد أن العالم العربي قد يعيش حالة من الفوضى.

- السامرائي: أنا صاحب فكر قومي وأؤمن بالوحدة، لكن للأسف أعترف أن الوحدة لن تتحقق الآن لأن القطرية قامت على تفتيت المجتمع الواحد، فالآن نحن نرمم في داخل الدولة القطرية المجتمع الواحد.

من جانب آخر ما دام هناك حكام يتشبثون بكرسي الحكم فالوحدة لن تتحقق، فهي؛ أي «الوحدة» تحتاج أناسًا مؤمنين بها ويستطيعون التخلي عن مصالحهم الشخصية مقابل ذلك، وإذا وجدنا عندنا حكامًا من هذا النوع فستقوم الوحدة بشكل طبيعي، أما إذا لم يوجد فستكلم عن الوحدة كدرب من الآمال لن يتحقق أبدًا، والأجيال الجديدة ستكون فاعلة وتتسلم قيادة المجتمع.

الحرية شيء أساسي والسلطة معوق لأنها تصادر الحريات ولا تُعنى بالتقدم الحقيقي، الديمقراطية نطالب بها ونريدها أن تأتي بقرار، فيجب أن تنمو الديمقراطية مع المجتمع، ويجب الارتفاع بالمستوى الثقافي والحضاري والمدني للمجتمع وبالتالي هو يصنع ديمقراطيته ويفرض على السلطة الاستجابة لها. المجتمعات العربية الآن هي أكثر تخلفاً عن الخمسينيات، فخلال الخمسينيات كانت هناك بنية واضحة للمجتمع في المدينة، الآن سيطر الريف على المدينة وفرض قيمه عليها وبالتالي أصبحت المدينة العربية متريفة، يجب أن تكون المدينة مركز إشعاع للأطراف المحيطة بها وتكون هي المثل الذي يحتذى لكن نحن نعمل العكس.

وعندما نتكلم عن النهضة العربية يجب أن نكون بعيدين عن رد الفعل المباشر، أدعو زملائي إلى عدم بناء كتاباتهم وأفكارهم على ردود الأفعال، فرد الفعل لا يبني شيئاً، يجب أن نؤسس الفعل، فإذا كانت أوروبا تفعل شيئاً ما وتوظف أموالها في مشاريع معينة، والوحدة الأوروبية قامت رغم أنه لا تجمع دولها لغة، فلماذا لا نؤسس فعلاً موازياً بما يحقق مصالحنا ويخدم أمتنا؟! لماذا لا نقيم السوق العربية المشتركة، ونقيم المشاريع الاستثمارية العربية؟!

لدينا الأموال والعقول والعمالة، فلماذا نكون رد فعل، لماذا لا نبني الفعل؟ يجب أن ننمي المجتمع العربي وكل المقومات موجودة، وطريق النهضة طريق واحد أختصره بكلمتين: إنهاء التبعية.

## ● ثقافة مقاومة

- د. جبارات: يهياً للباحث أن هناك خطوطاً عامة غير منتظمة، لكنها تبدو منسجمة وقادرة على الفعل ضمن رؤى متقاربة، وفي الوقت الذي ما زالت فيه الدولة القطرية غير قادرة على طرح أي مشروع نهضوي عربي فإن مقومات وفرص قيام هذا المشروع النهضوي موجودة، ولا خلاف حولها في الوطن العربي حالياً إذا ما تمت مقارنته

بمشروعات النهضة في جنوب شرق آسيا بعد الحرب العالمية الثانية، فهذه الدول استوردت التكنولوجيا الغربية والمواد الخام ووظفت رؤوس الأموال الغربية في الوقت الذي استطاعت فيه الإفلات من التبعية السياسية والاقتصادية العمياء للغرب، واستطاعت أن تحقق نهضة صناعية اقتصادية في فترة قياسية رغم أنها لا تملك المقومات التي يملكها العرب، وتجنبنا الخوض أيضًا في الفلسفات والأفكار الغربية، وقاومت الاستغراب لصالح الثقافة المحلية والإمكانات المحلية لمواطنيها، ودولها. أما ما لدينا وهذا أعتبره عائقًا، فما زال عدد من المشتغلين بالمشروع النهضوي العربي مستمرين في التنظير لفلسفات عصر النهضة الأوروبية أو الحداثة أو العولمة أو الماركسية وغيرها.

لا شك أن الرهان على النخب العربية - المسلمة، سواء تلك التي وظفتها الدولة القطرية أو تلك التي بقيت خارج إطار الدعوة القطرية ذات الأفق القومي في إبراز مشروع نهضوي عربي، يبدأ من دراسة معمقة للإخفاقات في مشاريع الوحدة العربية، ويرسم خطأ واضحًا ومميزًا لمسار الوحدة، وإيجابيات وسلبيات هذا المسار في الماضي القريب، ويؤشر إلى التحديات الحالية، وبناء ثقافة مقاومة ثم معالجة سبل وألويات المواجهة، وربما يجد هذا التيار دعمًا رسميًا من دولة قطرية أو أكثر ليجد طريقه إلى النهوض بأعباء المرحلة، والشارع العربي مهياً وقادر وملتزم بالمسار العام إذا وجد من يصدقه القول والفعل.

- عايش: نجاح أوروبا في تجربتها وفشلنا نحن سؤال يجب على العرب أن يطرحوه على أنفسهم، ففيه يكمن درس الوحدة الذي لم نتعلمه بعد، لقد توهمنا طيلة العقود الماضية أن الشعوب العربية الممزقة في أقطار ودول ستتحده بمجرد الدعوة السياسية لذلك أو بانقلاب عسكري وإلى ما هنالك، لأنها تتماثل في اللغة والدين والتاريخ والتحديات والأخطار، ولكن ذلك للأسف لم يحدث، وأشكال الوحدة والاتحاد

سرعان ما انفرطت، فلماذا؟ إنني أعتقد أن الجواب موجود في الاتحاد الأوروبي، أما الاعتبار فموجود في الفكر أو التفكير العربي من الوحدة والاتحاد.

لقد اتحد الأوروبيون الذين حاربوا بعضهم البعض مئات السنين في حروب إقليمية وعالمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في أي قارة أخرى أو بين دول أخرى، لتمثالهم أخيراً في مناهج الحياة ووسائلها، فدول الاتحاد الأوروبي المختلفة لغة ومذهباً وتاريخاً تماثلت في المناهج أو الوسائل، وبالتالي أدى هذا التماثل إلى تماثل في المصالح والمشكلات والأخطار والتحديات.

لقد تماثلت في المنهج الديمقراطي والاقتصادي إنتاجاً وتوزيعاً واستهلاكاً، والمنهج الثقافي والتربوي والإعلامي والاتصالي... إلخ. وبذلك وجدت طريق الوحدة والاتحاد سهلاً وممكناً، وقد حدث ذلك، بينما لم نستطع، نحن العرب المتماثلين في اللغة والدين والتاريخ والتحديات والأخطار، الاتحاد لغياب تلك المناهج أو الوسائل المناسبة للعصر الحالي، فأساليب الوحدة أو الاتحاد القديمة بالانقلاب أو بالقوة لم تعد فاعلة ولا مقبولة.

قد يقال إنه تماثل بين مجمل الدول العربية الديكتاتورية، فلماذا لا تتحد؟ والجواب أن الديكتاتور لا يتحد مع ديكتاتور آخر، لأنه جاء ليبقى ويخلد، ولو اتحدا سيقول أحدهما للآخر أنا سيد وأنت سيد فمن سيحلب البقرة؟ قد يتحالف ديكتاتور مع ديكتاتور آخر، ولكنه لا يتحد معه ويذوب فيه، وقد يفرض أحدهما على الآخر الاتحاد بالقوة أو بالحيلة، لكن الوحدة أو الاتحاد لا يدوم، ومن هنا في نظري يمكن نسبة جزء كبير من مقاومة أمريكا والغرب الديمقراطي لنشوء مناهج ديمقراطية في البلدان العربية، لأنها يمكن أن تؤدي إلى الوحدة ويصبح التأثير السياسي على قرارات العرب صعباً وليس سهلاً جداً بحكم الفرد القائد أو الديكتاتور، والحزب الديكتاتور أو الرائد. قارن يا أخي إذا أردت أن تفهم ما أعني العرب بإسرائيل، وكيف صمدت

إسرائيل المدعومة من الغرب أمام العرب كلهم، بل هزمتهم جميعاً، بسبب تمتعها بقدر من الديمقراطية، وإن كانت عنصرية، والحقيقة أن الديكتاتور قلما يهزم ديمقراطياً، قد يهزم ديكتاتوراً مثله، لكن التاريخ يثبت أن الدولة الديمقراطية أقوى وأقدر على البقاء.

## ● أصالة وحدائة

الأصالة والحدائة في المشروع النهضوي العربي من الأشياء المهمة أو لنقل المعضلات،

هل يبني المشروع على نقل المعارف؟

- عتريسي: باعتقادي ليست هناك أي مشكلة في الاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى على مستوى النهضات التي حققتها، خصوصاً أن أكثر التجارب الإنسانية في السابق والآن هي تجارب متواصلة، الشعوب تستفيد من التجارب، والحضارات تتفاعل وتتلاقى، هذه القاعدة لا تقول جديداً ولا يجب أن يدعى أحد أنه أكثر انفتاحاً لأنه يقول بالانفتاح والتعرف على تجارب العالم، هذه مسألة حقيقية وواقعية.

أما النقاط التي ينبغي الإشارة إليها فهي ضرورة الانتباه، عندما نقول بالانفتاح على تجارب العالم، للثوابت في ثقافتنا التي ينبغي المحافظة عليها وبعد ذلك لا مانع من الانفتاح على أي تجربة وقراءتها، كدراسة كيفية تعامل الأوروبيين في معالجة مشاكل التخلف ومشاكلهم الداخلية ومواجهة الخارج، هذه التجارب يمكن الاستفادة منها لمعرفة إمكانية تطبيقها في بلادنا. ومن حيث المبدأ يجب أن نعرف على أي أرض نقف.. هل نحن نقف في الهواء وليس لدينا ثوابت وندعو إلى الانفتاح؟ أم أننا نقف على ثوابت محددة وبعد ذلك نفتح على كل ما يسمى حداثة وتجارب العالم وحضارات الشعوب؟

وبرأيي هذه ليست مشكلة على الإطلاق، بل تغني التجربة وتزيدها وتفعل النهضة، لكن شريطة تحديد الثوابت التي ننتمي إليها وهي مكونات الثقافة التي ننتمي إليها.

ما تأثير ذلك على النهضة؟ هذا سؤال مهم لأن هذا يفترض أنه هل من الممكن أن تحصل النهضة فقط من خلال ما يكتب عن النهضة؟ هذا هو الجانب التأثري الأقوى؟ فإذا كان معظم الكتاب يكتبون أن التراث هو مرجعية النهضة، أو أن التخلي عن التراث هو سبيل النهضة، وأن نقد التراث وتخليصه من الشوائب هو سبيل النهضة... فهل سيؤدي ذلك إلى النهضة؟

أنا أعتقد أن هذه المساهمات إذا كانت معزولة عن دوائر التأثير الفعلية فإنها تبقى في إطار المساهمات النظرية، ما هي دوائر التأثير الفعلية؟ هي الدوائر التي لها علاقة بمؤسسات مختلفة كالمؤسسة الدينية مثلاً، فإذا كانت هذه المؤسسة غير مقتنعة أو بعيدة عما يطرح بشأن الدين والتراث فإن هذا الكلام يبقى تأثيره محدوداً وفي أوساط النخب التي تطرحه فقط؟

وهذا ينسحب على الأفكار الأخرى؛ فمن المؤكد أن يبقى تأثيرها محدوداً في الأوساط التي تطرح داخلها إلا إذا اشترك المعنيون والجميع فيها، لأنني أعتقد أن مشروع النهضة ليس مشروعاً نظرياً فقط، وإن كان يمكن أن يسترشد بمرجعية نظرية له لأنه لا يمكن لأي عمل إلا أن يستند لمرجعية نظرية تقوده. نحن هنا لا نطلق من الصفر، ولا نريد أن نبني مشروعاً ليس له بنى لم تكن موجودة سابقاً، ولا نفكر بمشروع جديد نريد أن نؤسس له تأسيساً نظرياً جديداً، نحن نطرح مشروعاً لنهضة عربية لأمة موجودة وشعب موجود منذ مئات السنين، ومرّ بتجارب مختلفة وحقق تقدماً معيناً وأصيب بنكبات معينة، لذلك المشروع الثقافي لا يمكن أن يكون مشروعاً منفصلاً عن تجربة هذه الأمة بتقدمها وإخفاقها وبطبيعة الثقافة التي تحملها، لهذا السبب عندما يكون الفكر الثقافي المطروح بعيداً تماماً عن كل هذه التجربة وعن حقيقة الثقافة التي ينتمي إليها هذا الشعب، فإن هذا الفكر لا يمكن أن يحقق أي تقدم، التقدم الذي يمكن أن يحصل على مستوى أي نهضة عندما يكون الفكر الثقافي

المطروح له علاقة بتجربة هذا الشعب في هذه المنطقة، وثقافة هذا الشعب في هذه المنطقة، عند ذلك يمكن أن يكون الفكر الثقافي تطويراً أو دفعاً إلى الأمام وليس مجرد فكر نظري معزول عن كل ما هو موجود في هذه المنطقة.

- برقاوي: هذه قضايا قديمة، عندما يكون الواقع سيئاً تختلط الأمور، وعندما لا تكون المسائل واضحة يكون المفكر غير واضح، وقد فشلت حركات التحرر القومية والشيوعية فإذن لا حل إلا الإسلام؛ بمعنى أننا نرى البديل جاهزاً. وأريد القول أنه عندما يختفي الفعل عن الأرض يتسلى الناس في الصراعات الأيديولوجية، عندما تكون فاعلية أرضية تخف هذه التسلية. في أي حال، إذا استطعت أن توحد الناس على أي فكر أو توجه فهو الإنجاز الذي نريد، ولكن أي التوجهات يمكن أن توجه العرب؟ أعتقد أن المناقشات والمحاججات في هذا الإطار عقيمة ولا تجدي نفعاً.

- السامرائي: قضية الأصالة والتجديد أعتبرها ثنائية زائفة ينبغي ألا نفكر فيها، يجب التفكير في أننا نعيش في عصر ولنا تراث يمكن أن يستجيب لهذا العصر، وحتى يحدث ذلك لا أقول قال فلان كذا فيجب أن أفعل كذا، بل يجب استئناف القول والإضافة إليه، هذه الإضافة هي التي تحقق النهضة، أما القول بإقامة جدل بين التراث والمعاصرة والأصالة والحدثة، وهذا الجدل ينتج قيمة ثالثة بحسب الديكالتيك الماركسي، فهذا شيء لا يكون إلا تعطيلاً للمشروع النهضوي.

والانحراف الذي حصل في المشروع العربي والذي أشرت إليه ابتداء من الجيل الثاني هو محاولة إلغاء معالم شيء والإقامة والتأسيس على شيء آخر، هو عدم النظر إلى الواقع العربي بمعطيات هذا الواقع الأساسية، والتمثل بالمشروع الغربي أو القول بأن التجديد هو الحدثة الغربية. وهذا أنتج تحركاً «للتقليدية» باتجاه التحرك للدفاع عن مواقعها، وتقوّل أن التراث هو أساس كل شيء.. هذا خاطئ، فهناك أفق للعصر، وهذا الأفق غير مستمد من الغرب، إنما أعيش عصري ويجب أن أنظر إلى تراثي وحضارتي

من خلال أفق عصري، أي ألا أعود، وإنما أتقدم بالماضي إلى المستقبل، ما يخدم الحاضر والمستقبل من هذا الماضي فأوظفه ليكون عوناً لي.

## ● تحالف

ما تأثير تحالف سلطة النص مع السلطة السياسية على المشروع النهضوي العربي؟

- عتريسي: أعتقد أن الانسجام برز منذ عقدين تقريباً مع صعود ظاهرة الصحوة الإسلامية، أو ما يطلق عليه البعض الإسلام السياسي أو الحركة الأصولية أو ما شابه ذلك من استخدامات مختلفة تعكس أيضاً خلفيات مختلفة في هذه التسميات، وأعتقد أن ما حققته هذه الظاهرة «الصحوة الإسلامية» من شعبية واسعة، وما شكلته من تهديد لبعض الأنظمة ومن صدمات مباشرة معها، دفع بعض هذه الأنظمة إلى استخدام هذا الخطاب الديني في محاولة منها لسحب البساط من تحت أقدام هذه التنظيمات الدينية حتى لا تحتكر الخطاب الديني، لأن هذا الخطاب خطاب شعبي، ولأنه ينسجم مع المكون الثقافي لشعوب هذه المنطقة، لأن الدين هو العمود الفقري برأيي لثقافة هذه المنطقة. من هنا لجأ بعض الرؤساء العرب أو المسؤولين لاستخدام الألقاب الدينية وإضافتها على أنفسهم اعتقاداً منهم بأن هذا الخطاب يجعلهم أقرب إلى الشعب، ويقطع احتكار التنظيمات الإسلامية التي كانت تصعد بقوة في العقدين الماضيين، وأعتقد أن هذه الأسباب هي التي دفعت بعض الأنظمة لاستخدام الخطاب الديني.
- برقاوي: القضية ليست قضية نص أو غيرها، فالنظام السياسي له مصالح فوق النص المقدس وفوق الإسلام وفوق المسيحية والأيدولوجيا والقومية، فإذا وجد أن من مصلحته توظيف الإسلام لصالحه يفعل ذلك، وإذا كان من مصلحته ضرب الإسلاميين يفعل ذلك، فليس لديهم خط فكري واضح سوى خطهم المصلحي فقط، فالقضية قضية مصالح: فتش عن المصلحة ولا تفتش عن الأيدولوجيا.

## ● متغيرات دولية

ما تأثير المتغيرات الدولية التي أفرزتها أحداث 11 سبتمبر على مثل هذا المشروع

النهضوي؟

- عتريسي: المنطلقات التي قامت عليها السياسة الأمريكية ما بعد أحداث سبتمبر من أخطر الاستراتيجيات برأبي، فالاستراتيجية الأمريكية التي قامت خلال الحرب الباردة قامت على عقيدة الردع النووي، بمعنى امتلاك السلاح النووي ليخلق توازنًا مع من يمتلك هذا السلاح، لكن هناك انتقال إلى مبدأ جديد «مبدأ بوش»، وهو الردع الاستباقي.

وتعني هذه الاستراتيجية امتلاك القوة واستخدامها قبل أن يستخدمها الخصم المفترض، ومن هنا نفهم الحديث عن العراق، فالكلام عن العراق أنه يمتلك أسلحة دمار شامل يمكن أن يستخدمها في المستقبل فيجب ضربه قبل ذلك، هذه هي الاستراتيجية الأمريكية، كذلك إيران قد تمتلك أسلحة نووية أو أسلحة دمار شامل ويمكن أن تستخدمه في المستقبل فيجب ضربها الآن، وهذا الأمر يمكن أن ينسحب على دول أخرى كثيرة، ويمكن استخدام منطق آخر، وهو أن دولة معينة تدعم الإرهاب وتؤوي ما تسميه الولايات المتحدة «حركات إرهابية»، قد تقوم هذه المنظمات بعمل ضد إسرائيل أو أمريكا أو حلفائها فيجب أن تضرب، هذه استراتيجية خطيرة تخرق كل العلاقات الدولية وتضرب الأسس التي تنظمها.

- البرقاوي: هناك سايكس بيكو جديد للمنطقة ومهياً أمريكياً وبريطانياً بشكل خاص، مع بعض التغييرات في هذا المشروع بمشاركة أطراف عربية لا تظهر نفسها في المشهد العام، ولكنها في حقيقة الأمر مع إعادة ذلك، ومن ثم يصار إلى إيجاد تسوية للقضية الفلسطينية على الطريقة الأمريكية الإسرائيلية، فيضمنون بذلك استمرار استقرار المنطقة أمريكياً، لأن من أهداف أمريكا الأساسية في المنطقة أن تظل إسرائيل قوية

بالإضافة إلى المحافظة على تدفق النفط، والقضاء على كل حركة راديكالية قومية أو إسلامية للحيلولة دون ظهورها.

وهذا لن يتحقق إلا بإعادة ترتيب للمنطقة، فالمشروع الأمريكي ضد العراق هو مشروع أمريكي ضد المنطقة ككل، فيجب الانتباه إلى هذه القضية.

- السامرائي: يا لها من استراتيجية خطيرة جداً، فالأمة العربية من خلال العراق مستهدفة في عقلها وهي مسألة خطيرة جداً، وأنا أدعو زملائي من المثقفين العرب إلى أن يتأملوا في الخطاب العدواني الأمريكي، الذي يوجه اسمًا إلى العراق والمقصود به الأمة العربية ككل، وأدعوهم إلى تحليل مفردات هذا الخطاب وإلى أين ترمي، فهي ترمي إلى إعادة الأمة إلى مسألتين: مسألة سايكس بيكو جديدة لإعادة تقسيم المنطقة بما يخدم مصلحة وأمن إسرائيل. والمسألة الأخرى ضمان سيطرة أمريكا على نفط المنطقة وبالتالي التحكم في أوروبا، لأن من يهدد مستقبل أمريكا اقتصاديًا أوروبا واليابان والكتلة الآسيوية.

إذا كانت الهجمة الأمريكية على العراق فقط، فإنني ضمن رؤيتي كمثقف عربي معني بقضايا الواقع والفكر والإنسان عامة، أجد أن هذه الهجمة موجهة إلى الأمة ككل وإلى إنسان هذه الأمة، هناك نهضة وتقدم على مستوى الإنسان العربي، وبالمقابل هناك تراجع على مستوى الأنظمة العربية، الولايات المتحدة تحاول عقد تحالفات مع الأنظمة التي يمكن أن تنضوي تحت لوائها وتحارب الشعوب، تحارب نهضة الشعوب والإنسان العربي الذي يعمل على صياغة مستقبله بعيدًا عن حالة التبعية التي أغرقته فيها الحقبة الاستعمارية السابقة، والهجمة الأمريكية تستهدف بؤرة ومنطقة أساسية في هذه الأمة.

## • يأس من الأنظمة

ما هي الإمكانيات العربية المتاحة لمواجهة هذه الاستراتيجية؟

- السامرائي: لدينا هذا الوعي ويجب تعميمه على مستوى جماهيري لأنني شخصياً يأس من الأنظمة التي لا تستطيع تقديم شيء أكثر من المحافظة على وضعها بأكثر قدر من المهانة، نحن الذين نستطيع أن نُفعل دورنا، والإنسان العربي غُيب عن رسالة المستقبل العربي، وعلينا العودة إلى هذا الإنسان وفك رموز احتلاله وأن نفرض على هذه الأنظمة كيف تتصرف وكيف تتحرك لهذه المواجهة، أي أن نجعلها في المنطقة الحرجة التي تشكل لها حرجاً تاريخياً، لأن ما جرى ويجري وقد يجري مستقبلاً من اصطفاك بعض الأنظمة إلى جانب العدو يمثل إهانة كبرى للتاريخ والإنسان العربي، فإذا تحركنا وكنا نحن الطليعة التي تؤسس لهذا الأمر وتسير باتجاهه فسنخرج هذه الأنظمة ونعريها، وسيكون الحساب مع التاريخ كبيراً، فهذه الأنظمة تتوهم أنها بانصياعها للإرادة الخارجية ستبقى محافظة على وضعها، لكن هذا شيء من الأوهام التي تعيشها الأنظمة العربية، لأن حدوث هذه الهجمة سيأتي بأنظمة جديدة شكلية تمثل للإرادة الغربية أو الإرادة المشككة لهذه الأنظمة، ولدينا أمثلة من التاريخ كثيرة للاحتلالات التي جرت للأمة العربية قبل سايكس بيكو وبعدها. ولا يُقلق الغرب أكثر من إيجاد علاقات جيدة بين الدول العربية، فعودة العلاقات بين سورية والعراق أقلق الغرب كثيراً، فسورية وجدت عمقها الاستراتيجي والعراق وجد عمقه الاستراتيجي، إضافة إلى المؤشرات الجيدة عن تحسن العلاقات العراقية الخليجية، وهو ما سيعطي هذه الدول إمكانية قول لا لبعض الأشياء، وهذا شيء غير مطلوب في الغرب وأمريكا.

أما فيما يتعلق بما يجب أن يتم فعله فأنا على يقين من أن للمثقفين العرب والمفكرين دوراً بارزاً في هذا الأمر، وهم يتحملون جزءاً كبيراً من المسؤولية لأنه في ربع القرن

الأخير تخلى كثير منهم عن أدوارهم والتحقوا بالأنظمة والسلطات، وأصبحوا لاهئين من أجل مكاسب لم تعد عليهم إلا بالضرر وازدراء الشارع لهم، هذه الحالة أطلق عليها البعض سقوط المثقفين، وأطلق البعض عليها أيضًا تبعية المثقفين أو انهيار المثقفين.

فالمثقف يجب أن يعمل مستقلاً عن السلطة، لأنه حينما يدخل مع السلطة سيكون سلطوياً ولن يقول أكثر مما تريده السلطة، هناك مثقفون ظنوا أن الأنظمة ملأت أفواههم ذهباً ليكتشفوا بعد حين أنها مليئة بشيء آخر أو معدناً من أرخص المعادن، وفي النتيجة كانوا قد منعوا من الكلام.

على أي ما أزال متفائلاً بكثير من المثقفين الذين أبعثوا أنفسهم عن الأنظمة ولن يدخلوا في آلة النظام اليومية التي تملي عليهم المواقف بحيث يبدل مواقفه كما يبدل حذاه، وهناك مثقفون عصموا أنفسهم من هذا الانهيار، وهناك أجيال جديدة أعول عليها كثيراً. ورغم أن هذه الأجيال نشأت في واقع مستلب فإني أعتقد أن الوعي المتكون سيكون شيئاً آخر لأن هذه الأجيال لم يطلها الفساد، ولتكن مجموعات سابقة عاشت هذه الحالة من الفساد وانتهت دوراً وكلمة، وأنا أعول على الأجيال الجديدة التي يمكن أن تستأنف الوعي المطلوب والحالة النضالية، وتبدأ دوراً جديداً في النهضة العربية.

- البرقاوي: على المستوى النظري، إذا قرر العرب أن يفعلوا شيئاً يمكن أن يفعلوه لكن يجب الأخذ بعين الاعتبار أن جزءاً كبيراً من النظام العربي حليف للولايات المتحدة الأمريكية، وهؤلاء الحلفاء ربما لا تقع الشبهة بهم أمام شعوبهم، وسيقدمون خطاباً مختلفاً عن ممارستهم، لذلك هب أن هناك إجماعاً عربياً فلماذا سيفعلون في حالة ضرب العراق؟ سيقولون لك لا ندرى، سأصدقهم أنهم ضد ضرب العراق وأعتبر أن نياتهم طيبة في هذه النقطة، لكن ماذا سيفعلون في حالة ضرب العراق؟ لماذا لا يقولون

لنا، هل ستقطعون علاقاتكم بالولايات المتحدة الأمريكية؟ هل ستغلقون القواعد الأمريكية الموجودة لديكم في بلدانكم؟ هل ستوقفون النفط؟ ماذا ستفعلون؟ هل ستقاطعون البضائع الأمريكية؟ لا أحد يتكلم بهذه الطريقة، وهذا يعني عدم جدية موقفهم إزاء العراق.

وفي أي حال أريد التأكيد على أن الشارع العربي الذي تحرك من المحيط إلى الخليج، يجب الآن أن يتحرك مرة أخرى في مقدمته المثقفون الذين لم يتقاعسوا عن التحرك، لكن للأسف فإن تحرك الشارع يأتي في غياب الشخصية السياسية لهذا الشارع، فالملايين خرجوا إلى الشوارع يؤيدون الانتفاضة بعفوية، على أن الأمر جرى في غياب الشخصية السياسية والحزب السياسي والنقابي المعبرة عن هذه الجماهير.

## المغلاة في التفسيرات ومداداة الجراح!<sup>(1)</sup> ..

### المتعاطفون مع الإرهاب

بدا المشهد الذي أحدثته التفجيرات الإرهابية في عمان، قلب العروبة النابض وحاملة هم الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية النازفة والمشتعلة في المنطقة، أقول بدا المشهد حزينا إلى أبعد حدود الحزن، وغاضبا إلى أبعد حدود الغضب، فالحزن على التشرذم الذي يتشظى في جسم الأمة، وكانت عمان تقاومه وتؤشر على مخاطره، هو نفسه الذي أصابها في القلب دونما ذنب اقترفته، وبلا مبرر، وطال مدنيين أبرياء، وضيوفا وزائرين مدنيين يُستقبلون في الأردن بترحاب وأريحية دون شكوك أمنية أو سياسية، وفي أماكن معروفة بالإجماع في الأردن وفي كل دول العالم على أن روادها مدنيون آمنون مصانة حقوقهم وحریتهم.

وقد لوحظ أن هذا الحدث، على فظاعته وبشاعته، قد صُنف من قبل البعض من ذوي الأجندة السياسية الخارجية الخاصة، على أنه اختراق أمني كبير للساحة الأردنية، وفي هذا المجال فإن قراءة الحادث الأليم في سياقه الأمني - السياسي ضرورية، لكي لا يتسع تفسير هذه الجهات ليصبح هو الأساس الذي تستند عليه الطروحات الداعية إلى التشرذم والتشظي والدمار والخراب وإشاعة الفوضى. الملاحظة البادية للعيان، أن هذا الحادث تم في وقت متزامن تقريبا، وفي ثلاث فنادق سياحية في عمان، وأن توقيت التفجيرات وتزامناتها، ونوعية المتفجرات المستخدمة وطريقة التنفيذ، ينمان عن جهة مدربة ومنظمة ومحترفة أرسلت هؤلاء الجناة الذين أعشي على أعينهم وُضِّلوا التنفيذ مآرب هذه الجهة الواعية لما تقوم به، وما تهدف إليه، ولذلك فإن الاحتمالات الأمنية والتخمينات عن اتهام الجهات

(1) المغلاة في التفسيرات ومداداة الجراح! المتعاطفون مع الإرهاب، آراء وتعليقات، العدد 12836.

المنظمة أو الداعمة لهؤلاء القتلة يجب أن تبقى مفتوحة، وأن لا يجري أي تصنيف لهذه الجهة أو اتهام أحد دون دليل مادي ملموس وواقعي ومثبت قانونياً وأصولياً، لكي يتم مستقبلاً التعامل مع مثل هذه الجهات بصورة منهجية مختلفة، ولكي يتم تجاوز آثار هذا الحادث الأليم وتداعياته.

هناك أيضاً استهداف هذه الجهة لهدف سهل، واستغلال تسهيلات حرية الوصول لهذه الأهداف لإحداث مزيد من الخسائر البشرية والمادية وإفزاع الأمنين، وإحداث بلبلة كبيرة في كل الأوساط، وواضح من هذه الصورة أن الجهة التي أرسلت الجناة لديها مخطط واضح، يحدث كل هذا وأكثر منه، وأنها تنتظر مثل هذه النتائج لتمرير مخططات أوسع.

الأجهزة الأمنية الأردنية المختلفة هي، بحسب العارفين بالاستراتيجيات الأمنية للدول الحديثة، وعلى ضوء معايير إعداد واستعداد ونوعية منتسبيها، وتجهيزاتها، وتعاملها السريع والعقلاني مع أي طارئ هي الأكفأ في عموم المنطقة، ولم تكن استجاباتها مع هذه الطوارئ في هذه المرة أقل كفاءة، بل إن العارفين شهدوا لها بالكفاءة والقدرة والسرعة ودقة التنظيم في التصدي لهذا الحادث الأليم.

لذلك فإن الاستعجال في التفسير والمغالاة في الجانب الإعلامي يجب أن لا تدفع إلى إعادة بناء منظومة أمنية أردنية جديدة، على ضوء ردات فعل آنية، مع أن الحادث الأليم حادث كبير ومفجع وفي عقر دارنا العزيزة بقيادتها ورجالها، لكن ليس المطلوب من أي دولة أو أي جهاز أمني أن يفتش من يبحث عن إقامة في فندق، أو أن يحضر حفلة عرس أو حفلة خاصة، أو ندوة أو محاضرة. هذا ليس عمل أجهزة الأمن الوطنية في ظل دولة ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان وحرية وكرامته وحقه في التنقل والدخول إلى مختلف الأماكن العامة.

الأردنيون قادرون على تجاوز ما حدث بقدرة قيادتهم على إدارة الدفة وقلب السحر على الساحر، وعلى إجراء حوارات ولقاءات ودراسة بدائل، واتخاذ مواقف صارمة، وربما

إعادة النظر في بعض التسهيلات لبعض الأشقاء الذين لم يقدرُوا على استيعاب تسهيلات الأردن، النابعة من قلب كبير، ومن صدر ربح استطاع أن يستوعب في السابق مناضلي ومجاهدي الأمة على اختلاف آرائهم ومواقفهم السياسية وبرامجهم وتناقضاتها، وكان الأردن قادراً على تضييد جراح الأمة في كل المراحل وفي كل المعارك والمصائب والأزمات التي حلت بها وفي كل الأوقات، بل إن الأردن قادر على أن يداوي جراحه، وأن يصوب مسدسه إلى رأس المدبرين واقتناصهم. وكان سلاح الأردن ولا يزال نظيفاً من الغدر والخيانة، إذ كان دائماً سلاح الجندي الشهم الذي لا يرفع سلاحه إلا ليقتل العدو مباشرة، لا خائفاً ولا متردداً ولا وقافاً أو طائش يد.

## في ذكرى معركة الكرامة<sup>(1)</sup>

لا شك أن معركة الكرامة شكّلت منعطفًا تاريخيًا هامًا في مختلف جوانب الصراع العربي - الصهيوني، وعلى مختلف المستويات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية ومستوى الوعي، وعلى مستوى تحفيز العسكرية العربية، ومعنويات الشعوب والجيوش العربية.

وكانت الكرامة حلقة في سلسلة متصلة من الأحداث التاريخية كان لها مقدمات ونتائج وتداعيات؛ لذلك فإن رؤية المعركة كحدث منفصل لا يمكن أن تعطي هذا الحدث بعده المحلي أو الإقليمي أو الدولي، ولا بدّ من أن نُطلّ على هذه الملحمة البطولية من زوايا مختلفة لنذكر حجمه وكنهه ومغزاه.

اشترك الأردن في حرب 1967م مع كل من سورية ومصر رغم خلافاته السياسية الواسعة مع الأخيرة، لأن المغفور له جلالة الملك الحسين أدرك أن المواجهة العربية مع إسرائيل كانت حتمية وستصبح حقيقة واقعة، وأن الفرقة العربية تضعف الصف العربي، فوقع معاهدة الدفاع العربي المشترك مع مصر في 30 أيار 1967م، بعد أن وقّعت مصر هذه المعاهدة مع سورية. وكانت سلسلة إجراءات اتخذها الرئيس المصري جمال عبد الناصر في غضون أسبوع واحد (5/22-5/30) تنبئ بقرب إعلان حرب عربية على إسرائيل، ومنها:

- سحب قوات الطوارئ الدولية، ورفض وساطة الأمين العام للأمم المتحدة.
- دفع قوات برية مصرية إلى سيناء.
- إغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية.

---

(1) محاضرة في مسرح كلية عمان بمناسبة احتفالات الأردن بالذكرى السادسة والأربعين لمعركة الكرامة.

- التهديد بصواريخ قاهر وظافر.
  - وتهديد إذاعة صوت العرب بقيادة أحمد سعيد (تجوع يا سمك).
- وقد أدت الهزيمة الكارثة في حزيران 1967م إلى احتلال إسرائيل للضفة الغربية للأردن، وقطاع غزة، وسيناء، والجولان السورية.
- وكان من أسباب الهزيمة:

- ✓ سيطرة سلاح الطيران الإسرائيلي على الجبهات العربية الثلاث.
- ✓ اتساع الجبهة وامتدادها نحو (300) ميل، وضآلة حجم القوات المدفعة في ظل وجود (63) ألف جندي مصري يتدخلون في الشؤون الداخلية لليمن.
- ✓ أخطاء القيادة العربية المشتركة التي شكَّها الرئيس عبد الناصر، وتأخرها في إصدار الأوامر، وتأخر وصولها، وعدم معرفة طبيعة الأرض التي تقاتل عليها.
- ✓ عدم امتلاك القوة والاستعداد الكافي للحرب من قبل العرب في ظل تعاطف العالم الغربي مع إسرائيل نتيجة تهديدات عبد الناصر.

وأضاف صلاح نصر مدير المخابرات المصرية في عهد عبد الناصر أسباباً أخرى وجيهة:

- أن القوات المصرية لم تكن على استعداد لخوض حرب شاملة مع إسرائيل، وأن هذه القوات عُبت بطريقة عشوائية لخدمة هدف عبد الناصر السياسي.
- أن القيادة العسكرية المصرية تخبطت في إصدار الأوامر العسكرية، وأن القيادة العليا السياسية في مصر تدخلت في تفاصيل المعارك.
- أن القوات المصرية كانت مُعدَّة للحفاظ على أمن الثورة المصرية والنظام السياسي وليس لحرب شاملة.

كانت نتيجة حرب 1967م صدمة للشعوب العربية التي انتظرت بفارغ الصبر طوال (19) عامًا منذ (1948م) وعود الأنظمة العربية وعلى رأسها نظام الرئيس عبد الناصر

للقضاء على الكيان الإسرائيلي، ضمن شعارات ثبت أنها مضللة كان منها: «قومية المعركة»، و«الوحدة طريق التحرير».

نسوق هذه الحقائق في ظل هجمة مشبوهة يثيرها أحياناً بقايا صحفي من عهد عبد الناصر هو محمد حسنين هيكل ضد الأردن الشعب والجيش والقيادة، ولنوضح الصورة فقط.

أعقبت هزيمة حزيران حرب استنزاف طويلة على خطوط وقف إطلاق النار بين الأردن وإسرائيل، التي أُقرت بموجب قرار مجلس الأمن الدولي (242)، بينما لم تسمح سورية أو مصر عبد الناصر بأي محاولات فدائية لاخترق الحدود باتجاه إسرائيل بعد حرب حزيران 1967م.

وقد واجه الأردن في الأشهر العشرة التي فصلت بين هزيمة حزيران وبطولات الكرامة تحديين:

الأول: معالجة الآثار الاجتماعية والاقتصادية والقضايا الإنسانية للاجئين، وإعادة بناء القوات المسلحة الأردنية، وتجاوز ما خلفته الهزيمة من آثار بما فيها رفع معنويات القوات المسلحة والشعب الأردني، وقد عمل الأردن على تنظيم وإدامة وحماية خط المواجهة مع إسرائيل، ووضع خطط هجوم معاكسة لأي هجوم عسكري إسرائيلي محتمل. واهتم ببناء القدرات العسكرية الأردنية من حيث التسليح والتنظيم والتدريب في ظل شح الموارد والإمكانات المتوفرة، وقد ذكر قادة عسكريون أردنيون أنهم بهدف إصلاح بعض المعدات العسكرية لجؤوا إلى «الخرذة».

الثاني: مواجهة تداعيات حرب الاستنزاف التي رافقتها اعتداءات عسكرية إسرائيلية على المواقع العسكرية الأردنية والطرق والمباني والمؤسسات العامة والمخيمات من خلال المدفعية وسلاح الجو الإسرائيلي. واستمرت الاعتداءات الإسرائيلية طيلة فترة ما بعد حرب حزيران 1967م، واشتدت في الأشهر الثلاث التي سبقت معركة الكرامة، ونود

أن نذكر منها أيام 1968 / 1 / 25، ويوم 1968 / 2 / 8، ويوم 1968 / 2 / 11، فقد شنَّ الجيش الإسرائيلي عدواناً شاملاً على جسر الملك حسين، وجسر المجامع ومُني فيهما الجيش الإسرائيلي بخسائر فادحة.

وفي يوم 1968 / 2 / 15م قصفت إسرائيل مناطق واسعة في شمال الأردن، ما أوقع ثمانية شهداء من القوات المسلحة الأردنية كان منهم الشهيد الرائد الركن منصور كريشان قائد كتيبة الحسين الثانية الذي نعاه جلاله الحسين في رسالته إلى القوات المسلحة التي جاء فيها: «لقد أصبحت الرجولة صناعة قواتنا المسلحة، وشيئتها الأبدية». وأضاف جلالته: «ومن أولئك الشهداء الرائد الركن منصور كريشان الذي عرف درب البطولات قبل اليوم في معارك القدس قبل شهر».

كما أوقع العدوان الإسرائيلي شهداء في صفوف المدنيين في إربد، المشارع، تل الأربعين، قميم، الشونة الشمالية، المشروع، والباقورة.

### ● أهداف معركة الكرامة

لم تكن معركة الكرامة نزهة عسكرية، ولم تكن محاولة إسرائيلية محدودة لتأديب بعض الفصائل الفدائية، لكنها كانت حرباً شاملةً على طول جبهة بلغ (100 كم) من جسر الأمير محمد/ دامية إلى منطقة الغمر/ غور الصافي، وقد أُبلغ الدبلوماسيون الإسرائيليون في الخارج بتهيئة الرأي العام العالمي إلى هجوم إسرائيلي على نطاق واسع ضد الأردن، وكانت إسرائيل بحسب الوثائق التي نشرتها لاحقاً تهدف من هذه الحرب إلى:

أولاً: احتلال المرتفعات الأردنية الوسطى (البلقاء) والسيطرة عليها لأهداف استراتيجية مرتبطة بالسيطرة على بقية مناطق المملكة ودزّتها عمان، والسيطرة على غور الأردن كاملاً بوصفه أرضاً خصبة ومنتجة.

ثانياً: تهجير سكان الضفة الغربية بشكل قسري وجماعي لحل المشكلة الديمغرافية في الأراضي المحتلة على حساب الأردن، ضمن مخطط توسعي صهيوني كان ولا يزال قائماً

على تهجير السكان الفلسطينيين بشكل مُمنهَج، وكانت آخر تجلياته الجدار العازل وأطروحات الدولة اليهودية «النقية».

ثالثاً: إضعاف إرادة المقاومة لدى الشعوب العربية بشكل عام والشعب والجيش الأردني، وجعل الجبهة الأردنية جبهة ساكنة وتحطيم الروح المعنوية وروح الصمود لدى الجيش والشعب الأردني.

رابعاً: التمهيد لمفاوضات سلمية منفردة أردنية - إسرائيلية تُفرض على الأردن لحل القضية الفلسطينية على حسابه.

خامساً: بعض المحللين أشاروا إلى هدف آخر هو إرغام الأردن على الاستعانة بالاتحاد السوفيتي، وتعطيل إتمام صفقة الأسلحة الأمريكية الموعودة للأردن بعد حرب 1967م التي كان من ضمنها (36) طائرة ميستير ودبابات باتون.

### ● القوات المشاركة

الإسرائيلية: اللواء المدرع/7، اللواء المدرع/60، لواء المظليين/35، لواء المشاة/80، خمس كتائب مدفعية ميدان، أربع أسراب طائرات مقاتلة، طائرات مروحية (هيلوكبتر) قادرة على نقل أربع كتائب مؤلّلة. وقُدّرت القوات البرية الإسرائيلية المشاركة بـ(15) ألفاً.

القوات الأردنية: فرقة مشاة ولواء غير مكتمل، والفرقة هي فرقة المشاة الأولى بقيادة العميد مشهور حديثه الجازي ومؤلفة من: لواء الأمير الحسن بن طلال/60 بقيادة الشريف زيد بن شاكر، لواء الأميرة عالية بقيادة العميد كاسب صفوق، لواء القادسية بقيادة قاسم المعاينة، اللواء الهاشمي بقيادة العقيد صالح الشرع، ولواء حطين بقيادة العميد بهجت المحيسن.

قُدّرت القوات الأردنية المشاركة في المعركة بنحو (5-6) آلاف فرد، وكانت القوات الأردنية المشاركة تُشكّل نحو ثلث حجم القوات الإسرائيلية، مع تفوق الأخيرة في المجال

التقني، وحادثة المعدات، ونظم الاتصالات المتطورة، ودعم لوجستي من سلاح الطيران الإسرائيلي، ودعم طبي وطواقم إخلاء حديثة ومنظمة.

استمرت المعركة ست عشرة ساعة، من الساعة 5.30 صباح يوم 21/3/1968م إلى الساعة التاسعة مساءً، وكان حاخام الجيش الإسرائيلي (أباني نسيم) الذي رافق الجيش الإسرائيلي في حرب 1967م إلى القدس، يرافق الجيش الإسرائيلي، وقد قرأ طوال اليوم تعاويذ من التوراة.

قاد المعركة جلالة الملك الحسين، وقد عقد في البداية اجتماعين مطولين: الأول في دار رئاسة الوزراء، والثاني في غرفة عمليات القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية، ثم تفقد ميدان المعركة شخصياً، وحثَّ الجنود على الاستبسال في المعركة دفاعاً عن الوطن، معتمدين على الله وقدراتهم الذاتية، مؤكداً جلالته أن المعركة ستستمر لآخر طلقة وآخر جندي.

بينما كانت القوات المسلحة تدير المعركة بقيادة وزير الدفاع القائد العام للقوات المسلحة الأردنية المشير حابس المجالي، ورئيس هيئة أركان الجيش الفريق عامر خماش، والقيادة الميدانية بقيادة العميد مشهور حديثه الجازي قائد فرقة المشاة الأولى. وينسق عمل القيادة والمعلومات المقدم غازي عربيات مدير الاستخبارات العسكرية.

تفاصيل المعركة خلال المحاور الثلاث ومقرب الصافي معروفة، واضطر الجيش العربي للالتحام مع الجيش الإسرائيلي بالسلاح الأبيض ظهراً. واضطرت إسرائيل -لأول مرة- أن تبادر لطلب وقف إطلاق النار عن طريق مجلس الأمن الدولي، فرفض الملك الحسين الموافقة على ذلك ما دام هناك جندي إسرائيلي واحد شرق نهر الأردن.

بعد عدة محاولات يائسة من قبل الجيش الإسرائيلي لتحقيق تقدم في الأراضي الأردنية باتجاه السلط، والكرامة، ومثلت المصري، ومثلت العارضة، المريصد، ومصنع البوتاس، ونتيجة لتكبده خسائر فادحة، اضطر الجيش الإسرائيلي للانسحاب، وترك بعض المعدات

التي حصلت عليها القوات المسلحة الأردنية كغنائم منها: 20 دبابة، 6 ناقلات جنود، 3 سيارات نقل وجيب.

الخصائر الإسرائيلية

- 250 قتيلا.

- 450 جريحا.

- 50 دبابة.

- 60 آلية مختلفة.

- 7 طائرات.

الخصائر الأردنية

- 87 شهيدا بين ضابط ومرشح وجندي، بعضهم استشهد لاحقاً متأثراً بجراحه.

- 108 جرحى.

- تدمير 17 آلية مختلفة.

- تدمير 3 مدافع هاون 3 بوصة.

- تدمير 3 مدافع 106 ملم.

- تدمير 3 مدافع روكت.

- تدمير رشاشين متوسطين عيار 500.

## • نتائج المعركة

- أعادت المعركة للقوات المسلحة الأردنية والعربية والعسكرية العربية بشكل عام ثقته بنفسها وقدراتها، وأخذت منها القوات المسلحة المصرية فكرة التخطيط المسبق لملاقاة العدو وكيفية اجتياز الحواجز المائية واستخدمته في حرب رمضان 1973م.

- وضعت القوات المسلحة الأردنية حدًا لأطماع إسرائيل التوسعية شرق نهر الأردن.

- استبعاد المواطن العربي كرامته التي خال أنه فقدتها بعد هزيمة 1967م.
- إعادة إحياء خيار المقاومة، وإعداد القوة والقدرة على تحقيق نصر على جيش إسرائيل الذي طوّر هالة سوّقتها على العرب والعالم بأنه «جيش لا يقهر».

## الاغتراب في المجتمعات المعاصرة<sup>(\*)</sup>

### في المصطلح ومظاهره

يستخدم مصطلح الاغتراب في شتى مناحي الحياة الفكرية المعاصرة، ولعلّ أول من ابتدعه كاصطلاح هو الفيلسوف الألماني جورج هيغل (ت: 1831م)، وورد في كتابه «فينومولوجيا الروح» الصادر عام 1807م، وأشار فيه إلى مجالين مختلفين للاغتراب، الأول: الاغتراب الإيجابي المقبول الذي أطلق عليه «التخارج» بمعنى تمام المعرفة بذاتها، ونشوء الوعي الذاتي في العلاقة مع الآخر الكلي. والثاني: الاغتراب الإيجابي الذي قال إنه يشأ في ظروف تاريخية معينة تتميز بالانهيار الثقافي والحضاري والسياسي، وفقدان الحرية والوحدة.

ولعلّ كلمة اغتراب في اللغة العربية مشتقة من الأصل «عَرَبَ» بمعنى ذهب، ويُقال اغرب عني؛ أي تباعد، وعَرَّبَ وعُربَةً وعُرابة: نزع عن وطنه، والعَرِيبُ هو البعيد عن وطنه، وَيَتَضَحُّ من ذلك أن جذر الكلمة يتضمن التناهي عن الوطن والبعد عنه. ويقال أيضًا: الْمُعْتَرِبُ ويقصد به المهاجر خارج وطنه.

وفي اللغات الأجنبية ترتبط الكلمة بالأصل اللاتيني (Alienare) التي تعني غير المنتمي أو غير المتوافق مع الآخرين، وتفيد كذلك معنى انتقال المُلْكِيَّة من شخص لآخر، وخلال مرحلة الانتقال يصبح الشيء منفصلاً عن مالكة الأول، ومنها اشتقت الكلمة الإنجليزية (Alienation) التي تُفيد حالة الشرود الذهني واللاوعي والاغتراب الداخلي، وتحوّل العلاقة مع الآخرين إلى علاقة فاترة، وقد تجذّر مفهوم الاغتراب في المجتمعات الغربية من خلال تطور العُلْمَانِيَّة الغربية فكرياً وسياسياً<sup>(1)</sup>.

(\*) مقال نشر في مجلة «أفكار» العدد (314)، تموز 2015.

ومن مظاهر الاغتراب أن المرء يغدو حاملاً لمشاعر العداة أو اللامبالاة بدلاً من التفاني (Devotion) والارتباط<sup>(2)</sup>، وتحظى الكلمة بالأولوية من حيث الترداد في الفكر المعاصر، وترد في مؤلفات المفكرين والباحثين المشتغلين بالتحليل النفسي وتفسير الظواهر والمشكلات المتعلقة بالفجوة بين الأجيال، أو قضايا الوجود الأصيل والزائف، كما ترد في سياق النقد الذي يُوجَّه غالباً «لطبيعة العمل وسيره في المجتمع الصناعي... ومن غربة كونية، ومظاهر من الفساد والتفسخ الاجتماعي التي تستشري في العالم الحديث؛ بصورة تكاد تُبدد وجود الإنسان وصحته النفسية»<sup>(3)</sup>.

ولم يكن مصطلح الاغتراب واضحاً ومحددًا في بداية استخدامه خلال أوائل القرن التاسع عشر؛ لذلك فقد فسّر كظاهرة اجتماعية من قبل المفكرين بصور مختلفة تنسجم مع وجهات نظرهم وطرائق تفسيرهم للظواهر الاجتماعية.

وبينما ذهب هيغل في دراسة الإنسان إلى المذهب الطبيعي، ووعي الذات الإنسانية لنفسها وتبني المادية؛ إلا أنه أكد على أن الدين تحقّق موضوعي للسمات الإنسانية التي كان يعزو إليها جوهرًا خارقًا للطبيعة، وأن قوة الإنسان مرتبهة بوجود قوة موجودة وفاعلة وخارجة عنه. وساهمت أفكار هيغل في تشكيل الماركسية.

وقد أكد كارل ماركس (ت: 1883م) على أن الاغتراب يعني التخارج أو الانفصال بين الإنسان وروابطه المقدسة التي يعزى إليها وجوده؛ أو اغتراب الإنسان عن نفسه. وأفاد لودفيغ فيورباخ (ت: 1872م) من سابقه في تطوير نظرية الاغتراب الديني، إذ اعتبر أن الدين الحقيقي إنساني، ومنبثق عن الذات الإنسانية.

ويستخدم الاصطلاح في مجال العلوم الاجتماعية حاليًا في الدلالة على فقدان الفرد لذاته واغترابه عنها؛ فيستنكر ذاته وأعماله، وتفضي به هذه الحالة إلى كره الحياة والابتعاد عن المجتمع واعتزاله، وإحساسه بالانفصال عن الواقع الاجتماعي مما يُعتبر حالة اضطراب نفسي مرضي.

ولذلك فإن مصطلح الاغتراب في السياق النفس اجتماعي يُعبّر عما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة وفتور وجفاء مع الآخرين؛ بينما اعتُبر المصطلح في الشعر العربي بمعناه الوجداني: «النزوح عن الوطن والبعد والنوى والانفصال عن الآخرين، ولم تقتصر على البعد المكاني؛ وإنما تعدّت ذلك إلى تعبير الإنسان العربي عن مشاعر الخوف والرجاء والشوق والحنين وترقّب الموت»<sup>(4)</sup>.

### • الاغتراب الاجتماعي

عرّف ماركس الاغتراب بصور شتى منها الاغتراب السياسي للفرد في المجتمع، حين يصبح تأثير السلطة الطاغية مجرد وسيلة ولعبة لقوة خارجة عنه، ثم يُفضي إلى الاغتراب الاجتماعي حين ينقسم المجتمع إلى طوائف وطبقات، وتخضع الأغلبية للأقلية، وخُلص إلى نتيجة مؤداها أن لا سبيل لتخلص الأغلبية من الأقلية إلا بالثورة، وأن الفرد مجبر على الاستجابة لمطالب السلطة الحاكمة الدكتاتورية التي ترى في الفرد مجرد سلعة أو شيئاً تملكه هذه السلطة؛ وأن على الأكثرية أن تمثل وتطبق ما تريده الأقلية التي تملك وسائل الإنتاج، ولذلك لا بُدَّ، في هذه الحالة، من وقوع تغيير جذري في المجتمع<sup>(5)</sup>.

ويرتبط الاغتراب الاجتماعي عملياً بظاهرة الهجرة الوثيقة الصلة بالفرص المتداخلة أو الوسيطة؛ وهي الفرص المتمثلة في عدد المساكن المتوفرة، وعدد الوظائف الشاغرة، وأماكن التعليم وغيرها من العوامل التي تدفع إلى الهجرة.

وتفرز الهجرة آثاراً اجتماعية ونفسية منها: المساهمة في نشوء مجتمعات معقدة التركيب الاجتماعي، وغير متجانسة وتسودها الفرقة والانقسام، وتعدّد أنماط السلوك الاجتماعي بسبب تنوع أعداد وأصول الوافدين وتباين مستوياتهم الاجتماعية والثقافية، ثم فقدان التماسك والتجانس والوحدة الاجتماعية؛ ليصبح المجتمع أرضاً خصبة لأشكال التفسخ الخلقي وتفشي الجرائم الاجتماعية والسلوكية المستوردة<sup>(6)</sup>، ثم التأثير على هويّة المجتمع، وعلى حالة التوافق بين الفرد والمجتمع وزيادتها اضطراباً.

## • الاغتراب الاقتصادي

يرى عالم النفس والفيلسوف الألماني إريك فروم (ت: 1980م) أن الاغتراب هو الحالة التي يشعر فيها الفرد بأنه ليس المالك الحقيقي لثروته وطاقته؛ بل يشعر بأنه كائن ضعيف يعتمد كيانه على وجود قوة خارجية لا تمت له بصلة<sup>7</sup>؛ فبينما يرى الفيلسوف هيربرت ماركوز (ت: 1979م) أن العلاقة بين الاغتراب والعامل الاقتصادي تعود إلى أن: «المجتمعات المتحضرة مجتمعات كابته وقامعة... وأن القمع والكبت ينشأ عن عوامل اقتصادية، وهو راجع إلى ندرة المادة الاستهلاكية؛ لذا فالمجتمع الصناعي المتقدم يمتلك الإمكانيات الضرورية للقضاء على الاستعباد؛ وبتخفيض ساعات العمل، وإتاحة الفرصة لأعضائه ليعيشوا بدون قمع أو كبت لغرائزهم لأن مجتمع الوفرة يقل فيه الكبت، ويزول فيه الصراع بين غرائز الفرد وأوامر المجتمع»<sup>8</sup>.

لكن بالنظر إلى تمركز القوة الاقتصادية في يد قلة حاکمة تمارس الإدارة المفرطة، وتكرس جهودها لخلق حاجات مصطنعة مثل الموضة، الإعلان والترويج وسواها من وفرة في كماليات الحياة؛ فإن ذلك يؤدي إلى زيادة حدة اغتراب الأفراد، ربما دون شعورهم بذلك.

ويلاحظ أن الاغتراب يشير دائماً إلى علاقة بين عدد من الأفراد، وأحد مظاهر البيئية، وهذا المظهر السيئ غالباً يمكن أن يكون حقيقياً أو متخيلاً ضمن الإطار الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع؛ لذلك فإن تطور المجتمع باتجاه التصنيع يَسْتَحْدِثُ أنماطاً جديدة من السلوكات والقيم والظواهر التي تبدو مرتبطة بالتصنيع والمجتمعات الصناعية، والمجتمعات الطاردة والمجتمعات المستقبلية للعمالة، ولهذا كُله ارتباط وثيق بظاهرة التحضر (Urbanization)؛ أي ظهور المناطق الحضرية ونموها<sup>9</sup>، وهو ما شكّل إحدى الظواهر البارزة في القرن العشرين.

ومنذ العقد الأخير فإن الاغتراب أخذ اتجاهاً جديداً ومنعطفًا حاداً، بعد أن سادت العولمة التي عمّقت صراع الأضداد في الثقافة والمجتمع العربي، وأدخلت آليات تقنية ومعرفية تعمق حالة الاغتراب الثقافي ثم الاجتماعي والحضاري؛ في ظل عملية الانخراط غير الواعي للمجتمعات العربية في عصر العلم والتكنولوجيا. وهو موضوع لدراسة لاحقة.

## • قائمة المراجع

1. International Encyclopedia of Social Sciences, David L., Editor, 18 Vols. Macmillan Company and the Free Press, New York, 1972, Vol. 1-2, p. 264.
2. جازية كيران، الاغتراب العمالي في منشآت صناعية جزائرية: عوامله ونتائجه، (رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة الجزائر)، 1988م، ص 29.
3. محمود رجب، الاغتراب.. سيرة مصطلح، دار المعارف، ط4، 1993م، ص 5-6.
4. فايز الحديدي، مظاهر الاغتراب وعوامله لدى طلبة الجامعة الأردنية، دراسة ميدانية، رسالة دكتوراة غير منشورة مقدمة لجامعة عين شمس، 1990م، ص 21-22.
5. جازية كيران، مصدر سابق، ص 32.
6. حسن الخياط، الرصيد السكاني لدول الخليج العربي، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، 1982م، ص 329.
7. جازية كيران، مصدر سابق، ص 36.
8. المصدر السابق نفسه، ص 38.
9. الطاهر بوشلوش، صراع القيم لدى العمال الصناعيين من أصل ريفي.. دراسة سوسيولوجية بمركب السيارات الصناعية - لروبية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة الجزائر، 1991/1992م، ص 66.

## خصائص التربية والتعليم

### وظروفها في فجر الإسلام<sup>(1)</sup>

الكتاب: تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام

المؤلف: د. عامر أبو جبلة

تعتبر هذه الدراسة فريدة في مجالها، فقد استعرضت جانباً مهماً من التاريخ الحضاري الإسلامي في فترة صدر الإسلام، وهي فترة مبكرة وأساسية وهامة من تاريخنا الإسلامي، وعليه فلا عجب أن يقدم لهذه الدراسة الدكتور عبد العزيز الدوري / أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي بالجامعة الأردنية، فقد جاء في تقديمه، ص 6: «لقد جمع الباحث هنا بين التخصص في التاريخ والإعداد التربوي الضروري، وهذا ما يجعلنا نرحب بدراسته، ونأمل أن يتابع البحث في هذا الحقل ليخدم التراث ولينفع الناس».

وتألف الدراسة من تمهيد وخمسة فصول، وتضمن التمهيد تعريفاً بمصادر الدراسة ونقداً داخلياً وخارجياً لهذه المصادر وللرواية، وأبرز ما تميزت به هذه المصادر من معلومات تفردت بها، أو ركزت عليها دون غيرها.

بينما تضمن الفصل الأول المعنون «المعلمون وتعليم الصبيان» تعريفاً لدلالة كلمة علم، وتطور هذه الدلالة بتطور المجتمع وحاجاته، فقد أصبحت هذه الكلمة تطلق على قراء القرآن الكريم والفقهاء، ثم شملت معلمي الصنائع والحرف، ثم عالج الكاتب موضوع أجور المعلمين، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من بدأ بصرف رواتب المعلمين من بيت مال المسلمين، ثم مكانة المعلمين في المجتمع، إذ كان ينظر إلى دورهم بالتقدير، ثم في فترة لاحقة جرى التندر على دور معلمي الصبيان في كتب الأدب، ثم

(1) مقال منشور في جريدة الرأي الأردنية.

تطرق الكاتب إلى تعليم الصبيان من حيث أماكن التعليم ومواده، ومواعيده وعقاب الصبيان وتطور الاهتمام بتعليم الصبيان.

أما الفصل الثاني وهو بعنوان «مؤدبو أبناء الخلفاء والولاة» فقد تركز على الجانب السلوكي والآداب الاجتماعية السائدة في تأديب أبناء الخلفاء وعقابهم، كما أن اتخاذ المؤدبين لأبناء الخلفاء والولاة كان قد بدأ في عهد معاوية بن أبي سفيان، وكان المؤدبون من بين أشهر العلماء فقهاً وقراءة للقرآن الكريم، ومعرفة بأنسب العرب والأخبار والسير، وسمح للمؤدبين بإنزال العقوبة بأبناء الخلفاء شريطة أن تتم بعيداً عن أعين حاشية الخليفة. وفي الفصل الثالث المعنون «حلقات التعليم ومجالسه» عرف الكاتب معنى الحلقة والمجلس. واستعرض موضوعات التعليم التي كان أسلوبها يعتمد على السماع والعرض، كما تناول الباحث الرحلة في طلب العلم، وكيفية الإنفاق عليها في ظل توسع حلقات التعليم ومجالسه في مختلف الأمصار. وضمن هذا الفصل ناقش الباحث الوضع المعاشي للعلماء الذين يديرون حلقات التعليم ومجالسه. ثم قارن بين المكانة السامية التي تمتع بها العلماء في ذلك العصر، لدورهم الثقافي الهام في المجتمع، وترفعهم عن تقاضي أجور مقابل التعليم، وخاصة علماء الفقه والقائمين على تعليم القرآن الكريم، ومكانة القصاص الذين تدنت منزلتهم عندما أصبحت مجالسهم تضم النساء إلى جانب الرجال، وانشغلوا بالقصص عن تعليم القرآن الكريم، ورضي البعض منهم أن يوظف مجالسه لأغراض سياسية زمن الفتنة.

وفي الفصل الرابع تناول الباحث تعليم المرأة في صدر الإسلام، فقد عني المسلمون بتعليمها القراءة والكتابة في البيت ثم في الكتاب، كما اهتم المسلمون بتعليمها القرآن الكريم وحفظ الحديث وروايته والتفقه بالدين في المساجد، كما اعتنى بتعليمها اللغة العربية والتمريض والشعر ورواية الأخبار وأنسب العرب، ثم تأديب المرأة لابنتها بالآداب العامة السائدة، ويتضمن الكتاب شواهد كثيرة في كل مجال من هذه المجالات.

أما الفصل الخامس والأخير فقد حُصص لـ«الوسائل المعينة على التعليم» وتناول الباحث فيه أدوات الكتابة والكتب والمكتبات، ولاحظ الكاتب أن المتعلمين كانوا يستعينون بكل المواد المتوفرة للكتابة عليها بهدف التعلم وحفظ العلم. وكان الاهتمام بطبيعة الحال منصباً على نسخ القرآن الكريم، وقد عرفت وراقة المصاحف في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أورد الباحث أسماء مجموعة من العلماء الذين كانت لديهم مكتبات خاصة في فترة صدر الإسلام، وأفادوا منها بالتعلم والتعليم في المساجد عن طريق قراءة بعض كتب هذه المكتبات على التلاميذ أو بتطبيق نظام الإعارة.

وأكد الباحث على أن فترة الدولة الأموية شهدت اهتماماً خاصاً بالكتب والمكتبات من قبل الخلفاء، وكانت المكتبات تستقبل بعض المتعلمين الذين يودون الإفادة من محتوياتها، وخلص الباحث إلى نتائج منها: أن التربية والتعليم في صدر الإسلام شمالاً جميع فئات المجتمع من صبيان ورجال ونساء، وأن العملية التربوية كانت تجري في البيوت والكتاتيب والمساجد وبيوت العلماء وقصور الخلفاء، وأن التعليم كان مجانيًا وترك المتعلم حرًا في اختيار الموضوع الذي يرغب في تعلمه.

وبعد فإن هذه الدراسة القيمة والفريدة في مجالها، والمستندة إلى مصادر إسلامية مبكرة ينبغي أن تأخذ مكانها اللائق بها من قبل المعنيين بالتربية والتعليم في الأردن؛ لاستخلاص الأساليب المعينة على إنجاز العملية التعليمية والتربوية في بلدنا بصورة مستندة إلى الإرث الحضاري العربي والإسلامي، وأن لا تغرينا النظريات التعليمية والتعلمية التجريبية التي جعلت من الحيوان ثم الإنسان مجالاً لتطبيق نظرياتها المستجدة، ليأتي كل باحث بنظرية تنقض النظريات السابقة بعد عقود من تطبيقها، ثم ليكتشف المجتمع بعد ذلك أن أساليبه في الأداء التعليمي والتعلمي خاطئة، ويعود لينقض ما بناه سابقاً، وليبدأ من جديد في معالجة خلل تربوي تربي عليه جيل أو أكثر.

## (1) «فرسان التغيير والانتخابات النيابية»<sup>(1)</sup>

### ● محاور المحاضرة

- لمحة عن مسيرة الديمقراطية الأردنية.
- فرسان التغيير في المجتمع.
- أبرز مميزات النظام البرلماني الأردني.
- دور السلطة التشريعية في الدولة الأردنية.
- مؤشرات إحصائية عن الانتخابات النيابية في المجالس الأربعة.
- مؤشرات عن الانتخابات النيابية الحالية (المجلس الخامس عشر).
- ما الذي يمكن أن نقوم به؟

### ● لمحة عن مسيرة الديمقراطية الأردنية

أولاً، مجلس الشورى 1923-1927م.

ثانياً، المجالس التشريعية

- المجلس الأول: 1929-1931م.
- المجلس الثاني: 1931-1934م.
- المجلس الثالث: 1934-1937م.
- المجلس الرابع: 1937-1940م (مدد عامين لظروف الحرب).
- المجلس الخامس: 1942-1945م (مدد له عامين حتى 1947م).

---

(1) ورقة مقدمة في ندوة نظمتها كلية عمّان الجامعية بعنوان: فرسان التغيير. ونشرت في جريدة الدستور، الأحد 8 ذو القعدة 1428هـ الموافق 18 تشرين الثاني 2007م.

## ثالثاً، المجالس النيابية

- الأول: 1947 / 10 / 20 - 1950 / 12 / 1 م (حل لإجراءات انتخابات في الضفتين).
- الثاني: 1950 / 4 / 20 - 1950 / 12 / 1 م.
- الثالث: 1951 / 9 / 1 - 1954 / 6 / 22 م.
- الرابع: 1954 / 10 / 17 - 1956 / 6 / 26 م.
- الخامس: 1956 / 10 / 21 - 1961 / 10 / 21 م.
- السادس: 1961 / 10 / 22 - 1962 / 10 / 17 م.
- السابع: 1962 / 11 / 27 - 1963 / 4 / 21 م.
- الثامن: 1963 / 7 / 8 - 1966 / 12 / 23 م.
- التاسع: 1967 / 4 / 24 م. أنهى مدته الدستورية واستمر لغاية 1971 / 4 / 18 م، وهو أطول المجالس النيابية عمراً، إذ حُلَّ في 1976 / 2 / 7 م.
- دعي المجلس للانعقاد ثانية بدورة استثنائية في 1984 / 1 / 9، وأُجريت انتخابات فرعية في الضفة الشرقية لملء المقاعد الشاغرة للضفة الغربية، وبدأ أعماله في 1984 / 1 / 16 م وسمي المجلس العاشر.
- أكمل مدته الدستورية في 1988 / 7 / 30 م، ومددت ولايته سنتين وبقي حتى استئناف المسيرة النيابية عام 1989 م.

## رابعاً، المجالس الاستشارية

- شكلت بموجب قانون مؤقت ثلاث مرات بمعدل سنتين لكل مجلس خلال الفترة 1978-1984 م.
- خامساً، المجالس النيابية بعد استئناف الحياة النيابية 1989 م:
- المجلس الحادي عشر: 1989-1993 م.

المجلس الثاني عشر: 1993-1997م.

المجلس الثالث عشر: 1997-2001م (أجل الانتخاب العام لمدة عامين).

المجلس الرابع عشر: 2003-2007م.

## • فرسان التغيير

اصطلاح أطلقه جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين المعظم على الشباب في الأردن.  
أولاً: حجمها

- الفئة العمرية (19-45) سنة تشكل نحو 38٪ من إجمالي السكان.

- الفئة العمرية (15-59) تشكل حوالي 56.8٪ من السكان، ونحن بحاجة إلى

توسيع قاعدة المشاركة السياسية والتمثيل في مؤسسات الدولة دون استثناء.

ثانياً: الشباب هم غالبية القوى العاملة، وهم الطاقة الحقيقية للمجتمع وعماد الإنجاز  
وتحقيق أهدافه وآماله.

ثالثاً: الشباب هم رواد تقدم المجتمع وتطويره وحملة لواء التغيير، ويمتلكون الحماس  
لهذا التغيير، وهم فئة ناقلة للثقافة وقادرة على تحقيق تقدم وتغيير في كل المجالات  
الاجتماعية والاقتصادية، وتتميز بالاستعداد للنمو العقلي والجسدي والاجتماعي  
والعاطفي.

رابعاً: للشباب دور كبير في بناء المجتمع وتوجيهه نحو إرساء مبادئ الحرية  
والديمقراطية والعدالة.

خامساً: تضمنت الاستراتيجية الوطنية للتنمية السياسية في الأردن ضمان مشاركة فاعلة  
للشباب في عمليات الإصلاح وتعزيز قواعد الحاكمية الرشيدة.

سادساً: اختيار كفاءات وخبرات في مجلس النواب تسهم في تعزيز الإنجازات وتحفيز  
طاقات العمل وتحقيق تقدم في الأداء وأسلوب العمل ومستوى الإنجاز في مجال  
التشريعات.

مشروع الأردن أولاً، هو مشروع نهضة واستنهاض يحرك مكامن القوة عند الفرد والمجتمع ويحقق تنمية تطلق طاقات الشباب، وتحفز عملهم المبدع النابع من الاعتزاز بالانتماء إلى وطنهم.

ثامناً: الدولة الأردنية في رعاية الشباب تضع أولويات الرعاية وتلبية رغبات هؤلاء الشباب وتحقيق طموحاتهم وتوجيه طاقاتهم وقدراتهم نحو المشاركة الفاعلة في عملية التنمية الوطنية الشاملة.

تاسعاً: تميز الأردن بنزعة قوية للحياة البرلمانية والديمقراطية والتمسك بها، ويسعى حثيثاً لترسيخها وتعزيز مسيرتها وتطوير أداؤها.

عاشراً: في العصر الحالي نحن بحاجة إلى الانفتاح والاتصال والتفاعل مع دول العالم ومنظّماته، وهذه الاتصالات هامة لتعزيز المنجزات، والشباب هم الأقدر على اختيار المناسب للقيام بهذا الدور.

الحادي عشر: الشباب هم الأقدر على رسم صورة مستقبلهم ومستقبل وطنهم على ضوء جميع ما ذكر، وعلى ضوء امتلاكهم للوعي الثقافي المتميز، ومن خلال تأطير طاقاتهم وقدراتهم وتعزيزها بالمشاركة المباشرة في صنع القرار ليكونوا في الطليعة سواعد بناء وإنجاز.

### • أبرز مميزات النظام البرلماني الأردني

- الأمة مصدر السلطات، وتمارس سلطاتها على الوجه المبين في الدستور المادة (24). هذا النص يؤكد مبدأ السيادة الشعبية الذي ينجم عنه الأخذ بالنظام الديمقراطي، مما يؤدي إلى تميز الهيئة النيابية المنتخبة على غيرها من الهيئات في النظام السياسي.

- الدستور الأردني يقوم على أساس نظرية العقد الاجتماعي، بمعنى أن جلاله الملك يصادق على ما تقره السلطة التشريعية بمجلسيها باعتبارها ممثلة للشعب، وهي القادرة على تحقيق إنجازات على هذا الصعيد.
- التعاون والتوازن بين السلطات الثلاث، فلا تطغى سلطة على أخرى، والفصل بينها يتيح مساحة لحرية الحركة للسلطة التشريعية.
- ثنائية تكوين السلطة التشريعية (الأعيان، النواب).
- التعاون المتبادل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية.
- إن جلاله الملك عادة ما يكلف رئيس الحزب أو التكتل النيابي الذي يحقق حزبه أو تكتله النيابي أغلبية في مجلس النواب بتشكيل الوزارة، وحدثت تجارب سابقة منها:

- حكومة سليمان النابلسي 1956م.

- حكومة مضر بدران 1991.

- حكومة الدكتور عبد السلام المجالي 1994/6/8.

تجارب هذه الحكومات محاولة للارتقاء بالعملية الديمقراطية في الأردن من خلال تبادل السلطة بين الأغلبية النيابية والمعارضة بواسطة الانتخابات.

- هناك إمكانية في هذه الانتخابات أن يشكل التكتل أو الحزب الذي يحصل على أغلبية في مجلس النواب الخامس عشر الحكومة القادمة، وبالتالي فإن المشاركة في العملية الانتخابية هامة ليس فقط في مجال إيصال صوت المواطن إلى قبة البرلمان، بل في إمكانية أن يصبح الفائز في الانتخابات عضواً في الحكمة ومنفذاً لرؤى وتطلعات المواطنين الذين يمثلهم.

## • دور السلطة التشريعية في الدولة الأردنية

- الوزارة هي السلطة الفاعلة في النظام البرلماني، وهي المسؤولة عن شؤون الحكم، وهي المسؤولة أمام البرلمان مسؤولية تضامنية أو مسؤولية فردية تقع على كل وزير على حده أمام البرلمان. وهو سلاح بيد السلطة التشريعية في مواجهة السلطة التنفيذية.
- السلطة التشريعية تملك حق التشريع والرقابة السياسية والمالية (توجيه الأسئلة، الاستجابات، التحقيق، الاتهام لأعضاء السلطة التنفيذية).
- السلطة التشريعية تستطيع سحب الثقة من الحكومة القائمة، والوزارة مسؤولة أمام البرلمان، ويجب أن تحصل على الثقة لممارسة أعمالها.
- تُمَيِّز مجلس النواب عن مجلس الأعيان لأن الأول منتخب شعبياً ويمثل الرأي العام في المجتمع.
- ارتبط بمجلس النواب ديوان المحاسبة (المادة 119).
- السلطة التشريعية توظف النخبة التي تمارس دورها الحيوي من خلال الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية واقتراح القوانين.
- للسلطة التشريعية دور هام من خلال الدبلوماسية البرلمانية التي تمارسها من خلال إطلاق مبادرات لحل النزاعات، الزيارات البرلمانية، المشاركة في المؤتمرات البرلمانية (إقليمياً ودولياً)، جمعيات الصداقة البرلمانية.
- هذه الدبلوماسية التي تكمل الدبلوماسية العادية، هي مرشحة لتأخذ دوراً مؤثراً في العلاقات الدولية، وهي تعكس استقرار الدولة وصورتها ومصداقيتها.

## • مؤشرات إحصائية عن الانتخابات النيابية في المجالس الأربعة الأخيرة

- المجلس الحادي عشر 1989-1993م
  - عدد المرشحين: 654.
  - المقترعون: 555.397 بنسبة 63.2% من الذين تسلموا بطاقتهم.
  - شاركت المرأة الأردنية لأول مرة ناخبة ومرشحة.
  - أقر 134 قانوناً ومشروع قانون.
- المجلس الثاني عشر 1993-1997م
  - عدد المرشحين: 536 منهم 67 حزبياً وثلاث سيدات.
  - المقترعون: 820.294 بنسبة 43% ممن يحق لهم المشاركة وبنسبة 68% ممن تسلموا بطاقتهم الانتخابية.
  - شاركت المرأة الأردنية وفازت لأول مرة بمقعد نيابي واحد.
  - شاركت الأحزاب السياسية بشكل علني منذ انتخابات 1956م. تقلص عدد نواب المعارضة.
  - بلغت نسبة التجديد من أعضاء المجلس والمجالس السابقة بهذا المجلس 66%.
  - انخفضت ظاهرة زخم الأصوات (بسبب قانون الصوت الواحد).
  - خفت حدة الشعارات العقائدية والسياسية.
  - أنجز 92 قانوناً وقانوناً مؤقتاً.
- المجلس الثالث عشر: 1997-2001م
  - عدد المرشحين: 561.
  - عدد المقترعين 824.615. نسبة المقترعين 55.99%.
  - غابت التنظيمات الحزبية عن تركيبة البرلمان.
  - انخفض عدد الأصوات التي نالها المرشحون الفائزون.

- أنجز المجلس 196 قانوناً مؤقتاً، وهذا المجلس هو الأكثر إنجازاً على المستوى التشريعي.
- قاطعت المعارضة الانتخابات في ظل علاقات أردنية عربية سيئة، وسادت أجواء من الإحباط.
- عدد النواب الفائزين ممن سبق أن كانوا في المجلس أو المجالس السابقة، 21 نائباً من أصل 80.
- المجلس الرابع عشر: 2003-2007م
  - زيدت مقاعد المجلس إلى 110، منها (6) مقاعد للكوتا النسائية (تمثيل المرأة)، وقسمت المملكة إلى 45 دائرة انتخابية.
  - عدد المرشحين 821، منهم 67 مرشحاً، انسحب منهم 56 مرشحاً واستمر 765.
  - وصلت نسبة الاقتراع إلى 58.87٪، ومثل المجلس معظم الأطياف السياسية.
  - 75٪ من أعضاء المجلس انتخبوا على أساس عشائري.
- مؤشرات عن الانتخابات النيابية الحالية (المجلس الخامس عشر)
  - بلغ عدد الذين ترشحوا للانتخابات النيابية الحالية 1006 مرشحين. رُفضت طلبات 9 منهم لأسباب مختلفة متعلقة بشروط الترشيح التي منها:
    - أن يكون مسجلاً في سجلات الناخبين النهائية.
    - أن لا يكون محكوماً بجريمة غير سياسية مدة تزيد على سنة.
  - انسحب ثلاثة مرشحين في دوائر مختلفة حتى الآن.
  - جهزت اللجنة المركزية للانتخابات 3995 صندوقاً للاقتراع ضمن أعلى المواصفات العالمية.
  - أعلنت اللجنة عن 1434 مركز اقتراع.

- تتوقع الحكومة الأردنية الحالية أن تكون نسبة المشاركة في هذه الانتخابات بين 40-45% من الذين سجلوا للانتخابات.
  - قدمت الدولة الأردنية ضمانات تكفل نزاهة وشفافية الانتخابات منها:
    - تصريحات جلاله الملك في مرات عدة بأن الانتخابات ستكون نزيهة وشفافة.
    - أكد رئيس الوزراء التزام الحكومة بهذه النزاهة والشفافية وسمح لمنظمات المجتمع المدني أن تراقب العملية الانتخابية.
    - الإعلان عن إجراءات جديدة تضمن عدم تصويت الناخب أكثر من مرة، وربط جميع مراكز الاقتراع بشبكة حاسوب مركزية.
    - إعطاء ضمانات للأحزاب والقوى السياسية بعدم التدخل في الانتخابات، وأن الحكومة لن تكرر ما قامت به في الانتخابات البلدية.
- ما الذي يمكن أن نقوم به؟
- استنهاض الهمم والتمتع بحس عال لهذه المسؤولية الوطنية.
  - الإطلاع على برامج كافة المرشحين، وخاصة في منطقتك الانتخابية واختيار الأصلح.
  - الابتعاد عن المجاملة والمحسوبة والشللية، ووضع مصلحة الأردن أولاً.
  - الالتزام بالقوانين والأنظمة الناظمة للعملية الانتخابية وعدم الالتفات للاستفزازات التي تظهرها المنافسات.
  - المنافسة حق مشروع لجميع المرشحين الناخبين لتحقيق مستويات أداء عالية دون الإساءة للنسيج الوطني.
  - القيام بواجب الانتخاب.

## المشروع النهضوي العربي ليس وهمًا؟<sup>(1)</sup>

كثير الحديث وتشعب عن مشروع أو مشاريع للنهوض الثقافي القومي العربي، أو المشروع الحضاري العربي، وازدادت الندوات والملتقيات والمنتديات عدداً وتوعافاً في الموضوعين الثقافي والحضاري العربي في الوطن العربي من مغربه إلى مشرقه، ومن شرقه إلى غربه، وبصرف النظر عن مستويات وحجم المشاركة في هذه النشاطات، والخلفيات الثقافية للمشاركين ومدى اصطفاقتهم أو مفارقتهم أو بعدهم عن تلمس الوضع الحقيقي، ومستوى وعيهم للمرحلة، إلا أن الهمّ المسيطر على هذه الملتقيات والمنتديات كان ولا يزال هو المشروع النهضوي العربي الذي استفزته بعمق حرب الخليج الثانية، التي كان من نتائجها السلبية الكبيرة على الأرض والسكان في الوطن العربي أنها أجهضت أو عرقلت على الأقل كل مشاريع الاتحادات العربية الإقليمية التي كان مؤملاً لها أن تكون بداية لوحدة عربية شاملة، فقد أجهضت مجلس التعاون المغاربي، ومجلس التعاون العربي، وعرقلت مسيرة مجلس التعاون الخليجي. ولا تزال مشاريع ومخططات القوى الأجنبية تستفز هذا المشروع النهضوي العربي في موطنه، وفي الجوار العربي الإقليمي.

ولكن لا بد أولاً من معرفة المقصود بكلمة مشروع، فهل المقصود ما هو جائز شرعاً، أو أنه يعبر عن مخطط مستقبلي مبني على الحقائق والأرقام ويهدف إلى بناء أو إعادة بناء مشروع أو مشاريع سابقة أو استخلاص العبر منها والبناء على أساس إيجابياتها المستقرة؟؟!

أم أن المشروع مجرد فكرة تراود البعض، ويدعي البعض الآخر أنها جزء من الوهم؟ سواء كان هذا الوهم مباشراً بإمكانية التحقق أو مجرد تصور وليس له في الواقع من وجود.

(1) مقال منشور في جريدة العرب اليوم، 14 / 3 / 2003.

ولمناقشة هذه الأسئلة فإنه يتبدى لنا أن المشروع جائز شرعاً، لأن العرب والمسلمين وهم الميالون إلى النهوض والتقدم بطبعهم معتزون بما لديهم، ساعين إلى كل ما هو جديد ونافع وحديث ومتقدم، كما أن المجتمع العربي - الإسلامي يملك في ذاته مقومات هذا المشروع من حيث مستوى الوعي بالأخطار الخارجية، وازدياد وعي الذات ووعي الآخر، ومدرك لسبل مقاومة ومواجهة المنحنيات والأخطار والتحالفات الدولية ومخططاتها وأهدافها المعلنة أو شبه المعلنة، في الوقت الذي لا يزال التحدي الرئيسي ماثلاً أمام الأمة العربية - الإسلامية برأس حربة القوى الإمبريالية الدولية؛ أي الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين، ولا يزال يحمل المخططات التفتيتية، ومحاولات الإلحاق والهيمنة للأنظمة في المنطقة العربية ويتماهى مع أجندة الغرب الأمريكي، والغرب الأوروبي على السواء.

وفي حين أن ازدياد وتعقيد تداخلات القوى الغربية الأوروبية - الأمريكية في المنطقة والعالم أيقظ الإحساس بالخطر الذي كانت القوى الاستعمارية تلونه كل مرة بلون معين، فإن حالة انكشاف المخططات الغربية ومروجي ثقافتها وسياساتها في المنطقة العربية والمثقفين العرب المتعاونين معها، فقهاء السلطان، لم تعد قادرة على تبرير أو تسويق هذه المخططات، سواء بالنسبة لاتفاقيات السلام في فلسطين، أو في مبررات توجيه ضربة عسكرية للعراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، أو حصار ليبيا والسودان، والتدخل في الشؤون الداخلية لكل من السعودية والخليج العربي ومصر ولبنان وسورية، والضغوطات المختلفة والحملات الصحفية التي مورست وتمارس ضد الأردن بين الحين والآخر. وكذلك فإن أحداث الحادي عشر من أيلول في الولايات المتحدة والنزق الأمريكي الذي رافق الأحداث وتبعها، واستعداد الولايات المتحدة الأمريكية للعرب والمسلمين تحت ظل ضغوطات إعلامية ومصالحية صهيونية في أمريكا وأوروبا، والتأكيد على أن حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب أفرزت معسكرين متضادين (من ليس معنا فهو ضدنا)، إضافة إلى إشارة الرئيس بوش إلى أن الحرب ضد الإرهاب هي حرب

صليبية، لا شك أنه أيقظ العالم العربي - الإسلامي الذي أصبح مستهدفاً بالدرجة الأولى، فمن احتلال أفغانستان عسكرياً إلى محاولة إنهاء السلطة الوطنية الفلسطينية في فلسطين، وتدمير البنية التحتية لهذه السلطة بأبشع صورة، واستهداف المدنيين العزل والأطفال والشيوخ والنساء في أبشع إرهاب تمارسه دولة أو كيان ضد مواطنين عزل في التاريخ، من قبل الكيان الصهيوني وأجهزته العسكرية بموافقة ضمنية أمريكية على هذه الحرب غير المتكافئة، إضافة إلى التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية. فضلاً عن استهداف العراق منذ أحد عشر عاماً بذرائع مختلفة، تم الإعداد لضربة عسكرية أمريكية وشيكة ضد الشعب العراقي والتدخل في شؤونه الداخلية بصورة سافرة، وغير مبررة داخلياً في الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي، وحلف الأطلسي أو لأي كان في العالم بمن فيهم أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة العربية، وإنما هي لغة القوة الغاشمة للبرالية انطلقت من عقالها لتعزز دور رأسمالية متوحشة صهيونية لا ترى سوى مصالحها الأنانية الضيقة.

إن هذه الإفرازات، وانعكاساتها السلبية على الأوضاع الداخلية في بلدان العالم العربي في الوقت الذي نجحت فيه المقاومة الوطنية اللبنانية في تحرير جنوب لبنان، وأجبرت الجيش الصهيوني بتقنياته العالية على الرحيل عن أرض الجنوب اللبناني دون شروط، وفي الوقت نفسه نجاح الانتفاضة الفلسطينية الباسلة للمرة الثانية في فلسطين بتحقيق نتائج غير متوقعة من شعب أعزل يقاوم الآلة العسكرية الصهيونية والطائرات الأمريكية المتقدمة بصدور عارية، وإنزال هزائم متكررة بقواته العسكرية رغم قسوة الأخيرة في العقوبات الجماعية وهدم المنازل وسياسة الاغتيالات. كما أن استمرار صمود شعب العراق في وجه كل محاولات تركيبه بالحصار والقصف الجوي المتكرر والتآمر عليه داخلياً وخارجياً، تعد جميعها مؤشرات إيجابية تعزز السير قدماً في مشروع أو مشاريع نهضة عربية - إسلامية. ورغم أن بعضاً من القيادات الفكرية العربية أصبحت إما تابعة ومتخذة في مشروع نهضة قطري ضيق وإما أنها أضحت رهينة طروحات من عهود سابقة (الماركسية)

أو حالة متكيفة مع العولمة أو صدام الحضارات، وإما في حالة الاستغراب والاستلاب تحت مسميات الحداثة أو ما بعد الحداثة، إلا أن بعضًا من هذه القيادات أيضا لا يزال قادرًا ومقتنعًا بضرورة وأهمية التفكير بمشروع نهضوي عربي مستقل عن كل هذه التيارات، متوافقًا ومتصالحًا مع الشارع العربي العام، ولعل هذا الفريق قد أعاد ويعيد دراسة تجارب الوحدة العربية السابقة بموضوعية، ولا يزال عاكفًا على استخلاص العبر منها، وإنه بقليل من العمل والانحياز للفكرة/ الموضوع أو المشروع يمكن أن يفرز تيارًا فكريًا ثقافيًا عربيًا ينهض بمشروع نهضوي عربي على مستوى الأمة العربية - الإسلامية، أو مرحليًا قيام مشاريع نهضوية قطرية عربية ضمن حدود الدولة القطرية العربية، لها أفق قومي في البداية ثم تشكل بمجموعها تيارًا نهضويًا عربيًا جامعيًا في وقت لاحق. وقد برزت صيغ إيجابية يمكن الإشارة إليها، منها تيار ذو نزعة توحيدية للصفوف تمثل بالتآلف بين المؤتمر القومي العربي والمؤتمر الإسلامي الذي عقد في لبنان 2000، وقد تعززت إمكانيات التوحد لهذا التيار بعد الحادي عشر من أيلول التي نفذت الولايات المتحدة خلالها مقولة هنتجتون «صدام الحضارات»، وذلك بالعودة عربيًا إلى المحرك الفاعل الرئيسي في الحضارة العربية الإسلامية وهو الإسلام، واعتباره نقطة ارتكاز أولى في محاولة إعادة بناء المشروع النهضوي العربي، واعتبار الإسلام عامل توحيد يمكن بوساطته أن تتسع دائرة المقاومة داخليًا في الأرض العربية ولدى دول الجوار، خاصة وأن الفكر الماركسي والشيوعي قد هُتمس دوره بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ولا يزال في تراجع مستمر لفشله في التجربة فضلًا عن مواقفه المتناقضة مع المشروع النهضوي العربي في السابق.

ولكن هل يوجد لهذا المشروع مخطط واضح؟ يهيأ للمتابع أن هناك خطوطًا عامة غير منتظمة ولكنها تبدو منسجمة وقادرة على الفعل ضمن رؤى متقاربة. وفي الوقت الذي ما زالت فيه الدولة القطرية العربية غير قادرة على طرح أي مشروع نهضوي عربي، بينما لا يملك المثقفون العرب أداة هذا المشروع، إلا أن مقومات وفرص قيام هذا المشروع

النهضوي موجودة، ولا خلاف كبير حولها في الوطن العربي حاليًا، إذا ما تمت مقارنته بمشروعات النهضة في جنوب شرق آسيا بعد الحرب العالمية الثانية. والملاحظة الهامة هنا أن هذه الدول: كوريا الجنوبية، تايوان، ماليزيا، سنغافورة، تايلاند، واليابان، قد استوردت التكنولوجيا الغربية وأحيانًا المواد الخام، ووظفت رؤوس الأموال الغربية، في الوقت الذي استطاعت فيه أن تفلت من التبعية السياسية/ الاقتصادية العمياء للغرب، واستطاعت أن تحقق نهضة صناعية - اقتصادية في فترة قياسية رغم أنها لا تملك من المقومات ما يملك العرب. وقد لوحظ أيضًا أن هذه الدول خلافًا للواقع العربي قد تجنبت نهائيًا الخوض أو أخذ الفلسفات والأفكار الغربية، وقاومت الاستغراب لصالح الثقافة المحلية والإمكانات المحلية لمواطنيها ودولها، بينما لا يزال فريق من المشتغلين بالمشروع النهضوي العربي مستمرًا في التنظير لفلسفات عصر النهضة الأوروبية أو الحداثة أو العولمة، وقلّة لا تزال تنظر للماركسية رغم كل إخفاقاتها الفكرية وفشل تطبيقاتها العملية في تحقيق مشروعها بعد أكثر من سبعين عامًا من السلطة المطلقة. لا شك أن المراهنة الآن هي على النخب العربية - المسلمة، سواء تلك التي وظيفتها الدولة القطرية أو تلك التي بقيت خارج إطار الدعوة القطرية ذات الأفق القومي، في إبراز مشروع نهضوي عربي يبدأ بدراسة معمقة للإخفاقات في مشاريع الوحدة العربية، ويرسم خطأ واضحًا ومميزًا لمسار الوحدة، وإيجابيات وسلبيات هذا المسار في الماضي القريب، ويؤشر على التحديات الحالية، ويبني ثقافة مقاومة ثم يعالج سبل وألويات المواجهة، ولربما سيجد هذا التيار دعمًا رسميًا من دولة قطرية أو أكثر ليجد طريقه في النهوض بأعباء المرحلة. والشارع العربي مهيبًا وقادر وملتزم بالمسار العام إذا وجد من يصدقه القول والفعل. وعود على بدء فإن المشروع الثقافي الحضاري العربي ليس وهمًا، وإنما إمكانات كامنة وتحديات تستوجب الاستجابة، لكنها قطعًا بحاجة إلى معايير خاصة بالنهضة وحدودها، وإطارها الناظم.

## سبر أغوار الحضارة الإسلامية

### بمنهج تاريخي تحليلي

مراجعة لكتاب: الحضارة الإسلامية، تأليف د. محمد ضيف الله البطاينة.<sup>(1)</sup>

يأتي هذا الكتاب الصادر حديثاً عن الحضارة الإسلامية بعنوان «الحضارة الإسلامية» الصادر عن دار الفرقان بعمان لمؤلفه د. محمد ضيف الله البطاينة في 417 صفحة من القطع الكبير، في الوقت الذي ازدادت فيه حمى المقولات المكرورة والمسوقة إعلامياً في الإعلام الغربي والعربي التابع والمهيمن عليه، هذه المقولات التي قفزت من المقدمات البعيدة إلى النتائج لتسوق مقولة صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، وإعادة إنتاج الثقافة العالمية في التعولم للقطب الواحد، وتم إغفال إعادة إنتاج الوعي بالثقافة والحضارة المميزة للأمم والشعوب في محاولة لاستلاب ما بقي منها بعد كل مرارات الاستعمار بصوره المختلفة، ومحاولاته إلحاق الأمم والشعوب ضمن دواماته المتتابعة.

وقد جاء الكتاب في تسعة فصول، وتقديم وخاتمة، تناول المؤلف في التقديم الموقف في الحضارة بعامة. والكتاب محاولة للتعريف بالحضارة الإسلامية، وتقديم صورة للأجهزة والأنظمة والإجراءات والترتيبات التي رعت الحياة بها ووجهتها في مجالات الحكم والسياسة والاجتماع والثقافة، وحركة العلم التي نشأت في ظلها، ثم ما واجهته هذه الحضارة وتواجهه من تحديات. وتحت عنوان «الحضارة ونشوؤها»، عالج المؤلف اشتقاق كلمة حضارة من العربية بدءاً من ابن خلدون الذي عرفها بالعمران، ثم باحثين عرب ومسلمين وأجانب اتفقت تعريفاتهم على «قدر من الظواهر الاجتماعية هي السلوك والعقائد والنظم عدوه داخلاً في مدلول الحضارة»، ثم خلص إلى تعريفه للحضارة في هذه

(1) جريدة الرأي، 13/8/2002.

الدراسة على أنها «مجموعة المفاهيم الموجودة عند الأمة حيال الكون والإنسان والحياة.. وبمعنى آخر عقيدة الأمة وما ينبثق عنها من قوانين وأنظمة وأفكار تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد الناس وجماعاتهم في المجتمع، وما يتصل بهم من مصالح تعود عليهم، وبذلك يمكن إدراك التمايز بين الحضارات.

في الفصل الثاني عالج المؤلف الجانب السياسي «جهاز الحكم» والخلافة. وفي الفصل الثالث عالج المؤلف الولاية على البلدان والقضاء، فقد استعرض في البداية التقسيمات الإدارية للولايات في الفترات التاريخية المختلفة ثم تطرق إلى عمل الوالي وأنواع الولاية، وطريقة اختيار الوالي ومراقبته ومحاسبته ودور الولاية في اختيار الوالي ومجلس الولاية.

وتناول في الفصل الرابع الجيش والأسطول والشرطة، تناول فيه نشوء الجيش وقيادته واهتمام الدولة الإسلامية بالجيش، وفئات الجيش، والاستعانة بأهل الذمة فيه، وعناصر الجيش وأجناسهم، وتمويل الجيش وتمويله، ووظيفة الجيش ومهامه، وأساليب القتال وأسلحة الجيش.

وناقش في الفصل الخامس الجهاز الإداري «الدواوين»، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع في المدينة المنورة نواة الجهاز الإداري للدولة الإسلامية بتنظيم كتبة الوحي وما يعرض له من حوائج، وتنظيم ما كتب للأمرء والرؤساء والملوك، وتدوين المدائن والمعاملات في مصالح الناس وقبائلهم، والصدقة، ثم بحث في أصل كلمة ديوان، ثم نشأة الدواوين ومنها: ديوان الجند وديوان الخاتم وديوان الرسائل وديوان الخراج، وديوان البريد وطريقة عمله، وديوان الطراز وديوان الصدقات والمستغلات والنفقات وبيت المال والاحشام والحوائج والمصادر والضياع والصوافي، والموالي والغلمان، وديوان النظر في المظالم، وديوان الموارث، والجهيزة (الإشراف على الشؤون المالية وتدقيقها)، وأموال المطالبات وديوان الأكرة وديوان الماء.

وألقي الضوء في الفصل السادس على الجانب الاقتصادي في دولة المدينة، والمسؤولية المالية ثم الموارد المالية للدولة الإسلامية «الغنيمة والفيء»، ثم الجزية بوصفها مساهمة من أهل الذمة في تحمل الواجبات المالية «مواطنة ورعاية وتابعة» بحسب تعبير المؤلف، وجعلت حسب الرخاء واليسار، وأعفيت منها النساء وغير البالغين والمترهبون وذوو الحاجات الخاصة، وكان يستعان بأهل الذمة في قتال الأعداء ويُبرِّهم بحسب وصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

وحلل في الفصل السابع الجانب الاجتماعي في الأسرة، وكيفية تكوينها من الزوجين وعقدة النكاح وشروطه ومحارمه، ثم أهداف الزواج وتكوين الأسرة باعتبار العفاف والإحصان وإشباع حاجات الجسد الجنسية بصورة ظاهرة ومهذبة، والسكن والمؤانسة وإنجاب الذرية، ثم أمد الأسرة والمعاشرة الزوجية، وتناول تعدد الزوجات، وتربية الأولاد، والخلاف بين الزوجين، والطلاق، ثم الألبسة وأدوات الزينة مما يستر العورة ويحفظ رجولة الرجال وأنوثة النساء ورقتهن، وإنكار لبس الكبر والخيلاء أو جرح الحياء والأدب أو إثارة الفتنة.

وتناول بعد ذلك الأُطعمة والأشربة؛ حلالها وحرامها وصفاتها ومكوناتها. وأفرد الفصل الثامن لمناقشة الجانب الثقافي (العلوم الإسلامية)، فتحدث عن الكتابة وأدواتها، والقرآن الكريم وعلومه، والسنة النبوية وعلوم الحديث والفقه والخط العربي، وأكد أنه في إطار الدولة الإسلامية نمت حركة ثقافية إسلامية تبنتها الدولة وأنفقت عليها بسخاء، وفي ذهن الأمة واعتقادها حد الواجب الذي يرى مجالس العلم؛ أي الفقه، رياض الجنة.. فانبثقت من ذاتية الإسلام وطبيعة تعاليمه الخاصة على العلم وطلبه، وذلك العقبات في طريق تعميق الثقافة الإسلامية ووسائل حفظها ونشر علومها بين الناس.

وتناول الفصل التاسع علم الكلام والتصوف واللغة العربية والسيرة والتاريخ ونظرة الحضارة الإسلامية إلى العلوم غير الإسلامية، فقد تناول علم الكلام ظروف نشأته وتطوره

ومواطن خطله وعلاقته بالفلسفة، ثم التصوف لغةً واصطلاحًا، ونشأة التصوف ومفهومه ومنهجه المعرفي وأنواع التصوف ثم المآخذ على التصوف.

وتناول بعد ذلك اللغة العربية ونشوء علم النحو «علم العربية»، ثم البلاغة وازدهار حركة التفسير وتدوين الحديث النبوي وتفسيره وأثرهما الفكري والأدبي حتى القرن الرابع الهجري.

وتناول العلوم غير الإسلامية في الحضارة الإسلامية، وهي العلوم التي تسيء إلى العقيدة الإسلامية وتحاول بث الشك في نفوس معتنقيها، وأما العلوم التجريبية وما يتصل بها مما ينفع البشرية فهي علوم عالمية من حيث الطريقة والمنهج.

ثم يختم الكتاب بخاتمة إجمالية موجزة ومكثفة. والكتاب بسبر غور الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية بسائر أبعادها من خلال المصادر التاريخية والمدونات الفقهية وكتب الحديث ومساجلات المتكلمين والفقهاء وأهل الحديث، ليدون ذلك كله في لغة سهلة واضحة قوية وممتعة ببلاغة لغوية ومعرفية واصطلاحية شاملة ودقيقة، ولكن مع الأسف شابها بعض الأخطاء الطباعية.

وقد استعرض المؤلف الشواهد التاريخية كما حدثت، موردًا آراء وفتاوى الفقهاء والمحدثين ومسندًا الأحاديث النبوية الشريفة، ملتزمًا بالمنهج التاريخي التحليلي.

## دور المسجد في التجربة التاريخية الإسلامية<sup>(1)</sup>

يعرف المسجد لغة على أنه مكان السجود؛ وكل مكان يتعبد فيه فهو مسجد؛ وفي الذكر الحكيم و{من أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه} الآية (114) سورة البقرة. وفي الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

ويعتبر المسجد مؤسسة إسلامية صرفة؛ وهو مكان عبادة تقام فيه الصلوات الخمس جماعة و صلاة الجمعة، حيث تلقى خطبة توجيهية، وتقام فيه صلاة العيدين أحيانا ويجتمع فيه المسلمون لبحث مختلف شؤونهم، ثم أطلق المسلمون على المسجد اسم جامع وهو نعت للمسجد لأنه علامة الاجتماع لأعداد أكثر من المسلمين في الصلاة وغيرها، ولما توسعت استخدامات المسجد لاحقا جرى تصنيف المساجد فقيلا: مسجد، وجامع، ومسجد جامع.

ورغم أن فريضة الصلاة فرضت على المسلمين في المرحلة المكية من الدعوة الإسلامية؛ إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤدي الصلاة في بيته ومع زوجته السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. وكان الصحابة، رضوان الله عليهم، يؤدون صلاتهم في بيوتهم أو في دار الأرقم فرادى، ولم يؤد المسلمون الصلاة جماعة في المرحلة المكية من الدعوة؛ وهي المرحلة السرية من الدعوة.

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة أقام مع صحابته على مشارف المدينة وفي إحدى ضواحيها مسجد قباء؛ في حي بني عمرو بن عوف، وكان أول مسجد يبنى في الإسلام، وبني لعموم الناس، ثم دخل الرسول المدينة المنورة وبنى في

(1) مقالة نشرت في مجلة (الوسطية) العدد 25 السنة الثامنة، كانون أول 2016.

مكان متوسط منها مسجداً، في أرض لبني النجار استأذنهم الرسول فيها بقوله: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا». قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ورسوله. وعرف لاحقاً بالمسجد النبوي، ورفع فيه الأذان؛ وهو الدعوة إلى الصلاة جماعة، أو إعلان عن موعد الصلاة المفروضة لأول مرة في الإسلام؛ وكان ذلك إيذاناً بأن المسلمين وجدوا متنفساً لأداء شعائرهم الدينية. وكان عليه السلام يأمر بلالا الحبشي أن يؤذن بالناس للصلاة لأن له صوتاً حلواً ندباً.

ثم أمر الرسول ببناء مسجد في المنطقة المحيطة بقليب بدر، باقتراح من أحد الصحابة، مارس فيه الرسول مهمات الرئاسة، وقيادة معركة بدر وإمامة المسلمين في الصلاة، وكان أول مركز لحكومة الرسول بالمعنى التنفيذي.

وكانت الهجرة إلى المدينة تجسيدا للتنظيمات الإسلامية الأولى؛ الناتجة عن الوحي القرآني ووقائع السيرة النبوية؛ بمعناها الشامل الذي زادت التجربة التاريخية الإسلامية تفصيلاً. وكانت المساجد أول هذه التنظيمات الخاصة بالمسلمين، وانفرد الإسلام بتشريعه وطبّعه بطابعه الخاص، وتوسع المسلمون في عهد الرسول في بناء المساجد حتى بلغت تسعة مساجد في المدينة المنورة، كان أكثرها يؤدي دور المدرسة في التعليم، إضافة إلى دوره كمكان للعبادة والخشوع. لذلك كانت المساجد خالية من الزخرف، وكان الهدف الرئيس للمسجد هو اجتماع المسلمين لأداء الصلوات الخمس المفروضة جماعة وليس فرادى، واجتماعهم أيام الجمعة لأداء الصلاة وسماع الخطبة، وكانت الجمعة تؤدي في مسجد الرسول (ص) وسط المدينة المنورة.

وقد استُخدم المسجد النبوي الشريف في عهد الرسول مكاناً يتلو فيه الرسول على الصحابة الوحي القرآني ويعلمهم معناه، كما كان يعلمهم السنة النبوية في جانبها النظري والعملي، كما استُخدم للتعليم ومكاناً لتدريس أمور المسلمين، وكانت تعقد فيه معاهدات السلم والتحالف وإعلان الولاء، كما تعقد فيه ألوية الحرب، وكان شاعر الرسول الصحابي

حسان بن ثابت ينشد فيه أشعاره لإظهار محاسن الإسلام والمنافحة عن الرسول وعن المسلمين.

احتفظ المسجد النبوي ببساطة البناء والمظهر والتنسيق، وكان الرسول يريد للمسلمين صلاة خاشعة دون مراسم أو احتفالات. وكان المسجد النبوي مكانا يقي المسلمين المطر والشمس وضوضاء السوق والطريق ونظرات المارة، ويوفر مكانا لأداء الصلاة بخشوع في عزلة يحترمها الجميع.

وكان التعليم في المسجد النبوي تكتفه أجواء العبادة ويشعر المعلم والمتعلم والسامع فيه أنهم في بيت من بيوت الله، وأن تعلمهم عبادة وفائدتهم من العلم دنيوية وأخروية. وفي هذا المسجد تلقى المسلمون، على اختلاف أعمارهم ومشاربهم وقبائلهم وانتماءاتهم الدينية السابقة، ثقافة إسلامية موحدة وموحدة جامعة. وإضافة لما للصلاة في المسجد من فضل وبركة زائدة، فقد كان المسجد النبوي يعبر عن وحدة الإسلام وتناصر المسلمين؛ إذ إنه بني من قبل المهاجرين والأنصار.

واستُخدم المسجد النبوي مكانا لأخذ البيعة العامة من المسلمين في خلافة الخليفة الأول للمسلمين أبي بكر الصديق، كما استُخدم للبيعة العامة للخلفاء الراشدين من بعده. وكان الخلفاء الراشدون يسوسون الأمة من المسجد، وكان مجلسهم العام فيه، وكانوا يلتقون فيه بالسفراء والوفود ويعقدون فيه رايات جيوش الفتح، ويدعون منه للنفير العام، ويوجهون من خلاله المسلمين توجيهات عامة في كل ما يتصل بحياتهم، ويعقدون فيه مجالس الشورى، ومعااهدات الصلح، والشؤون السياسية، ويحاسبون فيه الأمراء والقادة على تقصيرهم، كما استُخدم مستشفى لتضميد الجرحى، وكان يعلق فيه عنقود نخل ليأكل الجائعون منه.

خلال خلافة عمر بن الخطاب عرف المسلمون عمليا المسجد الجامع، فقد أمر الخليفة الصحابي أبا موسى الأشعري، عامله على البصرة في عام 17هـ، أن يتخذ مساجد

للقبائل في أماكن تجمعها، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة/ المسجد الجامع، كما كتب الخليفة لأمرء الأجناد في بلاد الشام بمثل ذلك، وكتب لعامله على مصر عمرو بن العاص بهذا المضمون.

وفي العام 169 هـ تعددت المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة في مصر؛ فتم تصنيف المساجد وتحديد المسجد الجامع منها الذي تقام فيه صلاة الجمعة، واستمرت المساجد تتطور بناء ودورا خلال المراحل المختلفة من التاريخ الإسلامي، وحافظت على دورها الأساسي، لكنها أضافت لهذا الدور ما يتناسب معه، ويخدم المسلمين بعامه.

وقد أضيف لدور المسجد أدوار متصلة باستمرار حلقات العلم في أرجائه على مدار السنة ليتلقى فيها المسلمون العلم الديني والدنيوي. وأضيف للمساجد كتاتيب، وأصبحت منارات علم في مختلف العلوم؛ الفقه، التفسير، الحديث الشريف، الأدب، التاريخ، الفلك، الطب الهندسة والرياضيات وعلم الفرائض.

وأصبحت مساجد: الحرم المكي، المسجد النبوي، مسجد المنصور في بغداد، الجامع الأموي في دمشق، جامع القسطنطين في مصر ثم الجامع الأزهر فيها، وجامع الزيتونة، وجامع القرويين؛ منارات للعلم الديني والدنيوي يؤمها طلبة العلم من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ومن خارجه، ينهلون من علمائها؛ يعلمون ويتعلمون، ويتعرفون على أوضاع البلاد الإسلامية وعلى ما يجري حولهم، ويسافرون في طلب العلم.

وكانت المساجد مكانا لتوزيع فائض الأموال التي ترد من الأقاليم على مستحقيها، وتوزيع الغنائم، وفيها تجمع الزكاة المفروضة والصدقات وزكاة الفطر، وتوزع من خلالها، ويجد طالب العلم مأوى في أكنافها، كما يجد الغريب وابن السبيل المبيت والطعام والشراب وأحيانا الكساء.. كل ذلك بالمجان.

وتطورت في المساجد ومن خلالها؛ المكتبات ودور المخطوطات والمهن المتصلة بالقراءة والكتابة، ومنها الوراق، كما تطورت من خلالها أساليب التدريس ومناهجه وآداب

المعلم والمتعلم وطرق التقويم، ثم الحصول على الإجازات العلمية (الشهادات). وعرفت أرجاء المساجد الحوار بين مختلف المذاهب الفقهية، وشهدت السجلات العلمية، وطوّر الفقهاء من خلالها نظريات في أدب الحوار وأساليب المناظرات الفقهية والعقلية.

وتطور بناء المساجد فأضيف إليها المحراب، ثم القباب والمآذن، ثم السواري فالأسبلّة والتكاييا والبرك، ثم الأجنحة الخاصة للعلماء والضيوف الغرباء، وتوسعت المساجد في البناء فأضيفت إليها الحمامات العامة ووسائل التدفئة والتبريد.

ويمكن القول، دون موارد، إن المسجد لم يكن مؤسسة دينية يؤدي فيها المسلمون الصلاة ويتعلمون من خلاله تعاليم الدين الحنيف وأصول العقيدة الإسلامية السمحاء فحسب؛ بل كان مؤسسة اجتماعية أيضا يتعلم فيها المسلمون الآداب العامة، والنظام والمساواة، وتتشكل من خلال المسجد ثقافتهم الموحدة؛ ويستمعون إلى الخطب التوعوية التي تعالج مختلف شؤونهم الدينية والدنيوية، وله مكانة بارزة في مختلف مناحي حياتهم. ويسهم المسجد في تشكيل وعي أجيالهم ومعالجة مشكلاتهم المعاصرة على هدي الإسلام وشريعته السمحة.

## محطات في تاريخ اليمن المعاصر<sup>(1)</sup>

تعد اليمن من الوجهة الجغرافية والجيولوجية جزءاً لا يتجزأ من أرض شبه الجزيرة العربية التي كانت جزءاً من القارة القديمة المسماة (Gondwanaland). كانت شبه الجزيرة متصلة بالقارة الإفريقية من ناحية الغرب وبهضبة إيران من ناحية الشرق؛ وبسبب الحركات التكتونية الصدمية حدث الانكسار الأخدودي الذي بفضلله تكوّن البحر الأحمر وانفصلت الجزيرة العربية عن إفريقيا؛ وارتبط البحر الأحمر بالبحر العربي والمحيط الهندي من خلال أصغر مكان في الانكسار الأخدودي (مضيق باب المندب).

تقع اليمن ضمن الامتداد الشمالي لنطاق الطقس الاستوائي؛ المناخ الجاف وشبه الجاف، باستثناء: إب والمحويت وتعز وحجة.

كانت اليمن ولا تزال دولة مركزية وهامة في شبه الجزيرة العربية؛ لما لها من مقومات تتعلق بالموقع الاستراتيجي والجغرافي والموارد الطبيعية، والإنتاج السمكي فضلاً عن النشاط الاقتصادي والسياحي، وبمساحتها التي تبلغ 555 ألف كم مربع، بالإضافة إلى حصتها من صحراء الربع الخالي، بينما تبلغ المساحة القابلة للزراعة فيها 166 ألف كم مربع تشكل نحو ثلث المساحة العامة للبلاد. أما الأراضي المزروعة فعلا فلا تتجاوز ربع مساحة الأراضي القابلة للزراعة، وتعتمد على مياه الأمطار الموسمية، ولا يوجد في اليمن أنهار. وكذلك بشواطئها التي يبلغ طولها نحو 2500 كم، وسيطرتها على ممرات البحر الأحمر المتجهة شمالاً إلى السويس والبحر المتوسط، وجنوباً باتجاه المحيط الهندي وبحر العرب، ومضيق باب المندب الاستراتيجي الذي تمر من خلاله الصادرات النفطية

---

(1) ورقة مقدمة في ندوة «اليمن بين الماضي والحاضر» جامعة مؤتة - قسم التاريخ، بتاريخ

لدول الخليج العربية، وينقل من خلاله 30٪ من حمولات النفط العالمية، وتمر من خلاله 7٪ من الملاحاة العالمية، وتشحن فيه الواردات المختلفة لسكان المنطقة.

بلغ عدد سكان اليمن نحو 25 مليون نسمة عام 2010م (نحو 30 مليون حالياً)؛ تشكل القبائل العربية ونظامها الاجتماعي 95٪ من حجم السكان. والقبيلة بنية اجتماعية تشكل سلطة في اليمن بنسبة زيادة سكانية مرتفعة بلغت 3٪ سنوياً، وفي اليمن نصف سكان الجزيرة العربية تقريباً.

وإضافة لكل هذا، صنف اليمن بأنه بلد فقير مائياً، وأنه في حالة استنزاف مائي خطير. وقد ينضب حوض صنعاء المائي نحو عام 2025م، وحصاة الفرد من المياه تبلغ نحو 84 متر مكعب سنوياً (تشكل أقل من خمس الحد الأدنى لاستهلاك الفرد الذي حددته منظمة الصحة العالمية)، علماً بأن المياه تشكل 80٪ من أسباب النزاعات الاجتماعية في اليمن، كما أنه الدولة العربية الأولى عربياً والثانية عالمياً من حيث الفقر الغذائي للعام 2014م.

### • العثمانيون

حكم العثمانيون اليمن للمرة الأولى في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، عندما وجّه السلطان سليم الأول (1512-1520) جيوشه إلى الشرق؛ فارس الصفوية، والمماليك في بلاد الشام ومصر. وقد سقطت اليمن بيد المماليك في الوقت الذي سقطت فيه القاهرة بيد العثمانيين؛ فاعترف المماليك في اليمن بالسيادة العثمانية الجديدة التي بقيت اسمية حتى عام 1538م، ثم سيطرة جزئية بعد ذلك، وتحالف العثمانيون خلالها مع الإسماعيلية ضد الإمام يحيى شرف الدين؛ ثم سيطر العثمانيون على اليمن من صعدة شمالاً إلى عدن جنوباً زهاء قرن (1538-1635م) بين توسع وانكماش في سيطرتهم وتوالى عليها 22 والياً، ونازعهم السلطة خلالها خمسة أئمة، وكثرت الثورات والحملات العثمانية (حملة سنان باشا 1570م، وسنان باشا الكيخيا على جنوب اليمن). خلال هذه

المدة ورث الإمام المؤيد بن محمد القاسم حكم اليمن الموحد زهاء عقدين من الزمان. ثم حكم اليمن بعد ذلك الأئمة (17 إماماً).

أما الثانية ففي منتصف القرن التاسع عشر، عندما حاول العثمانيون استعادة سيطرتهم على الجزيرة العربية بعد أن وصلت إليها قوات محمد علي باشا عام 1835م، وسيطرت على تهامة وفرضت عليه معاهدة لندن 1840م. وسلم محمد علي تهامة إلى حليفه الشريف حسين بن علي أمير أبي عريش، ونشب صراع بين أمير عسير محمد بن عائض والشريف والإمام محمد بن يحيى المتوكل، ثم سيطر العثمانيون على تهامة وجزئياً على صنعاء، ولم يسيطروا على تعز. وواجه العثمانيون خلال مدة حكمهم هذه الكثير من الثورات.

أرسلت السلطنة العثمانية أحمد فيضي باشا المعروف بالشدة والقسوة ثلاث مرات واليا على اليمن لإخماد الثورات، وازداد نشاط الإمامة (الإمام المتوكل محسن، الإمام الهادي شرف الدين، الإمام المنصور محمد بن حميد الدين، ثم ابنه المتوكل يحيى) والتفت القبائل حولها (حاشد وبكيل جناح الإمامة). وتولى اليمن خلال الأعوام (1872-1918) خمسة عشر والياً، حوَصر الأتراك العثمانيون مرتين في صنعاء آخرها 1911م. وعاصر وجود العثمانيين الثاني 8 أئمة.

#### ● اليمن 1900 - 1911

الجنوب تحت الاحتلال البريطاني؛ عدن منذ 1839م والسلطنات: القعيطية الحضرمية ثم السلطنة الحضرمية في الشحر والمكلا (1858 - 17 ايلول 1967م)؛ القعيطية كانت في حالة صراع مع السلطنة الكثيرة (عاصمتها سيئون؛ منذ 1379 - 2/10/1967) في الجزء الشمالي من حضرموت (وقعت اتفاقية صلح 1937م).

القليل من الزائرين؛ محاولات التبشير، محاولات السيطرة على تجارة البن؛ ميناء الحديد ومملحة الصليف، وتنافس بريطاني أمريكي إيطالي على التجارة والموانئ.

سيطرة عثمانية على جزء من اليمن الشمالي؛ سيطرة للائمة في المرتفعات؛ ومعارك مستمرة بينهما، تبادل السيطرة على صنعاء، وعرفت اليمن خلال هذه الفترة بـ (مقبرة الأناضول)، وسعى الأتراك العثمانيون بعد 1908م إلى العمل على مركزية الدولة والقضاء على الزعامات المحلية فاستخدمت القسوة في اليمن.

### • الزيدية

الزيدية تنسب إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (76هـ/ 695م- 1 صفر 122هـ/ 740م)، والدته أم ولد سنديّة (أمة سنديّة أهداها لوالده المختار بن عبيد الثقفي).

نشأت الزيدية بعد تطورات موقف الشيعة من فكرة الخروج على الحاكم الظالم ومقاومته الخلافة الأموية. كانت معارضته مسلحة، وتبنى نظرية ثورية التفت حول زيد ونسبت إليه، فخرج على الأمويين وقاتل عاملهم في الكوفة عام 122هـ/ 741م، وقُتل بعد أن تخلى عنه أنصاره. قال بصحة خلافة الشيخين، وإمامة المفضول مع وجود الأفضل، ولم يقل بعصمة الأئمة ولا الإمام المنتظر ولا الإمام المستور. لذلك يرى العديد من العلماء أن الزيدية تعتبر مذهباً خامساً.

انقسمت الزيدية بعد مقتله إلى بترية؛ نسبة إلى كثير النوى الأبتري في الكوفة، والجارودية نسبة إلى الجارود زيد بن أبي زياد العبدي وهو الأقرب إلى الإمامية من حيث إنكار إمامة الخلفاء الأول والقول بإمامة علي بن أبي طالب، والسليمانية نسبة إلى سليمان بن جرير الرقي، والصالحية نسبة إلى صالح بن حي (ت: 167هـ/ 784م). والأخيرتان على اتفاق تام ولهذا يعتبرهما البعض فرقة واحدة.

وظهرت في اليمن فرق عديدة بعد ذلك: القاسمية، الحسينية، المطرفية والمخترعة. يميل مذهب الزيدية إلى الاعتزال (معنى سياسي: الحياد في الحرب في صفين والجمل، ومعنى مرتبط بظهور المذهب الفكري الكلامي)؛ إذ تأثر زيد بالمعتزلة، وقيل إنه تتلمذ

لواصل بن عطاء رأس المعتزلة؛ وأثر المعتزلة واضح في القضايا الكلية (ذات الله، الجبر والاختيار، المنزلة بين المنزلتين، لكنهم قالوا بأن مرتكب الكبيرة ليس مخلدا في النار)، والزيدية ترفض التصوف رفضا قاطعا، وهو أقرب مذاهب الشيعة إلى السنة ويحرمون زواج المتعة.

والإجماع عندهم؛ في الغالب، على أن اختيار الإمام واجب على المسلمين؛ وأن الإمامة أصل من أصول الدين كالتوحيد، وليست من مسائل الفروع الاجتهادية؛ فالإمام يجسد إرادة الله على الأرض، ويوجب المذهب الاجتهاد بشروط؛ وشروط الإمام: مكلفا، ذكرا، حرًا، علويًا، فاطميًا، سليم الحواس والأطراف، مجتهدًا، عدلًا، سخيًا، مدبرًا، مقدامًا، ورعًا، بالغًا، عاقلًا، أفضل زمانه، ولم يمارس مهنة مردولة، ومع ذلك معظم الأئمة لم تتوفر فيهم هذه الشروط وجاءوا على أسنة الرماح، ولا يقرون بتوريث الخلافة.

وطد المذهب الزيدي وجوده في اليمن إلى جانب الشوافع منذ القرن التاسع الميلادي، واتخذ الزيدية مساكنهم في المرتفعات وخاصة صعدة وحول صنعاء.

أسس الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي الذي يتصل نسبه في جده السادس بفاطمة وعلي (ت: 298هـ / 911م) الأسرة الرسية الحاكمة عام 893م، وحارب الباطنية والقرامطة من خلال ائتلاف قبلي من قبائل خولان.

## • الشوافع

انتشر المذهب الشافعي في اليمن بعد تتلمذ الإمام الشافعي على علماء اليمن وإقامته في اليمن؛ ثم أصبح قاضيا في نجران وتزوج هناك. وانتشر المذهب الشافعي من خلال الحواضر اليمنية وخاصة زيد، وكان مذهبا لدويلات: نجاح في زيد، بني رسول في تعز، بني طاهر في رداع والمقرانة. والشوافع موجودون في المنخفضات الجنوبية والسهول الساحلية؛ ويشكل الشوافع نصف سكان اليمن حاليا.

## • الإسماعيلية

أسسوا دولة في اليمن/ الصليحية ق 12هـ استمرت مائة عام، وجمعتها علاقة بالدولة الفاطمية، وتراجعت بعد ذلك إلى حراز. وعدددهم الآن نحو 60 ألفا فقط.

- اليهود

بداية القرن 20 م كانوا نحو 150 ألفا، 50 ألفا / 1948م، حاليا نحو 15 ألفا.

- الموقف من التصوف

أحمد بن علوان (ت: 1267م)

هذي تهامة لا دينار عندهم ولج أبين بل صنعاء بل عدن

فما ذنوب مساكين الجبال وهم جيران بيتك والأحلاف والسكن

فانظر إليهم فعين الله ناظرة هم الأمانة والسلطان مؤتمن

وموقف الإمام أحمد من زيارته والتبرك به

العلم علمان، علم يستضاء به علم الحدود وعلم يكشف الحجبا

## • 1911 - 1918م

في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قاد الأئمة من آل حميد الدين ثورة مسلحة ضد السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني والسلطان محمد الخامس رشاد 1909-1918). أسهمت هذه في إذكاء المشاعر الدينية والحمية القبلية بمعزل عن الانتماء القومي أو الرابطة الوطنية.

(19/ 10 / 1911م) اتفاق دعان بين الإمام يحيى والعثمانيين.. تجاهل الإشارة إلى المذهب الإسماعيلي، تم خلاله توسيع سلطات الإمام السياسية والدينية على أغلب الأجزاء الشمالية من اليمن، والاعتراف الدولي به كقوة سياسية محلية، وأخضع اليمن الأسفل للحكم العثماني العسكري المباشر، بينما كان اليمن الأعلى تحت حكم ذاتي مع وضع خاص للإمام من الناحية الدينية ثم الإدارية. وعمم الإمام مذهبه على جميع المحاكم

في اليمن، وفرض على محكمة الاستئناف التقييد بمذهب الزيدية؛ ورفض الاعتراف بالمذهب الاسماعيلي، وتضمن اتفاق دعان إشارات تدل على أن البناء السياسي لليمن سيكون قائما على التوازنات المذهبية والجهوية؛ وتمت تعبئة السكان المحليين في إطار ديني قبلي ضد الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية من جهة، وضد التدخل الخارجي من جهة أخرى. وأسند الإمام وظائف تنفيذية وقضائية مرموقة للأسر القحطانية (آل الشوكاني، آل الاكوع، آل العرشي، آل الارياني وآل الحلاللي احترازا من الخروج المتكرر لعمداء الأسر الهاشمية)، واتبع أسلوب المؤاخاة بين القبائل المتحاربة المؤتلفة لتوفير قوة احتياطية في مواجهة خصومه. واعتبر مع ذلك من قبل بعض القبائل (إمام المذهب) وكانت معاركة مع القبائل وبريطانيا لتوسيع نفوذه على حساب بريطانيا في الجنوب والأدراسة في عسير (إمام الذهب) الذين توسعوا إلى تهامة والحديدة (سلمتها بريطانيا للإدريسي عام 1921م)، في الوقت الذي حرصت فيه بريطانيا على تغذية الخلافات المذهبية (فرق تسد)، مع أنه كان في اليمن نفرة سياسية وإدارية أكثر منها مذهبية. وحُوت أرض اليمن الأسفل من عشرية إلى خراجية تدفع الخراج باعتبارها خضعت عنوة. عقدت معاهدة مكة بين حسن الإدريسي وابن سعود 10/ 1926م، التي بسط ابن سعود بموجبها سيطرته على عسير، ثم حرب لاحقة ومعاهدة الطائف 1934م، حيث ألحقت عسير ونجران بدولة ابن سعود (السعودية 1932م).

1915م عقد البريطانيون مع العثمانيين اتفاقية الحدود لتقسيم اليمن إلى مناطق نفوذ بينهما؛ أتاحت الاتفاقية ظهور المملكة المتوكلية بعد نهاية الحرب على أساس هذه الحدود.

1918م اتفاقية هدنة مودروس (سفينة أغاممنون في ميناء مودروس بجزيرة ليمنوس اليونانية)، وانتهاء الحرب الأولى وتسليم الجيش العثماني للإمام يحيى أدى إلى ظهور اليمن المستقل على الخريطة السياسية العالمية وتمهيد لقيام المملكة المتوكلية اليمنية في

(22/12/1918م.. 18 ربيع أول 1337هـ). وبقيت بلاد اليمن تحت حكمه دون منافس (باستثناء الإمام حسن الضحياي)، حتى اغتياله (1367هـ / 1948م). ويمكن اعتبار المملكة امتدادا للدولة القاسمية التي حكمت اليمن أكثر من ثلاثة قرون ممتدة من الزمن. واستطاع الإمام يحيى تأمين الحكم في أسرته من خلال ولاية العهد وسلالته، ويكون بذلك قد أفرغ المذهب الزيدي من محتواه العقدي (الإمامة في البطنين دون تخصيص أسري)؛ ولذلك ذكر بعض المؤرخين أن الإمامة انقلبت ملكا عضوا، ولم يكن هذا التحول انحرافا عن الأسس الفكرية للنظرية الزيدية، بل تحولا نهائيا من إمامة إلى ملكية؛ وتكنى الإمام يحيى بالمتوكل على الله عند خروجه، ثم بأمر المؤمنين بعد مبايعته، وإمام الأمة بعد الاستقلال وإعلان قيام المملكة المتوكلية، وعرف بعد وفاته بالإمام الشهيد.

وفي 23 تموز 1954 وخشية من ثورات ناصرية، شكلت بريطانيا اتحادا فيدراليا بين سلاطين محميات عدن الغربية، لم تنضم إليه السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية والمهرية، وعرف بـ(اتحاد الجنوب العربي) وذلك لحماية مستعمراتها وتدعيمها ضد أي حركة قومية. وأعلنت عنه بريطانيا عام 1954م، ثم أعلنت عن ضم محميات عدن الشرقية إليه في العام 1959م، بإطار جديد (الاتحاد الفيدرالي للجنوب العربي).

أقامت بريطانيا في عدن نظاما مزدوجا ومختلفا عن بقية المحميات (سلطة احتلالية ومقيم بريطاني مرتبط بحكومة الهند لغاية 1937م، عندما أصبحت إحدى مستعمرات التاج البريطاني/ لندن، مع وجود مجلس تنفيذي استمر حتى 1946م، فقد أصدرت لها نظاما خاصا فيه مجلس تشريعي ودستور ومجلس تنفيذي، وكان المندوب السامي البريطاني هو السيد). وقسمت بريطانيا المناطق الجنوبية الأخرى إلى 24 سلطة وإمارة.

قادت الجبهة القومية ثورة على السلاطين بما فيها السلطنة الكثيرية والقعيطية في حضرموت، وأعلنوا مكانها (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية).

## ● الإمام أحمد

أحمد بن يحيى الإمام الناصر لدين الله (1895-1962) أحمد الجني، حمل لقب ولي العهد، تولى الحكم عام 1948م. وقع اتفاقيات مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية والصين الشعبية ومصر؛ كان على خلاف مع بريطانيا في فترة تأسيسها للاتحاد الفيدرالي العربي لدول جنوب محمية عدن، ورأى أن المخطط البريطاني يعد تقوية ودعمًا لدويلات الشوافع الواقعة جنوب حدوده، والتي يمكن أن تتحالف مع شوافع جنوب مملكته ضد الأقلية الزيدية الحاكمة للتخلص من الإمامة الزيدية. وقع ميثاق جدة عام 1956م مع عبدالناصر والملك سعود كحلف ثلاثي ضد حلف بغداد، والتحق بالوحدة المصرية السورية عام 1958م (ميثاق الاتحاد الثلاثي) ثم حل بعد قصيدته في ذم الاشتراكية.

## ● 26 / 9 / 1962 الجمهورية العربية اليمنية

ظهرت بعد 13 ثورة، وما بين 20 إلى 60 محاولة اغتيال، وحرب أهلية بتنافس دولي وبأيدي عربية استمرت حتى المصالحة اليمنية 23 / 3 / 1970م، وقتل فيها (26000) جندي وضابط مصري.

أعلنت الجمهورية مبادئ ستة منها:

- وحدة الوطن اليمني.
- التحرر من الاحتلال في الجنوب.
- وحدة عربية.

صراع بين الجمهوريين والملكيين؛ تحولت السعودية من دعم الملكييين إلى دعم الجمهوريين المعتدلين

## • الجنوب اليمني

14/10/1963 إعلان الثورة من قبل الجبهة القومية في جبال ردفان، ولاحقا قبل البريطانيين الجلاء في 10/10/1967... حركة تصحيحية 22/6/1969م. إجبار الرئيس قحطان على الاستقالة، وتولى مجلس رئاسة (سالم ربيع علي ت: 1978م) السلطة مع عبد الفتاح إسماعيل (ت: 1986م) ومحمد علي هيثم وتطورات دامية واغتيالات. وفي 30/10/1967م أعلنت الجبهة القومية قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، رافقها في الشمال قيام انقلاب في 5/10/1967م أقصى الرئيس عبدالله يحيى السلالة (1917-1994م)، رئيس (1962-1967م)، وحل محله القاضي عبد الرحمن الأرياني 11/11/1967م (ت: 1994م في سورية). تولى السلطة كتيار معتدل؛ أسس أول مجلس نيابي (المجلس الوطني). استقال 1974م تحت ضغط خارجي.

مقتل فيصل عبداللطيف الشعبي (1935-1970م)، وهو من القوميين العرب ومؤسس للحركة في الجنوب، خريج تجارة واقتصاد/ القاهرة 1962م، مناضل. بعد اعتراف بريطانيا باستقلال الجنوب 30/11/1967، عُين وزيرا للاقتصاد والتجارة والتخطيط برئاسة قحطان، ثم رئيسا للوزراء 4/4/1969م، وفي 22/6/1969، تغلب التيار الماركسي وأجبر الرئيس قحطان على الاستقالة وحل محله مجلس رئاسة برئاسة سالم ربيع علي سميت «الحركة التصحيحية»، وعرضت على فيصل عضوية مجلس الرئاسة فرفض معتبرا الحركة انقلابا، ففرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله، ثم نقل إلى سجن التواهي واغتيل في سجن عدن في نيسان 1970م.

قحطان محمد الشعبي (1920-1982م).. مهندس زراعي خريج الخرطوم. أول رئيس لحكومة الاستقلال. مؤلف كتاب «الاستعمار البريطاني ومعركتنا القومية في جنوب اليمن».. أصبح مستشارا لعبدالله السلالة لشؤون الجنوب، أصبح لاحقا أميناً عاماً للجبهة القومية لتحرير الجنوب 1963م. رفض دمج الجبهة مع منظمة التحرير (اقترح عبد

الناصر) فوضع في الإقامة الجبرية في القاهرة. أعيد الاعتبار له في مؤتمر خمر عام 1966م. وبعد النكسة احتل كريتر 20/6/1967م، وفي 30/11/1967م أعلنت الجبهة قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وتولى قحطان رئاستها.

## • الشمال

بعد ثورة 1962م التي أطاحت بالإمام محمد البدر (15/2/1926م - 6/8/1996م ودفن في المدينة المنورة) آخر حكام المملكة المتوكلية بعد توليه السلطة بأسبوع، وأطاح به رئيس قائد الحرس الملكي عبدالله السلال؛ حارب البدر لمدة سبع سنوات لاستعادة عرشه بمساعدة السعودية ولما يأس أقام في لندن.

في 5/11/1967 قامت في الشمال حركة انقلابية أقصت علي عبدالله السلال وحل محله مجلس رئاسة برئاسة القاضي عبدالرحمن الأرياني (تزامن ذلك مع رحيل القوات المصرية فحاصرت القوات الملكية صنعاء) وواجه قحطان انقلابا عام 1968م، تعرض خلاله عبدالفتاح إسماعيل للاعتقال والضرب وسافر إلى بلغاريا للعلاج. في 22/6/1969 قدم قحطان استقالته ووضع تحت الإقامة الجبرية.

الشمال انقلاب أبيض (الحركة التصحيحية) المقدم إبراهيم محمد الحمدي: (30/9/1943م، اغتيل 10/10/1977م) وعمره 34 سنة، قام بها بمشاركة المشير عبدالله عبدالعالم، ضد القاضي الأرياني لأنه اعتبرها ضعيفة وغير فعالة في (13/6/1974) وكانت بسبب انهيار الأوضاع، والفساد الإداري والمالي، وانفلات في الأجهزة الحكومية. واجه الحمدي معارضة شيوخ القبائل؛ فقد قلص من دورهم في الجيش والدولة وألغى وزارة شؤون القبائل التي كان يرأسها عبدالله بن حسين الأحمر، وأعاد بناء القوات المسلحة وتنظيمها. كان ينتهج سياسة مستقلة عن السعودية خارجيا، واغتيل ليلا قبل توجهه إلى عدن بيوم واحد لبحث مشروع الوحدة التي كانت هاجسه.

الرئيس أحمد حسين الغشمي (37 سنة) (1941-1978م) رئيس لأقل من سنة 11/10/1977. اغتيل بقنبلة حملها مهدي أحمد صالح (تفاريش)، أرسلها الرئيس الجنوبي سالم ربيع علي (24/6/1978م). دعا للوحدة مع السعودية.

عبد الكريم عبد الله العرشي (1934-2006 توفي في الرياض) (رئيس من 24/6/1978 - 18/7/1978م). شكل مجلس رئاسة برئاسته وانتخب علي عبدالله صالح عفاش رئيسا (حكم 17/7/1978 - 27/2/2012) وانتخب العرشي نائبا له (21/3/1947 ت: 4/1/2017م) أول رئيس لدولة الوحدة.

13/1/1986م قتل في أحداثها قيادات كبيرة وكثيرة (حطمت 70٪ من قوة الجنوب العسكرية والسياسية مقابل تماسك القيادة العسكرية والقبلية في الشمال وكسب قيادات جنوبية).

اتفاق غورباشوف / بوش ترك الأنظمة اليسارية في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية تتساقط.

2004-2009 قدمت إيران مساعدات مالية وعسكرية للحوثيين خلال حروبهم مع صالح (تقرير ستراتفور).

2012 أعلن الرئيس هادي (التوافقي والمؤقت) أن الأجهزة الأمنية اليمنية ضببت ست شبكات تجسس إيرانية تعمل في اليمن والقرن الإفريقي منذ سبع سنوات، وأن إيران تدعم الانفصاليين في الجنوب والجماعات الدينية في الشمال (ترافق ذلك مع صعود قوة الحوثيين).

الرئيس علي عبدالله صالح (17 تموز 1978م - ت: 2012م) ألغى الحرس الجمهوري 19/12/2012م.

الرقص على رؤوس الثعابين، تحالفات قبلية وسياسية غير مستقرة. جمهوري، تعددية سياسية وحزبية، محاولة توريث 2010.

الوحدة 22 / 5 / 1990م

علاقات مع الشرق والغرب، علاقة خاصة مع مجلس التعاون العربي، علاقات خاصة مع السعودية.

الأردن: وثيقة العهد والاتفاق شباط 1994م.

حروب ستة مع الحوثيين (2004-2009).

2008م وكالة التنمية الأمريكية قدرت عدد الموظفين الوهميين بـ(30000) من أصل (473000)، والجنود الوهميين بثلاث عدد القوات المسلحة، و40٪ من موظفي التعليم وهميون. وفي 2007 كان هناك 6000 شيخ تصرف لهم مرتبات من مصلحة شؤون القبائل. اليمن مهددة بالانهيار والفشل (Fund for Peace) منذ 2005م تصنيف صندوق السلام. انتخب الرئيس عبد ربه منصور هادي رئيساً توافقياً مؤقتاً في شباط 2012م.

اليمن هي الدولة الوحيدة في منطقة الخليج والجزيرة التي تسمح بقيام الأحزاب السياسية وتأخذ بالنظام الحزبي التعددي، والدولة الثانية بعد الكويت التي يوجد فيها برلمان منتخب بطريقة مباشرة؛ ولذلك لا بد من أخذ الأبعاد الإقليمية للتجربة اليمنية بالاعتبار.

الولاء في اليمن يتمركز حول القبيلة ثم المنطقة، وليس هناك ولاء طائفي. كان في اليمن صمت طائفي، لغاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين؛ والبعد الهوياتي العام والجامع في اليمن مرتبط بالهوية الثقافية اليمنية وليس البعد الهوياتي الطائفي (لا توجد هوية زيدية).

## أهمية وضرورة المعرفة التاريخية..

### السخاوي في الإعلان بالتوبيخ نموذجاً<sup>(1)</sup>

#### • الكاتب

السخاوي مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب، أصله من قرية مصرية هي سخا، ومولده في القاهرة ووفاته بالمدينة المنورة. ارتحل طويلاً رغم التجزئة السياسية للعالم الإسلامي، وصنف نحوًا من مئتي كتاب، منها «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، في اثني عشر جزءًا، ومنها: «الكوكب المضيء» ترجم فيه لبعض معاصريه، والكتابان في التراجم والتاريخ، وكتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ» الذي نحن بصده اليوم.

#### • العصر

عاش السخاوي في عصر تراجع سياسي وحضاري وثقافي في الفترة المملوكية (المماليك الشراكسة) في مصر، وفي ظل تهديدات سياسية من الدول الطامعة الفرنسية، والقبرصية، والخلافات بين المماليك والعثمانيين، وفي هذه الأجواء لم يركن السخاوي إلى اليأس أو إلغاء فن أو علم التاريخ، وإنما ألف كتابًا «أقام فيه نصبًا قيمًا لعلم التاريخ العربي» بحسب المستشرق روزنثال. واعتبر التاريخ موضوعًا ثقافيًا هامًا يساعد في مناهج الدراسة الدينية السائدة آنذاك.

وقال السخاوي إن الداميين للتاريخ منهم من «خصّص، ومنهم من عمّم»، الأول اعتبر التاريخ غيبة محرّمة فنّدها السخاوي، وقال إنه يكفي دليلًا على جلاله علم التاريخ وفضله

(1) عرض لكتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، لكتابه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. نشرت المقالة في مجلة «أفكار»، وزارة الثقافة، العدد (286)، تشرين الثاني 2012.

وفخامة قدر صاحبه ونبل القصص القرآني وغاياته، وأما الذي عمم فإنه يحتقر التاريخ ويزدرية لظنه أن غاية فائدته القصص والأخبار، ونهاية المعرفة به الأحاديث والأسمار. وكتب كتابه الذي لا يبدو أنه نص نهائي قابل للنشر، بالنسبة إليه، وكما اعتقد، لكنه جمع مادته، وكان يعتقد أنها بحاجة إلى تدقيق وإضافة، وكتب بحماس يعبر عن حرص على التاريخ؛ فكان كتابه عرضاً شاملاً لعلم التاريخ الإسلامي. ورغم أن روزنثال تردد في تسميته تأريخاً لعلم التاريخ الإسلامي، إلا أنه يمكن اعتبار كتابه الذي جمع فيه المؤثرات الثقافية واللغوية لعدة حقب إسلامية مختلفة، ولخصها بلغة فنية خاصة بالعلوم الإسلامية، صورة مضبوطة لإنجازات ومواطن فشل التاريخ الإسلامي.

واهتم السخاوي بكتابات وآراء معاصريه أو القريبين من عصره، وحاول أن يرتب اقتباساته عن فوائد التاريخ ترتيباً زمنياً، وسواء أكانت هذه الاقتباسات مباشرة وأشار إليها السخاوي، أم أنها غير مباشرة وأفاد منها، فإننا لأغراض هذه الدراسة، سنعتبرها جزءاً من آرائه؛ باعتبار أن اختيار الرجل جزء من عقله.

### • تعريف التاريخ

عرّف السخاوي التاريخ لغة واصطلاحاً تعريفاً جامعاً، واعتبر أن فن التاريخ عربي، وعرّفه اصطلاحاً بأنه: «التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وضبط وتوثيق وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض، وخليفة ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد، وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة. وربما يتوسع فيه لبدء الخلق، وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي أو دونها كبناء جامع، أو مدرسة أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها، مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد، أو خفي سماوي، كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضي كزلزلة وحريق وسيل

وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام». وأضاف: «والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم».

وقد اعتبر السخاوي أن أقسام التاريخ هي: (ص 301 وما بعدها) التأريخ على الحوادث، الحوادث والوفيات، كتب التراجم. كتب عن تواريخ الوفيات. كتب تاريخ متنوعة منها: الرحلات مثلاً.

### • شروط المؤرخ

ولأهمية علم التاريخ عنده فقد اشترط شروطاً للمؤرخ (ص 114) منها: العدالة مع الضبط التام الناشئ من مزيد الإتيان والتحري وعدم الاكتفاء بالنقل الشائع. تجنب التعرض للوقائع المنقصة الصادرة في شبوية (الشباب) التي اعتبرها شعبة من الجنون (لعل بعض وسائل الصحافة اليوم تعبر عن هذا الاتجاه!). عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنزلهم والتمييز بين المقبول والمردود والورع والتقوى وعدم الأخذ بالتوهم، والقرائن التي تختلف والصدق في نقل النص وتسمية المنقول عنه، والمعرفة بحال المترجم علماً ودينًا، مع حسن العبارة، ومعرفة بمداومات الألفاظ، وحسن التصور، والتجرد عن الهوى.

خلاصة ما ذهب إليه السخاوي في أهمية وضرورة المعرفة التاريخية:

إن التاريخ يستفاد منه في علوم أخرى: منها علم السياسة الذي عرفه السخاوي بـ«العلم الذي يتعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات الفاضلة والمروية وتوابع ذلك». فإذا ما طالع أهل السياسة التاريخ فكأنهم عاصروا الأحداث، أو حضروها، كما أن الأحداث السياسية التي يطالعها الملوك ومن إليهم الأمر مفيدة لهم، فإن كانت قبيحة «استقبحوها وأعرضوا عنها، وأطرحوها... أو دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من

المهالك، أو استضافوا نفائس المدن وعظيم الممالك...»، وفي كل الأحوال فإن الإنسان بحسب السخاوي، يزداد عقلاً.

كما أن المعرفة التاريخية تفيد السياسيين من حيث «حسن التدبير، واستعمال الحزم، وتأدب المتسلط، وشحن صوارم العقول، وروضة للمتنزه في المنقول» (ص 60) (اقتباس من أبي الفرج بن الجوزي في فوائد السير والتواريخ).

ومنها علم الأخلاق الذي عرفه بالعلم الذي يعلم منه أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها، وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها. ونقل عن المصري صاحب كتاب الدولتين: «أنه وما في معناه دال على معالي الأمور، ومرشد لكرائم الأخلاق والأفعال، وزاجر عن الدناءة والقبیح، وباعث على صواب التدبير وحسن التقدير، ورفق السياسة، يكون للأديب تبصرة، وللعالم الأريب تذكرة، ولسائر الناس مؤدبًا، تعمر به المجالس في الجد والهزل، وتتضح بأمثاله الحجج، وتبلغ به الإرادة بأخف مؤنة، ويستولي به على الأمور كأنها مشاهدة» (ص 76-77) وأنه «لا يمنع هذه الثمرة قلة المعتبرين؛ فلا بد من وجود راغب ومعتبر، ومتأمل ومستبصر» ص 79.

وفي التاريخ إحياء لذكر الأولين والآخرين من العلماء والطارئين، وتصورهم في القلوب ومعرفة أفعالهم وزهدهم وورعهم ودياناتهم وانصرافهم عن الدنيا». وأخبار العلماء ومذاهبهم، والحكماء وكلامهم، والزهاد والنسك ومواعظهم، عظيم الغناء، ظاهر المنفعة في ما يصلح الإنسان به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي» (ص 32).

كما أن «ذكر ذوي المروءات والمتصفين بالوفاء ومحاسن الأخلاق والمعروفين بالشجاعة والفروسية، وذوي الهمم العالية والقرائح الصافية مفيد للتشبه والاقْتداء بأربابها طلبًا لحسن الشئ وطيب الذكر» (ص 33).

ومن العلوم التي تستفيد من التاريخ علم تدبير المنزل الذي عرفه السخاوي بأنه العلم: «الذي تُعلم منه الأحوال المشتركة بين الإنسان وزوجه وولده وخدمه ووجه الصواب

منها»، فهو مفيد في جميع مجالات علم الاجتماع ودراسة المجتمعات (التاريخ الاجتماعي والاقتصادي).

حكم التاريخ هو مدار الأحكام، وهو يرتبط بدراسة متأنية، وليس بمطرد في واحد، وأن دراسة التاريخ مرتبطة بما هو واجب لأنها: «تعين طريقاً للوقوف على اتصال الخبر من سلسلة الرواة، ومعرفة النسخ، ومعرفة الأنساب التي ينشأ عنها التوارث والكفاءة؛ رغم أن البعض قال إن التاريخ من فروض الكفايات، وبعضهم قال إنه مما ينبغي».

ومنها الاطلاع على عجائب الأمور وتقلبات الزمن، «وتصاريق القدر وسماع الأخبار»، ثم يقتبس عن العماد الأصبهاني في الفتح القدسي أن الأمة: «تقيد به شوارد الأيام، وتنصب به معالم الأعيان، ولولا ذلك لانقطعت الوصل وجهلت الدول، ومات في أيام الأواخر ذكر الأوائل» (ص45).

وينقل عن الموفق الخزرجي (ت: 812هـ/ 1409م) في مقدمة تاريخ اليمن: «ولولا معرفة التاريخ ما اتصل أحد من الخلف بشيء من أخبار السلف، ولا عرف فاضل من مفضول، ولا امتاز معروف من مجهول» (ص62).

الموعظة والاعتبار: وهو يستند هنا إلى مقولة التتبع المقريري من أن علم التأريخ علم راق يتعلمه الإنسان في مرحلة متقدمة من التحصيل المعرفي في مجالي العلوم العقلية والنقلية. وقد قسم المقريري العلم في الجملة إلى قسمين: عقلي ونقلي، وقال: «فينبغي أن يتفرغ المرء بعد إتقان ما يجب معرفته منهما لمطالعة التاريخ وتدبر مواعظه» (ص66). وينقل عن ابن الساعي (ت: 674هـ/ 1275م) قوله: «وأحسن الأسمار وأطيب الأخبار ما حصل به موعظة واعتبار، وهو علم التواريخ والأخبار» (ص54-55). كما ينقل عن الأكفاني (ت: 749هـ/ 1348م) في إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: «وكتب التواريخ ينتفع بها في الاطلاع على أخبار الملوك والعلماء والأعيان حوادث الحدثنان في الماضي من الزمان، وفي ذلك ترويح للخاطر، عبر لأولي البصائر». ونقل عن الصوفي الشبلي قوله:

«اشتغل العامة بذكر القصص، والخاصة بالاعتبار من القصص» (ص37). ويلاحظ أنه اعتبر المشتغلين بالتاريخ من الخاصة.

أهمية المعرفة التاريخية والاشتغال بفن التاريخ التي هي للعلماء «من أجل القربات بل من العلوم الواجبات المتنوعة» (ص14). وتزداد أهمية المعرفة التاريخية والاشتغال بالتاريخ عندما يكثر الخلل في عمل المؤرخين، وعندما «يتنشر من المناكير ما اشتمل على أقبح العلل؛ حيث انتدب لهذا الفن الشريف من اشتمل على التحريف والتصحيف، لعدم إتقانهم شروط الرواية والنقل، وائتمانهم من لا يوصف بالأمانة، بل صاروا يكتبون السمين مع الهزيل، والمكين مع المنزلزل العليل» (ص112).

ويضيف السخاوي مفسراً ذلك بأن المؤرخين «كغيرهم من سائر المصنفين، في كلامهم الخمير والعفين، والسعيد من عدت غلطاته، وما اشتدت سقطاته، فكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك. وهي الدنيا لا يكمل فيها شيء، ولا يخلو مصنف من نشر وطى» (ص111-112).

أهمية المعرفة التاريخية لجميع الناس: وهنا ينقل عن المؤرخ المسعودي (ت: 345هـ أو 346هـ / 956م) أن التاريخ: «علم يستمتع به العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحقق والعاقل، فكل غريبة منه تعرف، وكل أعجوبة منه تستطرف، ومكارم الأخلاق ومعاليتها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتبس، يجمع لك الأول والآخر والناقص والوافر والبادي والحاضر والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزين في كل محفل ومقام، وأنه (المسعودي)، حمله على التصنيف فيه محبة احتذاء المشاكلة التي قصدها العلماء وقفهاها الحكماء، وأن يبقى العالم محموداً وعلماً منظوماً عتيداً» (ص38-39).

التأريخ والمعرفة التاريخية ضرورة لمعرفة الأمور على وجهها: من حيث وقوع الحادثة، وتدقيق الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما، ومعرفة السند من الانقطاع،

أو العضل أو التدليس. أو إرسال ظاهر أو خفي، وهذه المعرفة تفيد في التعليل، وهنا ينقل السخاوي عن الإمام سفيان الثوري (ت: 161هـ/ 777م) «لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التأريخ» (ص 21-22). وينقل عن حسان بن زيد قوله: «لم يُستعن على الكذابين بمثل التأريخ»، وأضاف إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين (سنوات العمر)؛ أي احسبوا سنّه، وأن ذلك كله مفيد في النقد التاريخي.

كما أن المعرفة التاريخية هي إحدى الطرق التي «يعلم بها الغلط في المتفقيين بإضافة ما لواحد إلى الآخر، حيث يكون أحدهما ولد بعد موت الآخر». وهي مفيدة كذلك في الاطلاع (التحقق) من التزوير في «المكاتيب ونحوها بأن يعلم أن الحاكم الذي نسب إليه الثبوت أو الشاهد أو غيرها من أسبابه أو نحو ذلك مات قبل تاريخ المکتوب» وهو ما يعرف بنقد الوثائق الداخلي والخارجي؛ وضرب السخاوي مثلاً كتاب إسقاط الجزية عن يهود خيبر.

كما أن المعرفة التاريخية ضرورية لإحقاق الحقوق و«التوصل به لما المتأهل يستحقه» بحسب تعبير السخاوي، وضرب مثلاً شروط الواقفين عند إنشاء كتب الوقف الإسلامي، وأضاف أن التاريخ قسمان: سندي ومتني، ليلخص الفكرة بأن كل هذا «مرشد إلى الافتقار للتاريخ، أو هو من فوائده» (ص 31).

ثم يحاول السخاوي بعد فوائد النقد التاريخي والتعليل التاريخي أن يرسم صورة كلية عن فائدة التاريخ كما تصوره اليوم فلسفة التاريخ فيقول: «وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها، ثم سبب انقراضها، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء، وما يتصل بذلك من الأحوال التي يتكرر مثلها وأشباهاها أبداً في العالم، غزير النفع كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرب الأمور بأسرها، وياشر تلك الأحوال بنفسه؛ فيغزر علمه ويصير مجرباً غير غرّ ولا غمّر» (ص 32).

هذه خلاصة موجزة لأهمية وضرورة المعرفة التاريخية بأشكالها وصورها واستخداماتها ومفرداتها كما وردت عند المؤرخ الحجة السخاوي، الذي عاش عصر تراجع سياسي وحضاري وتمزق لوحدة العالم الإسلامي وأطماع أجنبية وغزو إفرنجي، فعمد إلى الترحال في طلب العلم، وإلى التأليف في التاريخ، وإلى بلورة أفكار متصلة بأهمية وضرورة التأريخ، وعدم الانسلاخ عن تراث وثقافة الأمة بدعوى الضغوطات والظروف، والتأكيد على أن القراءة الواعية والعميقة للتاريخ هامة للعامّة والخاصة، للمشتغلين بالتأريخ والمشتغلين في مجال العلوم العقلية أو النقلية، والمشتغلين، في الواقع الحالي، في الثقافة والإعلام ووسائل الاتصال الجماهيرية على اختلافها. والمعرفة التاريخية تقف اليوم، كما وقفت في عصر السخاوي، في مواجهة تزوير وتزييف الوعي. والتساؤل المطروح حالياً: ألا يدعو ذلك إلى استنهاض همم المؤرخين والمشتغلين في التاريخ لزيادة الاهتمام بالتأريخ والحرص على تأكيد قيمة المعرفة التاريخية وأثرها في تأصيل هذا الوعي؟!

#### • المصدر

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (831هـ/ 1427م - 902هـ/ 1497م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، حققه وعلق عليه بالإنجليزية: فرانز روزنثال، ترجم التعليقات والمقدمة وأشرف على نشر النص: الدكتور صالح أحمد العلي، مطبعة العاني، بغداد، 1382هـ/ 1963م.

## تاريخ اليمن الحديث والمعاصر<sup>(1)</sup>

لم تحظ اليمن بالعناية التي تستحقها من قبل دارسي التاريخ في الأردن، مثلما حظيت بلدان ودول أخرى مثل بلاد الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا، سواء في دراسات تاريخها القديم أو الإسلامي أو الوسيط.

ورغم حضور اليمن الحضاري والثقافي والسياسي في المشهد الأردني المعاصر، إلا أن القليل من الأردنيين الذين درسوا التاريخ الحديث والمعاصر عالجوا موضوعات تتعلق بتاريخ اليمن الحديث والمعاصر، وابتعدت اهتماماتهم ودراساتهم عن الاهتمام بدراسة تاريخ اليمن، وأضيف لهذا كله إشكالية متصلة بطبيعة دراسة التاريخ الحديث والمعاصر لتعقد المشهد.

سبق للباحث أن نشر في بيروت عام 2008 أطروحته للدكتوراه الموسومة «العلاقات اليمنية الأمريكية 1904-1948»، وهي دراسة وثائقية استندت إلى مصادر بريطانية وأمريكية وعثمانية، وبعض الوثائق الإيطالية، ووثائق عربية ومحلية يمنية. وقد لقيت الدراسة ردود فعل مختلفة، لكن أحدًا لم ينكر أن مصادرها الوثائقية كانت مميزة وأن معالجة الباحث كانت محايدة.

خلال كتابتي للأطروحة (2003-2005م) حصلت على وثائق هامة عن تاريخ اليمن المعاصر أفدت منها وأفاد منها بعض الباحثين بشكل جزئي وانتقائي، غير أنها لم تنشر كاملة، وقد شاركت منذ العام 2004 في عدد من المؤتمرات والندوات المتخصصة، وقدمت أبحاثًا ومداخلات تتعلق بموضوع تاريخ اليمن المعاصر. والخلاصة أنني اخترت

(1) محاضرة قُدمت في المكتبة الوطنية بتاريخ 21/9/2014.

أن أنشر بعض الدراسات والوثائق بعد أن ترجمتها وعلقت عليها ووضعت لبعضها خلاصات تبين أهميتها ومركزيتها في تاريخ اليمن المعاصر.

تضمن الكتاب مقدمة وست دراسات مختارة عن تاريخ اليمن. جاء في مقدمته موجز عن إشكالية الإقدام على دراسة التاريخ الحديث والمعاصر، أو الابتعاد عنها؛ التي كانت وما زالت موضع نقاش وجدل بين الكثيرين من دارسي التاريخ؛ ذلك لأن التاريخ الحديث أو المعاصر قريب إلى نفس المؤرخ أو محيطه أو بيئته، وبالتالي فهو مؤثر ومتأثر بها سلباً أو إيجاباً. وبالمقابل هناك وجهة نظر معتبرة لدى العديدين منهم مفادها أن المؤرخ لا بُدَّ وأن يدلي بدلوه في المواضيع المعاصرة، لا أن يعيش حبيس التاريخ البعيد منشغلاً به أو متوارياً من خلاله عن العصر والأحداث.

وأول هذه المواضيع دراسة حول الشخصية الرئيسة التي واكبت الأحداث وأثرت وتأثرت بها؛ فقد قَدِّمْتُ دراسة حول الإمام يحيى حميد الدين الذي حكم اليمن 44 عاماً وكان فقيهاً وإماماً، مقاتلاً وسياسياً، ثم ملكاً على المملكة المتوكلية اليمنية، من حيث: نشأته، وتعليمه، وعلمه، ومواقفه على الصعيد الداخلي اليمني، ثم مواقفه من مطامع الدول الكبرى التي كانت تحوم حول اليمن كطيور جارحة.

وبينت جهاده ضد الأتراك العثمانيين مع والده، ثم اختياره إماماً بعد وفاة والده؛ واتفاقه مع الأتراك المسمى اتفاق دعان 1911، ثم توسعه السلمي في السيطرة على أجزاء من اليمن حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وتسليم الجنود الأتراك بعد هدنة مودرس 1918م إلى الإمام يحيى وإفادته منهم. وتوسعه في توحيد أجزاء من اليمن تحت سيطرته من خلال إصراره على وحدة الأراضي اليمنية.

وقد ناقشت كذلك الأوضاع الداخلية في اليمن: الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، قبيل وأثناء تولي الإمام يحيى مقاليد الإمامة. ثم تعرضت إلى الوضع الدولي والتنافس التجاري الدولي على الموانئ اليمنية.

وتضمن الكتاب شهادات معاصرة لمسؤولين أمريكيين حصلت عليها من الوثائق الأمريكية المحفوظة في الأرشيف الوطني الأمريكي وترجمناها للعربية مع بعض الإيضاحات الضرورية، وهذه الوثائق تنشر للمرة الأولى وتتضمن وثيقة هي رسالة مطولة كتبها نائب القنصل الأمريكي في عدن جيمس لودر بارك لوزارة الخارجية الأمريكية في العام 1927م وعنوانها: «تجارة الأسلحة الأمريكية مع اليمن»، ونصها بالإنجليزية في ثمانٍ وثلاثين صفحة. كتب فيها بارك ملاحظاته وانطباعاته عن اليمن والإمام يحيى خلال هذه الفترة، ومحاولاته ومحاولات أمريكيين آخرين دخول السوق اليمني، وناقش الموقف البريطاني والإيطالي والسوفييتي من هذه المحاولات، كما ناقش من خلال الوثيقة مدى شرعية طلبات الإمام يحيى من الأسلحة الأمريكية والمواقف الدولية والمحلية من ذلك. وحلل فيها ظروف المواجهة بين بريطانيا والإمام يحيى، وصحح وجهات النظر حول الموضوع ومحادثاته مع الرسميين البريطانيين في عدن ووجهات نظرهم الحقيقية في حكام الجزيرة العربية.

وتضمن الكتاب أيضا ترجمة لمقالات معاصرة لفترة الدراسة كتبت بالإنجليزية من قبل دبلوماسيين مميزين، الأول: هارولد جاكوب المستشرق البريطاني، وضابط مخبرات الخدمة المدنية في عدن، وكان يحسن اللغة العربية ودرس القرآن الكريم والحديث الشريف، وهو سياسي بريطاني خبير في الشؤون العربية، عمل فترة تقارب ربع قرن في اليمن ومحمياتها، حاول التأثير في موقف الإمام يحيى المحايد في الحرب العالمية الأولى ولم

يفلح، وأقنع علي الإدريسي بالتعاون مع بريطانيا ثم أصبح المعتمد السياسي البريطاني في المحميات. ألف كتاب العطور العربية وملوك الجزيرة العربية.

والمقال المعنون «مملكة اليمن: مكانتها في المجتمع الدولي»، هو نص محاضرة قدمها جاكوب أمام جمعية جرويتس في العام 1932، وتضمنت معلومات هامة عن البلاد اليمنية وأوضاعها الداخلية والوجود البريطاني في عدن والتدخلات الدولية، ورؤيته لمستقبل المنطقة، وموقف كل من وزارة المستعمرات وحكومة الهند البريطانيتين من التطورات السياسية والعسكرية في المنطقة العربية بشكل عام. وناقش موضوع التنافس الاستعماري على الجزيرة العربية وجهود الإمام في توحيد اليمن والموقف من جهود اليمن.

أما الثاني فهو: هارلن كلارك الدبلوماسي الأمريكي الذي شغل منصب القنصل الأمريكي في عدن بين عامي 1942 و1945م، ثم عمل سكرتيراً ثانياً بالقنصلية الأمريكية في جدة عام 1949 خبيراً في شؤون اليمن. والمقال بعنوان: «اليمن، جنوبي جبال الجزيرة العربية، أرض العجائب». وتضمن المقال وصفاً دقيقاً لزيارته الأولى لليمن مع وفد أمريكي، ومقابلاته مع الإمام يحيى وسيف الإسلام الأمير أحمد، ولي العهد آنذاك، وخلاصة عن زيارات الأمريكيين الذين سبقوه إلى اليمن. وتضمن المقال معلومات هامة عن اليمن خلال هذه الفترة: اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وعن نظام التعليم في اليمن، والطبيعة والعمران، وعن المشاريع الأمريكية في اليمن قبل زيارته.

وتضمن الكتاب أيضاً بحثاً عن تعز في النصف الأول من القرن العشرين، حاول أن يرسم تصوراً لمدينة تعز في هذه الفترة المتقلبة والمضطربة من تاريخ اليمن والجزيرة العربية. تناول فيها البحث أوضاع هذه المدينة السياسية والإدارية في العهد العثماني المتأخر وعهد الإمام يحيى، إلى أن أصبحت مقراً للإمام أحمد بن يحيى حميد الدين وعاصمة لليمن خلال السنوات الثلاث الأخيرة من فترة الدراسة.

والبحث الأخير دراسة وثائقية عن الموقف الأمريكي من انقلاب عبد الله الوزير على الإمام يحيى حميد الدين، الذي كان قد عقد معاهدة مع الولايات المتحدة قبل نحو عام من الانقلاب عليه. رصدت الدراسة موقف الولايات المتحدة من الإمام يحيى ومن اليمن من خلال الوثائق الأمريكية المختلفة الصادرة عن السفارات الأمريكية في لندن والقاهرة، والقنصليات الأمريكية في عدن وجدة وأريتيريا واليونان وبيروت إضافة إلى ردود فعل الخارجية الأمريكية على الانقلاب وتوزيعها للمعلومات إلى المؤسسات والدوائر الأمريكية المختلفة.

## في فلسفة التاريخ<sup>(1)</sup>

يرجع أول استعمال للفظ «فلسفة التاريخ» إلى فولتير (ت: 1778م)، وإن كان ذلك لا يعني أنها ابتدأت به، وإنما يرجع الإشارة إلى ابن خلدون، على ما سيأتي، وقد قصد فولتير بهذا المصطلح دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف؛ أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات، وكان شعار فولتير «اسحقوا الأباطيل»؛ وهو بذلك يعني كل رواية غير مقبولة لدى العقل أو محتملة الشك.

واستنكر فولتير أن تصبح دراسة التاريخ أكوامًا مترامية من المعارك الحربية والمعاهدات السياسية، دون مفهوم أو حكمة بادية. ودعا إلى تنقيح التاريخ ودراسته دراسة نقدية لتحرير الفكر الإنساني من العبودية والخرافة والغباء، ومن أجل نشر الحرية والتنوير والعقل، وتتبع هذه الدراسة سير العقل البشري ممثلًا في شتى مظاهر النشاط الإنساني.

أما نقطة الانطلاق في فلسفة التاريخ عند عبد الرحمن بن خلدون (ت: 1406م)، ففي انتقاده للمؤرخين في فهم ورواية التاريخ ثم في التمييز بين الظاهر والباطن في التاريخ؛ فقد جاء في مقدمته عن التاريخ بأنه: «في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعدَّ في علومها وخليق». وتتضمن عبارات ابن خلدون وجهين: الأول أن فلسفة التاريخ تتجاوز السرد والحشد لأخبار لا رابط بينها. والثاني أن فلسفة التاريخ تهدف إلى التعليل.

ولذلك يمكن تحديد فلسفة التاريخ بالكليّة بمعنى: الوحدة العضوية، والتكامل بين الأجزاء ثم ربط الوقائع لتشكيل التاريخ العالمي الذي سيصبح مادة الفيلسوف، وهو بذلك

(1) نشرت في مجلة «أفكار» وزارة الثقافة، العدد (276)، 1/1/2012، ص 40-41.

لا يقف عند عصر محدّد، وإنما يمتد تفسيره إلى المستقبل. والمحدّد الآخر هو: العلية، بمعنى اختزال العَلَل الجزئية للحوادث الفردية بعلة واحدة، أو علتين على أكثر تقدير؛ يُفسّر في ضوءها التأريخ العالمي، وهو ما يقتضي إعادة تشكيل وقائع التأريخ ليقدم منها صورة عقلية.

ظهرت هنالك انتقادات كثيرة للعالمية والتعليل في فلسفة التأريخ، خلاصتها: تعذّر إدراج فلسفة التأريخ ضمن موضوع علم التأريخ، وصعوبة اعتراف المؤرخين بها، لكنها في المقابل، لا تعني على الإطلاق أن فلسفة التأريخ غير ذات موضوع؛ أو أن دراسة التأريخ يمكن أن تُعني عنها؛ لأن لهذه مجالات لا يتعلق بها التأريخ، بل هو قاصر عنها. وقصور التأريخ راجع إلى عيوب في طبيعة دراسته؛ والنتيجة أن فلسفة التأريخ لا تُعوّض قصور التأريخ فحسب؛ بل إنها تُعوّض قصور الفلسفة في سعيها للوصول إلى الحقيقة.

وعليه فقد ساهم الفلاسفة والمؤرخون معاً في فلسفة التأريخ؛ وربما كانت مساهمة الأولين أكبر، ويمكن ملاحظة مسارين عريضين، أولهما: يحاول استنباط قوانين أو وجهات عامة لسير المجتمعات البشرية في التأريخ، وثانيهما: يُقرّر أن التأريخ مجموعة أحداث وأوضاع مفردة لا تنظمها قوانين أو مبادئ عامة؛ رغم ما قد يكون بينها من ترابط وصلات سببية.

والأول يصدر عن تأملات فلسفية، تُشتق منها قوانين أو مبادئ يطبقها على التأريخ، أو محاولة التوصل إلى تلك القوانين والفرضيات بطرق تجريبية أو استنباطية من خلال دراسة المجتمعات البشرية. ويرى البعض في المسار الثاني: أن قصد الدراسة التاريخية هو فهم الماضي كما حدث، ويرفض الحكم على التأريخ.

### • بين التحليل الفلسفي والبحث عن دلالة

هناك فرعان مختلفان للبحث يُشار إليهما عادة بـ«فلسفة التأريخ»؛ الأول: هو التحليل لعلم التأريخ؛ أي تشخيص منطق ومفاهيم وأساليب عمل المؤرخين. والثاني: محاولة

اكتشاف معنى ودلالة في طبيعة المسيرة التاريخية، تتجاوز الفهم الذي يوصل إليه العمل التاريخي الاعتيادي، ويشار للأول بـ«الفلسفة النظرية، أو التأملية» التي تحاول استخلاص نوع من المعنى أو المغزى للتاريخ يتجاوز مجرد رصد الأحداث. ويُشار إلى الثاني على أنه عملية نقدية للرصد التاريخي (Historiography) وهي عملية شمولية (Synoptic) أو مادية، وفي محاولة التمييز بين الفلسفتين فإنهما تبدوان مثل التفرقة بين فلسفة العلم وفلسفة الطبيعة.

لم تبدأ دراسة التاريخ دراسة نقدية بهذا المعنى السابق، سوى بالمؤرخين النقديين أمثال (بارتولد جورج نيبور)، و(ليوبولد فون رانكه)، والفلاسفة الوضعيين الذين حاولوا وضع أسس نظرية لفيزياء اجتماعية (Social physics) جديدة مثلما فعل أوغست كونت (1798-1857م) الذي تبنى مشروعًا عامًا للتنسيق بين مختلف العلوم، وأصدر موسوعته «الدروس في الفلسفة الوضعية»، وأشار فيها إلى أن العلم مطالب بالتحري عن العلاقات بين الظواهرات، وأن علم الاجتماع هو دراسة البنية الاجتماعية التي لا تتحول ولا تتبدل. وانتهت فلسفته إلى الفلاسفة الوضعيين الذين قالوا إن الفكر البشري لا يستطيع أن يكشف عن طبائع الأشياء، ولا عن أسبابها القصوى وغاياتها النهائية، وإن كان يستطيع أن يدرك ظواهرها. وأعلن الوضعيون نهاية كل فلسفة التاريخ واستعاضوا عنها بعلم الاجتماع (السوسيولوجيا)، وتوالت الاجتهادات خلال القرن التاسع عشر، ووجّه (فلهلم دلتاي) نقدًا للعقل التاريخي، بينما حاول (بنديتو كروتشه) أن يؤسس لنظرية المعاصرة التاريخية، وأن التاريخ هو تاريخ الفكر.

وذهب آخرون إلى أن التاريخ، في تطوره، تحكمه قوانين، شأنه في ذلك شأن العلوم الطبيعية، وعُرف منهم أصحاب نظرية القانون المفسر (Covering Law Theory) القائلة بأن ما يحدث في التاريخ إنما هو متوقع بفعل الظروف التي دفعت إليه، ومن ثم فإنه يمكن التنبؤ بأحداث المستقبل على ضوء قوانين تُصدّقها التجربة.

ويؤكد الفلاسفة عدم إمكان قيام موضوعية تاريخية (Historical Objectivity) سواء كانت كليةً أو أفرادية؛ وذلك لأن المؤرخ، وهو يُقدّم تفسيراته، إنما يصدرُ في حقيقة الأمر عن ذاتية، وهو يختار تفاصيل معينة دون سواها، ويُصدر ذلك بلغته التي هي انعكاس لشخصيته، ولذلك سُمِّي هؤلاء الفلاسفة «النسبيين» (Relativists) لأنهم ينكرون الموضوعية ويقولون بنسبية الأحكام التاريخية.

ظهرت فلسفة تأملية علمانية للتأريخ في بداية عصر الأنوار، وصاغ (فولتير) المصطلح، وكان يوهان جوتفرد هيردر (ت: 1803م) أبرز الفلاسفة الذين حاولوا أن يحوّلوا التفسير الديني للتأريخ إلى قوة تاريخية محايدة. وكان أحد مؤسسي حركة (العاصفة والتوتر/ الاندفاع) (Storm and Stress)، وكان لحدسه وفهمه لمعنى التاريخ تأثير كبير على فكره، وانتهى إلى تصورات تجديدية فسر فيها التاريخ تفسيراً عقلانياً باعتباره تطوراً طبيعياً للإنسان نحو «ولادة بشرية خالصة» كما وصفها.

بينما نزع فلاسفة القرن العشرين نزعة علمية تستخدم البراهين، وتكثر من ضرب الأمثلة، لتدلل على صدق تفسيراتها، مثلما كان لدى (شبنجلر) و(أرنولد تويني) اللذين حاولا إيجاد تفسيرات لنشوء وانحطاط الحضارات.

ولا يسعى الفلاسفة المتأملون إلى البحث فقط عن نمط للتأريخ، لكنهم يبحثون عن القوانين التي بمقتضاها يسود هذا النمط دون غيره. وتتميز الفلسفة التأملية بأنها محاولات للبحث عن غاية أو قيمة للتأريخ، وأحياناً يتجاوز الفلاسفة التأمليون حدود البحث التاريخي أو العلمي إلى مجالات الماورائيات (الميتافيزيقيا) والأخلاق والدين.

وخلاصة القول أن فلسفة التأريخ، رغم تشعب البحث فيها، وفي مدارسها وفلاسفتها ومؤرخيها؛ فإنها لا تزال محرّكاً رئيسياً لوسائل وأساليب وأفكار ومنطلقات المشتغلين بالتأريخ والفلسفة بخاصة والعلوم الإنسانية بعامة، ولبيان أثرها على الحياة المعاصرة، فإن مقالة أخرى في فلسفة التأريخ في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحالي تبدو ضرورية، وللحديث صلة.

## جهود الباحثين واهتمامهم بمعاهد العلم في بيت المقدس .. «كامل العسلي أنموذجاً»<sup>(1)</sup>

### • مقدمة

إن المتتبع لما كتب المرحوم كمال جميل العسلي عن معاهد العلم في بيت المقدس يلحظ بصورة واضحة أن الكتابة عن هذا الموضوع بالنسبة إليه ليست فقط، هاجساً دائماً يتابع ما يستجد على كل الصعد، ويقرأ الدراسات، ويتابع المجريات؛ ثم يكتب ما يتحقق منه، أو ما يعرفه عن هذا الموضوع، وإنما يُشكّل الاعتناء بالكتابة عن معاهد العلم في بيت المقدس فلسفة خاصة للعسلي، لها بُعد حضاري؛ فبيت المقدس بالنسبة له، مركز تحدي حضاري، وهذه الفلسفة يصعب على القارئ لكتاباته أن يجمع خيوطها، فضلاً عن أن يُقدّمها ملخصة في هذه الدراسة؛ ولكننا سنحاول ذلك في مقاربة أولية.

ولعلّ التركيز على معاهد العلم بالنسبة إلى العسلي، في بيت المقدس، لم يكن وليس مرتبطاً بالهروب من الإحباط واليأس الذي يكتنف فرص تحرير بيت المقدس، أو الحلول السياسية لهذه القضية المستعصية على الحل، ولكنه كان يعتقد بصورة لا تقبل الشك أو النقاش أن «الإنقاذ السياسي يحتاج إلى وقت، والانتظار حتى التحرير؛ ربما يؤدي إلى زوال المعالم الثقافية الإسلامية من المدينة، وهذه كارثة حضارية؛ ولذلك فإنه لا مجال أبداً للانتظار، ولا بد أن تتضافر جهود رجال المال والثقافة والحكم لعمل أي شيء ممكن الآن».

(1) ورقة علمية عرضت في الندوة الاستذكارية التي نظمتها الجامعة الأردنية في رحابها تحت عنوان (كامل العسلي الأكاديمي والإداري والإنسان) في 18 آذار 2008.

كما أن العسلي في متابعته لمعاهد العلم في بيت المقدس لم يستثن أي مكان فيها كان يؤدي دورًا تعليميًا مهما كان هذا الدور، كالمدراس، وحلقات المسجد الأقصى وقبة الصخرة، الزوايا والأربطة، الخانقاوات والكتاتيب، كتاتيب التَّرب، ومع ذلك كله المكتبات العامة والخاصة التي رفدت دور العلم هذه، وكانت جميعها محط عنايته ومتابعته مهما اختلفت مذاهب منشئي هذه المعاهد أو مُدرِّسيها أو واقفيها أو القائمين عليها؛ فظنرته لمعاهد العلم شمولية محايدة معنية بمتابعة التطورات التي حدثت وتحدث لهذه المعاهد.

والعسلي في كتاباته عن معاهد العلم متابعة للتطورات التي حدثت على المباني والأماكن التي كانت تضمها المعاهد، وهو مسكون هنا بشغف مقدسي وروح مخلص للمكان وأثر التقلبات السياسية على هذا المكان؛ فالكتابة عن بيت المقدس، بالنسبة إليه، ليست فقط للتعريف به في أيام محنته، لكن ذلك نابع من محبته للوطن كاملاً، وعبر عن ذلك بقوله: «ولا يمكن أن تكون محبة الوطن كاملة إلا إذا عرفناه ودرسناه من مختلف النواحي». مؤكداً على نفاسة التراث في هذه المدينة، وضرورة المبادرة لإنقاذه ورعايته. ولهذه الغاية هو يستخدم جميع حواسه لرصد كل ما يتعلق بموضوعه، ولذلك هو يكثر من الإتكاء على كلمات مثل: «أطلعني، أخبرني، علمتُ، أشار، كتب، قال لي، رأيتُ، ذكر لي، لم أتُحقق»، ومع ذلك كله فالعسلي لا يكرر ما يكتبه، وإنما يُقدم كل ما هو جديد، أو ما اكتشفه أو عرفه، أو ما يعتقد أنه غير معروف نسبياً.

ولبيان بعض ما توصلنا إليه فإننا سنتناوله من خلال دراستيه:

الأولى: «معاهد العلم في بيت المقدس» وهو بحث قُدِّم للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام - فلسطين، 19-24 نيسان 1980م، الجامعة الأردنية. وسيشار إليه لاحقاً بـ«معاهد».

الثانية بعنوان: «معلومات جديدة عن مدارس القدس الإسلامية مُستخلصةً من سجلات المحكمة الشرعية في القدس» بحث مقدم إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، جامعة حلب، 19-24 أيلول 1981م، وسيشار إليه لاحقاً بـ«مدارس».

وهو يؤكد أن الموضوع، كان وما زال، في حاجة إلى «درس مستفيض، وما كتب إن هو إلا مقدمة لهذا الدرس، فهناك ثغرات لم تملأ، وهناك نقاط ما زالت في حاجة إلى المزيد من التحقيق، وإذا صلحت هذه الدراسة لأن تكون منطلقاً لمزيد من البحث فهذا ما أبتغيه» والكلام للعسلي. (مدارس، ص 2). ولذلك فهو يحاول «إثارة الاهتمام ولفت الأنظار إلى التراث العربي الإسلامي البالغ العراقة؛ والمهدد أكثر من أي وقت مضى في بيت المقدس» (مدارس، ص 2).

### ● ما الذي يريد العسلي أن يقوله لنا عن معاهد العلم؟

إن العسلي يؤكد باستمرار على استمرارية وديمومة بعض المعاهد العلمية على مدى قرون، وأن المسجد الأقصى عاش حياة علمية حافلة، وكان مركزاً من مراكز تدريس العلوم الدينية في العالم الإسلامي، وأن استمرارية بعض المعاهد بلغت ثمانية قرون، وبعضها أكثر من ذلك أو أقل. وأن معاهد العلم استمرت في مواجهة التحدي الحضاري، باعتبار أن المدارس ومعاهد العلم كانت قد: «غابت عوادي الزمن أكثر من سواها» (مدارس، ص 43).

وأن الأساتذة في المدرسة الصلاحية مثلاً عمدوا «إلى تغذية الطلاب بروح اليقظة العربية، ولذلك فإن كثيراً من الشباب، الذين درسوا في الصلاحية، أصبحوا من دعاة الحركة العربية فيما بعد؛ بعكس ما أراد لهم الأتراك (يقصد حزب الاتحاد والترقي) أن يكونوا» (مدارس، ص 43).

ومعاهد العلم كان فيها نماذج معمارية متميِّزة، منها التخطيط المتعامد (Cruciform) وفي مدينة القدس، كما أنها مثلت أنماط بناء ونقوش وثقافة وعلم مختلفة باختلاف العصور؛ ولذلك فقد وصف العسلي أماكن بناء المدارس ومبانيها، وطرز بنائها، ومواد البناء، وخطة المباني من الداخل والخارج، وعُني بإبراز النقوش الموجودة فيها أو حولها وتصويرها تصويرًا شمسيًا أو رسمها أو نقلها، وعمد إلى تصحيح بعض العبارات في النقوش أو المخطوطات والمصادر.

ولاحظ العسلي أن المدرسة مؤسسة سُنِّية نشأت لتدعيم المذهب السني والدولة السنية في خضم نزاعاتها مع الشيعة ودولها، سواء البويهيون في الشرق أو الفاطميون في الغرب، وأن الحكام السُّنَّيين كانوا يراقبون التعليم في المدارس. كما لاحظ أن الأوقاف على مدينة القدس ومعاهد العلم فيها كانت منتشرة، لا في فلسطين وحدها؛ بل في أنحاء أخرى من بلاد الشام، وخاصة سورية وصفد وغزة ثم في مصر وبلاد الروم أيضًا.

وأن المدارس حافظت على اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، وإن لم تكن أضافت إليها إضافات أصلية أو هامة خاصة في فترة تاريخية تعرَّض فيها بيت المقدس لهجمات الفرنجة (الصليبيين)، والمغول والكوارث الطبيعية. وأن هذه المدارس كانت مفتوحة الأبواب لجميع الناس مجانًا، ودون تمييز بين الطبقات، وأنه بعد زوال المدارس من بيت المقدس في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي «ساد الجهل التام ووقعت العقول فريسة لكل أنواع الخرافات والأوهام والأباطيل المستحيلة».

كما لاحظ أنه كان للطلبة حرية في اختيار المواد التي يدرسونها، والمُدَّرس الذي يتولَّى تدريسهم، وأن التعليم كان دينيًّا ولغويًّا، وتضمن بعد الفتح الصلاحي بخاصة مواضيع عن فضائل بيت المقدس، كما تضمن مواضيع في الرياضيات والمنطق. وأن استرداد القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي أسهم في ازدهار الحركة العلمية، وأيقظ شعورًا دينيًّا عميقًا بأهمية القدس والمسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين؛ فوضعت كتب في فضائل بيت

المقدس، ومنذ الفتح الصلاحي أصبح للمدرسين وجميع العاملين في المسجد رواتب محددة تصرف إليهم، إضافة إلى الهبات.

وأن التدريس لم ينقطع في المسجد الأقصى عبر القرون، سوى في فترة الاحتلال الإفرنجي (492هـ/ 1098م - 583هـ/ 1187م). بينما نشأت في بيت المقدس (62) مدرسة بعد الفتح واستمرت حتى أواسط القرن العاشر للهجرة، أي نحو ثلاثة قرون ونصف. وأن 80% من هذه المدارس أنشئت في عصر المماليك، وأن المدارس تنشأ بوقفيات شخصية أو سلطانية، أو وقفيات أمراء وأميرات وحكام، أو من خلال هبات. كما أنشأ هذه الوقفيات نساء ثريات وتجار، ووجهاء ورجال دين.

وكان من الوظائف الموجودة في المدرسة «معمار» بمعنى مهندس خاص بها، يتولى إنشاء وترميم وصيانة مباني المدرسة أو الإضافة عليها. وكانت المدارس على سوية عالية إذا كان ينزل فيها بعض ضيوف القدس البارزين.

وأشار العسلي لما أسماه «الطابع الدولي للمدرسين والدارسين في المسجد الأقصى» فكان منهم من بلاد الأفغان وفارس والعراق وسورية ومصر وهرارة والمغرب الأقصى والأندلس، ووصف ذلك بأنه مثال على «التبادل الثقافي الواسع النطاق في بلدان العالم الإسلامي، الذي هو سمة من سمات الدراسة والعلم في الإسلام بوجه عام» (معاهد، ص 39). كما أن المدارس كانت تشترك في الأسماء مع مدارس دمشق والقاهرة.

وذكر العسلي أن بريطانيا، كدولة محتلة لفلسطين، وقفت ضد مشروع جامعة الأقصى، وعرقلت إنشاءها، وكان من المؤمل أن «ينبعث منها تيار تعليم عصري وثيق الصلة بكل ما هو إيجابي في تراث السلف» (معاهد، ص 25).

## • النداءات التي حاول العسلي أن يبثها

أشار العسلي من خلال دراستيه إلى جملة من التحديات التي واجهت وتواجه معاهد العلم في بيت المقدس، وملحقاتها من مكتبات عامة وخاصة، وقد أدرجناها في التحديات التالية:

أولاً: الاعتداءات الإسرائيلية (وهي بالطبع كانت ولا تزال مستمرة)

وقد أوردها العسلي على شكل هدم أو استملاك مدارس أو العبث بها بشكل أو بآخر، أو أنها تعرضت للاننيار جراء الحفريات التي أجرتها أو تجريفها إسرائيل حول الحرم، منذ الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام 1967م ومن ذلك ما يلي:

- المدرسة الفخرية (الخانقاه الفخرية): وفيها مسجد وأماكن لإقامة الأذكار، وأماكن أخرى خاصة بتهجد الصوفية معاهد، ص 169. وأضاف: «ولم يعد لأكثر هذه الأبنية من أثر اليوم؛ فقد هدمت سلطات الاحتلال الجزء الأكبر من الخانقاه المذكورة وهي من معالم المدينة التاريخية وتُشكل جزءاً من المسجد الأقصى حتى 15/6/1969م، ولم يبق من الخانقاه سوى ثلاث غرف ومسجد فيه الآن قسم الآثار التابع لإدارة الأوقاف الإسلامية في القدس» (معاهد، ص 63).

- المدرسة الأفضلية (حول 590هـ / 1193م)، «أما اليوم فلم يعد لها وجود بعد أن أزلتها الجرافات الإسرائيلية سنة 1967م» (معاهد، ص 65).

- المدرسة التنكزية (729هـ / 1328م) عام 1969م احتلتها القوات الإسرائيلية ورابطت فيها «بحجة أن نوافذها تطل على البراق وحارة اليهود، وقد قامت السلطات الإسرائيلية بأعمال حفر وتفريغ وتنقيب تحت الطابق الأرضي للمدرسة، وكثير من المباني المجاورة مما جعلها مهددة بالاننيار، وقد

استعملت المنطقة الواقعة تحت التنكزية والعمارات المجاورة كنيساً لليهود» (معاهد، ص 70).

- دار القرآن الإسلامية (761هـ / 1359م)، وهذه الدار من أوقاف الخالدي. وقد وضعت السلطات الإسرائيلية يدها عليها في 18 / 4 / 1968م، ويحتلها الآن الجيش الإسرائيلي» (معاهد، ص 71).

- المدرسة الجالقية (707هـ / 1307م)، «والمدرسة تعرف في القدس الآن باسم دار الباشكاتب كما تدعى دار الخالدي. وقد باع آل الخالدي الجزء الخلفي منها (الواقع على طريق حمام العين) إلى عائلة غيث. وهذا الجزء تحتله القوات الإسرائيلية في الوقت الحاضر» (معاهد، ص 80).

- المدرسة العثمانية (840هـ / 1436م)، وهي «اليوم دار سكن ويسكنها جماعة من آل الفتاني، وقد أدت الحفريات الإسرائيلية تحت المدرسة إلى تصدّعات في مبنى المدرسة والمسجد الذي يشكل جزءاً منها، واستولت سلطات الاحتلال على المسجد، وبعد أن تم حفر فجوة في أرض المسجد، وصعد إليه الجنود الإسرائيليون من الخندق الذي حفر تحت المدرسة» (معاهد، ص 96).

- المدرسة الأرغونية (759هـ / 1357م)، يعرف مبنى المدرسة، في الوقت الحاضر، باسم «دار العفيفي»، وهم يسكنون في جزء منه، أما إيوان المدرسة الشرقي فيضم ضريح المغفور له الحسين بن علي، ويمكن رؤية الضريح من نافذة تطل عليه من رواق الحرم... ومما هو جدير بالذكر أن بناء المدرسة قد أُصيب بتصدّعات من جراء الحفريات الإسرائيلية تحت السور الغربي للحرم. كما تأثرت بذلك كثير من المباني المجاورة، ومنها رباط الكرد المقابل للمدرسة الأرغونية. وفي هذا الصدد كتب الأستاذ رفيق وفا الدجاني يقول: شاهدت أقواس الأبواب مُتصدّعة تدعمها الركائز الخشبية القوية... كما

- علمت بأن السلطات الإسرائيلية طلبت من المجاورين وبعض السكان بوجوب إخلاء منازلهم لئلا يتعرضوا للخطر» (معاهد، ص 100).
- المدرسة الجوهرية (844هـ / 1440م)، «أن الحفريات الإسرائيلية أدت إلى صدع في المدرسة الجوهرية عام 1974م، كما حصل في المدرسة الأرغونية وغيرها من المباني المجاورة» (معاهد، ص 104).
- رباط الكرد (693هـ / 1293م)، وقد انهار جزئياً في شهر كانون الأول سنة 1971م جراء الحفريات التي قامت بها وزارة الأديان الإسرائيلية تحت سور الحرم الغربي شمالي حائط البراق. وأرادت الوزارة أن تستغل الفرصة لهدم البناء كله لإنشاء ميدان ثان مثل ذلك الذي أنشأته عند حائط البراق، وفي منطقة إسلامية بحثة، لولا ما أثاره انهيار هذا الأثر الإسلامي من ضجة في الأوساط العلمية والأثرية العالمية، وهو الأمر الذي أدى إلى وقف أعمال الهدم والحفر تحت المبنى، وإلى وضع دعائم لمنع انهياره التام، إلى أن يتخذ قرار بهذا الشأن» (معاهد، ص 162).
- زاوية المغاربة: في حارة المغاربة، وقفت عام (703هـ / 1303م)، «وقد استمكنت سلطات الاحتلال الإسرائيلي هذه الزاوية وهدمتها» (معاهد، ص 173).
- زاوية أبي مدين الغوث: أنشئت في حي المغاربة عام (720هـ / 1320م)، «ولما أنشئت الزاوية صارت عقارات الحي الموقوفة كلها تعرف بأوقاف أبي مدين. وقد هدمت سلطات الاحتلال (135) بيتاً من بيوت حي المغاربة الموقوفة في حزيران سنة 1967م... وقد رأيتُ في باحة الزاوية أحجاراً يقذفها عليها الإسرائيليون الذين بنوا مباني كثيرة خلفها مطلة عليها؛ بهدف إخراج سكانها منها» (معاهد، ص 173).

## المكتبات

- خزائن المسجد الأقصى، خزائن المدارس منها مكتبة الخانقاه الفخرية: «عندما احتلت إسرائيل الجزء الشرقي من القدس فأخذ المحتلون قسمًا من هذه الكتب» (معاهد، ص 180). وبعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس سنة 1967م تسرّب الكثير من الكتب إلى مكتبة الجامعة العبرية وغيرها من مكتبات مراكز الأبحاث الإسرائيلية» (معاهد، ص 183).
  - المكتبة الخالدية: ولها وقف «نقصت مجموعة المكتبة في الثلاثين سنة الماضية حوالي 50٪ وهو رقم مخيف؛ ولا بُدَّ من اتخاذ الإجراءات العاجلة لحماية ما تبقى من موجودات هذه المكتبة» (معاهد، ص 188). ويضيف: «ولا بد من الإشارة في ختام حديثنا عن المكتبة الخالدية إلى أن السلطات الإسرائيلية تطمع في الاستيلاء على المكتبة... وحاولت مصادر الدار... (وبعد تدخل قيّم المكتبة) ألغى أمر المصادرة، ولكن لا أحد يدري ما يأتي به المستقبل إذا دامت الأوضاع في القدس على ما هي عليه» (معاهد، ص 190).
  - مكتبة آل جار الله: «كانت المكتبة محفوظة في خزائن وسرقت سنة 1948م».
- ثانيًا: ما أحدثه الاحتلال العسكري ومن ثم الانتداب البريطاني حيث ورد:
- المدرسة الكيلانية: «وفي عام 1938م شب حريق متعمّد في المبنى المذكور، ألحق به أضرارًا كثيرة، وقد سُدَّت نوافذه الأمامية بالحجارة منذ ذلك الحين، وقد أخبرني شاهد عيان أن الجنود البريطانيين قاموا بإشعال الحريق كعمل انتقامي، في أثناء ثورة سنة 1936م في فلسطين، بسبب إلقاء قبلة من أحد أسطح المنازل المجاورة للتربة» (معاهد، ص 76).

- المدرسة الميمونية (593هـ / 1196م) «ثم أصبحت المدرسة بعد الاحتلال الإنكليزي مدرسة للبنات باسم المدرسة المامونية أيضًا، وبقيت كذلك إلى أواخر زمن الانتداب البريطاني» (معاهد، ص 147).
- مكتبة عبد الله مخلص: «نقلت المكتبة إلى دير القربان قبل انتهاء الانتداب البريطاني سنة 1948م، ثم نسف الدير فضاعت الكتب تحت الأنقاض» (معاهد، ص 193).
- المدرسة الجاولية: «وفي أثناء ثورة 1936م اتخذها الإنجليز دار شرطة» (معاهد، ص 118).

#### ثالثًا: إجراءات ناتجة عن تداعيات القضية الفلسطينية

- زاوية الهنود: «تقع عند باب الساهرة داخل السور... في الزاوية مسجد ولها وقف، وكان آخر شيوخها في أواسط القرن الحالي الشيخ ناظر حسن الأنصاري. وبعد كارثة فلسطين سنة 1948م، بقليل تحوّلت مباني الزاوية إلى مكاتب لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة» (معاهد، ص 177).

إن بعض هذه المعاهد تحولت إلى خراب ومنها:

- المدرسة الغادرية: «فهى اليوم شبه أنقاض» (السجلات، ص 9).
- المدرسة المعظمية والأشرفية: «وَحَلَّت محلَّها مبانٍ جديدة... وقد آلت إلى الخراب» (معاهد، ص 31).
- المدرسة الأشرفية (887هـ / 1482م): «لم يبق من الأشرفية إلا بقايا قليلة في هذه الأيام تُذكر بماضيها المجيد. فقد هدمت أجزاء كثيرة منها بسبب طول العهد والزلازل والإهمال.. أما الطابق العلوي فكثير منه لا يزال خربًا، وقد تهدم سقف المدرسة ومعظم أواوينها» (معاهد، ص 90-91).

- المدرسة المزهرية (885هـ / 1480م): «وهي الآن دار مسكن، وقسم منها خراب». (معاهد، ص 102).
- المدرسة اللؤلؤية (781هـ / 1379م): «وفيها أنقاض وغرف من مختلف الأشكال وهي آيلة للخراب» (معاهد، ص 107).
- المدرسة المنجكية (762هـ / 1360م): منذ أواخر القرن التاسع الهجري رجح أنها «توقفت بعد ذلك التاريخ، وهُجِرَ مبناها وأصبح خراباً...، أما اليوم ففيها مقر دائرة الأوقاف العامة في القدس، ومقر لرئيس الهيئة العلمية الإسلامية، ومفتي القدس» (معاهد، ص 110).
- المدرسة الطولونية (قبل سنة 800هـ / 1397م): «من المدارس الدارسة ولا اثر لها في الوقت الحاضر». (معاهد، ص 137).
- المدرسة الفنارية حوالي (800هـ / 1397م): «ويتضح من تراجم المُدرِّسين أن المدرسة ظلت قائمة ثلاثة قرون على الأقل، ولكنها مع الزمن دَرَسَتْ وهُدِمَ بناؤها» (معاهد، ص 139).
- المدرسة المعظمية الحنفية (614هـ / 1217م): «هذه المدرسة كانت من المدارس الشهيرة ذات الأثر الكبير في حياة بيت المقدس الثقافية، وخاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين... وتسمى اليوم مسجد المجاهدين... لا تزال جزءاً من مبنى المدرسة، وأهمها إيوان المدرسة الشمالي، قائمة حتى اليوم، وإن كان معظمها خراباً» (معاهد، ص 140).
- الخانقاه المولوية (995هـ / 1586م): «كان للخانقاه أملاك وأوقاف كثيرة في ما مضى... وقد بيعت الأملاك واندرثت الأوقاف وتوفي مؤخرًا آخر شيخ من شيوخها» (معاهد، ص 170).

- زاوية الدركاة (مدرسة الشافعية): «كانت تقع في مدرسة درست معالمها القديمة تمامًا اليوم؛ وهي تعرف الآن بحي الدباغة» (معاهد، ص 171).
- الزاوية المحمدية (وقفت سنة 751هـ / 1350م): «وهي الآن خراب» (معاهد، ص 174).
- الزاوية القلندرية: «اختفت الزاوية تمامًا ولا أثر لها في الوقت الحاضر» (معاهد، ص 176).
- دور الكتب في بيت المقدس: اقتصر في حديثه على المكتبات الإسلامية؛ رغم أنه أشار إلى أهمية مكتبات الأديرة والكنائس وغيرها التي تخص الطوائف المسيحية (ص 179).  
أهمها:
- خزائن المسجد الأقصى: منها مكتبة المدرسة (الخانقاه) الفخرية، كانت هذه المكتبة غنيّة بمخطوطاتها الدينية والفلكية. كان عدد مجلداتها يقدر بنحو عشرة آلاف مجلد، غير أن أفراد أسرة أبي السعود، أصحاب الخانقاه، اقتسموا هذه المصنفات بينهم فبعثرت. وأخذ المحتلون الإسرائيليون قسمًا من هذه الكتب...» (ص 180).
- «إن ما بقي من الكتب والمخطوطات التي كانت في خزائن المسجد الأقصى وما حوله من مدارس، هو نزر يسير مما كان فيها أيام ازدهار المدارس والتدريس. وقصة هذه الكتب والمخطوطات قصة محزنة ومثيرة للأسى العميق فقد ضاع قسم كبير منها، وتلف قسم آخر، وسرق أيضًا قسم كبير، أو بيع بأبخس الأثمان. وقد تضافرت أسباب عديدة على صنع المأساة؛ فمدينة القدس، كانت على مدى تاريخها، من أكثر المدن معاناة وتعرضًا للنكبات من زلازل وحروب ومجاعات وما كان يرافق ذلك من نزوح وهجرة وتدمير وإهلاك للأرواح والممتلكات. وفي خضم ذلك ضاع من تراثنا فيها الشيء الكثير» (ص 182). «ومع النكبات تحالف الجهل في القرون المظلمة، التي كان للأمية فيها كل

السلطان على النفوس»، «وبعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس سنة 1967م تسرّب كثير من الكتب إلى مكتبة الجامعة العبرية، وغيرها من مراكز الأبحاث في إسرائيل» (ص 183).

- «دار كتب المسجد الأقصى تضم أربعة عشر ألف مجلد... كثير منها محفوظة في صناديق، وغير مفهرسة والواضح أن إمكانات المكتبة الحالية ضعيفة. ولذلك فإن كتبها تبقى معرضة للخطر، إلا إذا بذلت جهود جدية لصيانتها. وبالإضافة إلى الكتب والمخطوطات العبرية تضم مكتبة المسجد الأقصى عددًا كبيرًا من الكتب التركية. وكذلك عددًا من الجرائد والمجلات» (ص 183). «وفي المتحف الإسلامي الذي أسسه المجلس الإسلامي الأعلى عام 1923 مخطوطات نادرة بينها مجموعة لا تُثَمَّن من المصاحف يقدر عددها بحوالي (600) مصحف مخطوط، كُتِب معظمها بين القرن الثالث والقرن الثاني عشر للهجرة... ولا بد من توفير الإمكانيات المادية والبشرية والفنية للمكتبة والمتحف جميعًا حتى تتمكن هاتان المؤسساتان من القيام بواجبهما الجليل في حفظ التراث» (ص 184).

## مكتبات الأسر المقدسية

- المكتبة الخالدية: لها وقف «بيد أن غلّة الوقف هذه الأيام زهيدة جداً، ولا تكفي للإنفاق على المكتبة» (ص 185). «نقصت مجموعة المكتبة في الثلاثين سنة الماضية حوالي 50٪، وهو رقم مخيف ولا بد من اتخاذ الإجراءات العاجلة لحماية ما تبقى من موجودات هذه المكتبة» (ص 188)، و«أن السلطات الإسرائيلية تطمع في الاستيلاء على المكتبة» (ص 190).
- مكتبة الخليلي (ت: 1147هـ / 1734م): وقف منذ (1139هـ / 1726م). «ورغم كل الشروط التي وضعها الشيخ الخليلي للمحافظة على كتبه فإن الزمان قد ذهب بأكثرها» (ص 192).
- مكتبة البديري: «المخطوطات الباقية من المكتبة في حالة يرثى لها من الإهمال يعلوها الغبار والأتربة. وهي في حاجة ماسة إلى إنقاذها قبل أن تتلف كلياً، وحبذا لو نقلت إلى مكتبة المسجد الأقصى» (ص 192).
- مكتبة آل قطينة: «وقد بعثت كتبها». (ص 192-193).
- مكتبة الشيخ خليل الخالدي (ت: 1360هـ / 1941م): نقلت إلى المسجد الأقصى، بيد أن كثيراً من كتبها القيمة قد ضاع، ونهب قسمًا منها الإسرائيليون عندما احتلوا القدس عام 1967م. ولا تزال معظم مخطوطاتها الباقية محفوظة في صناديق تنتظر الصيانة والفهرسة والبحث.
- مكتبة عبد الله مخلص: «نقلت لدير القربان ثم نسف الدير فضاعت الكتب تحت الأنقاض» (ص 193).
- مكتبة آل جار الله: «كانت المكتبة محفوظة في خزانيتين وسرقت سنة 1984».

## • خلاصة

كان العسلي مسكوناً بهاجس التحدي الحضاري القائم على العلم، ولذلك فإنه كان يأمل أن يتم الحفاظ على معاهد العلم في بيت المقدس من الاعتداءات الإسرائيلية، وأن توقف التغييرات التي أحدثتها وتحديثها سلطات الاحتلال على ملكية الأراضي في بيت المقدس؛ حفاظاً على التراث العربي الإسلامي الخالد، وأن تُرمَّم المدارس الأثرية وينبعث منها تيار تعليم عصري، كما أنه لاحظ أن معاهد العلم في بيت المقدس تتآكل في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ولعلّه كان يأمل أن يخصص لمعاهد العلم أوقاف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وأن تُقدِّم تسهيلات لترميم وصيانة والحفاظ على هذه المدارس واستمراريتها، والمحافظة على المكتبات العامة والخاصة، وما تضم من مخطوطات وكتب.

والعسلي مهتم بأن تُدرّس سجلات القدس، وسجلات المحكمة الشرعية فيها، والتي يمكن الاستفادة منها بحسب العسلي، فيما يلي: (السجلات، ص 6)

- وصف لبعض مباني المدارس والخواتق والزوايا، وتاريخ تعمير وترميم عدد كبير من هذه المباني على مدى القرون.
- العقارات التي كانت موقوفة على المدارس وأنواعها وصفاتها، وربط ذلك بإجراءات الاحتلال الإسرائيلي.
- أسماء عدد كبير من المُدرّسين الذين تولوا التدريس في المدارس، ممن لم يرد لهم ذكر في المصادر الأخرى، ثم معلومات مختلفة عن المُدرّسين والطلبة والموظفين العاملين في المدارس، ومعلومات أخرى متنوعة.
- أسماء مدارس وربط وزوايا لم تكن معروفة من قبل، وأسماء مدارس كانت معروفة بغير أسمائها الصحيحة.

وهو يأمل أن تفيد هذه المعلومات، حول المدارس والمباني وجداول التعميرات التي أرفقها، في إفادة علماء الآثار والمهندسين الذين من المؤمل أن يعملوا في ترميم أبنية المدارس في بيت المقدس في وقت قريب» (السجلات، ص 9). أو في دراسة تاريخ القدس وفلسطين في جميع المجالات التي يتناولها علماء التاريخ والآثار.

وذلك كله في محاولة من العسلي لإبقاء الشاهد الحضاري المادي والعلمي حيًا وقائمًا في مواجهة ما تتعرض له فلسطين ودُرَّتْها بيت المقدس. والحاجة، كانت ولا تزال، قائمة لمتابعة التغييرات التي تحاول سلطات الاحتلال الإسرائيلي إجراؤها على الأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية وأوقافها في القدس، والتصدي بصورة علمية وحضارية لوقف هذه الإجراءات التي كانت ولا تزال مستمرة؛ بهدف تهويد المدينة وتغيير طابعها العربي والإسلامي، وقد طالت الإجراءات الإسرائيلية أيضًا الممتلكات المسيحية وخاصة الكنيسة الأرثوذكسية. وإننا في الوقت الذي نستذكر فيه جهود العسلي في هذا المجال نرجو أن يرتفع المثقفون والأكاديميون لمستوى التحديات الحضارية التي تحيق بنا في بيت المقدس وفلسطين وسواهما.

## مناهج التربية الوطنية والمدنية..

### (من الصف الخامس إلى العاشر)<sup>(1)</sup>

في ضوء تدريس الباحث لمادة التربية الوطنية في جامعة البلقاء التطبيقية مدة تزيد على ثماني سنوات، فقد لوحظ أن المعلومات والأفكار والمهارات التي يتلقاها الطلبة الأردنيون في المدارس العامة والخاصة في الأردن معلومات وأفكار ضبابية مرتبكة، وأحياناً كثيرة لا تنتج فهمًا لأي مفردة من المنهاج.

وبصرف النظر عن ملاحظات الباحث الخاصة، وما يذكره الطلبة الجامعيون أحياناً عن المنهاج الذي درسوه في المدارس، وهي مقولات تقبل التأويل لهم وعليهم، ومنها بالطبع أنهم لم يأخذوا حصصاً للتربية الوطنية، أو ألغى جزء كبير من منهاجهم الدراسي من قبل المدرّس/ المدرّسة، أو أنهم لا يعرفون أصلاً من هو مدرّس التربية الوطنية في الصف الفلاني، فضلاً عن عدم اهتمامهم بمعرفة مناسبات وطنية أو قومية هامة يتحدث الجميع عنها في الأردن مرّة أو أكثر في العام الدراسي، فقد تغاضى الباحث عن كل ذلك وعاد إلى المنهاج المقرّر وقرأه قراءة أولية.

من خلال قراءة منهاج التربية الوطنية والمدنية في المدارس الأردنية، والإطلاع على مفرداته؛ فقد تبين أن هذا المنهاج يُسمى في الصف الخامس مادة: التربية الوطنية والاجتماعية، في جزئين لكل فصل جزء، ثم يطلق عليه، منذ الصف السادس إلى العاشر مُسمّى التربية الوطنية والمدنية، وفي جزئين لكل فصل في كل صف دراسي جزء.

---

(1) ورقة علمية قدمت مساهمة في تطوير مناهج وزارة التربية والتعليم في الأردن ونشرها مركز الرأي للدراسات في 26/11/2014م.

## ● الملاحظات العامة

أولاً: لا يتضمن الغلاف الصقيل ولا صفحات المنهاج في الصفوف الخامس والسادس أيّ صور ذات مغزى تربوي، بينما تتضمن الكتب المقرّرة بعض الصور التاريخية وبعض المعالم السياحية والتعليمية من الصف السابع.

ثانياً: تتضمن كتب المنهاج في مقدمة كل كتاب تعميمات عن أهداف المنهاج، وهي غير محدّدة وغير قابلة للقياس مثل: «استيعاب المفاهيم والمصطلحات والتعميمات واكتساب القيم والاتجاهات والمهارات الواردة فيها».

ثالثاً: يتضمن المنهاج موضوعات غير مترابطة من حيث التسلسل الزمني (التاريخي) والمنطقي، وفيها الكثير من التعقيد في الصياغة والتفاصيل أحياناً، وهي منفصلة زمانياً عن بعضها البعض ولا رابط بين أجزائها.

رابعاً: ينقص المنهاج الحسّ بالتكامل بين أجزائه المختلفة لمختلف الصفوف ووحدة الهدف، واستقرار في التعريفات والمصطلحات.

خامساً: الأعلام المترجم لهم في المدن الأردنية المختلفة إنجازاتهم محدودة: «كان من العلماء»، «كان من الفقهاء»، و«أجازته العلماء»، وتقتصر الترجمة على الاسم وتاريخ الوفاة والقليل عن الشخصية، وهي بالتالي لا تعني شيئاً للطلبة في هذه المرحلة، واختيار الأعلام كان باستمرار غير موفق، وأحياناً كثيرة شابهته أخطاء نوردها في محلها.

سادساً: خريطة المملكة الأردنية الهاشمية تُزيّن الصفحة الأولى من كل جزء من أجزاء المنهاج من الصف السابع حتى العاشر، ولكن المنهاج لا يتضمن نشاطاً لرسم الخريطة.

## • المنهاج

ونبدأ الآن بكتب المنهاج:

في الصف الخامس الجزء الأول تضمن تاريخ فجر الإسلام، الدولة وأركانها (تضمن إقحام صورة لجلالة الملك مع الرئيس بشار الأسد مع أن الحديث عن الدولة الأردنية)، الأمن الوطني والسلام العالمي، الجزء الثاني من منهاج الصف الخامس تضمن الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية، وفي السيرة الحضارية، وهذا العنوان الأخير لا يتسق مع مضمون الدروس الموجودة فيه عن الأهمية التاريخية والحضارية للأردن ونمو المدن حيث يختزل الموضوع حول عمان والزرقاء.. لماذا؟

ومنهاج الصف السادس تضمن الجزء الأول منه: الدولة والمواطنة، قضايا اجتماعية (التعليم في الأردن) الذي تضمن تواريخ متلاحقة (ثمانية تواريخ في أقل من صفحة) دون وجود سرد قصصي ممتع للطلبة. والوعي المروري. وتضمن الجزء الثاني: التقسيمات الإدارية في المملكة، المؤسسات الاجتماعية، في السيرة الحضارية للأردن (جرش والبترا). وتضمن منهاج الصف السابع الجزء الأول: الأسرة (ورد سرد لوظائف الأسرة دون ذكر مشكلاتها أو إمكانية إيجاد حلول)، الأمن الوطني والسلام العالمي، الدولة الأردنية ومؤسساتها، وتضمن الجزء الثاني: الإدارة والاقتصاد والتكنولوجيا، التفكير والمنطق والحوار، في السيرة الحضارية للأردن (محافظة الكرك، محافظة عجلون، لواء الشوبك).

وفي الصف الثامن تضمن الجزء الأول: الأسرة والشباب، التنشئة المجتمعية، القيم المجتمعية، الشباب، المجلس الأعلى للشباب، الوحدة الثانية: الدولة الأردنية ومؤسساتها، بدأت الحديث عن حقوق الإنسان (ولا يوجد أي ربط بين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمبادئ المتضمنة في الدستور الأردني 1952م)، ولا يوجد أي شيء عن الدولة الأردنية، وأرجى الحديث عنها للدرس الرابع والخامس. ثم تحدثت الوحدة في الدرس الثاني عن المرجعية الدولية لها ثم حقوق المواطن الأردني وحياته، في حين يجب تدريس

الدولة الأردنية: نشأتها وخصوصيتها ثم حقوق المواطن الأردني وواجباته ثم ربطها بحقوق الإنسان... إلخ، ثم النظام الأردني والديمقراطية، والمبادئ الأساسية لنظام الحكم. وتضمنت الوحدة الثالثة في السيرة الحضارية: العقبة وإربد. ورد على الصفحة الأولى منها صورة عن شعار «إنجاز» بدون أي تفسير لذلك.

وخطأ آخر أن العقبة كانت خط دفاع عن بلاد الشام في مواجهة هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية. ثم خطأ آخر عن الاتصال الأول للمسلمين بالعقبة الذي جاء على شكل رسالة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى صاحب أيلة وليس في غزوة تبوك.

والإشارة إلى مركزية العقبة خلال أحداث الثورة العربية الكبرى فقط في موقعين هما نوخة وحد الدقيق في الطفيلة؛ دون الإشارة إلى معارك هامة خاضتها جيوش الثورة في وادي رم وأبو اللسن ومعان/ سهل سمنة، ووادي موسى والشوبك وجرف الدراويش.

عن إربد هناك خلل في الصياغة بحسب التسلسل التاريخي لتطور المدينة وهو مربك للقارئ فضلاً عن الطلبة. ثم إشارات غامضة عن (العالم القديم: طريق البخور) ونفوذ وسيطرة الغساسنة بحاجة إلى إعادة نظر.

وليس هناك ربط بين انتقال مركز السيطرة الإدارية من إربد إلى عجلون وتفسير لذلك خلال العهد العثماني، ثم يشير الكتاب وهو يتحدث عن إربد في عام 1914 إلى فرض التجنيد الإجباري على «سنجق عجلون».

تضمن منهاج الصف الثامن في جزئه الثاني الأمن الوطني والسلام العالمي.. السلام العالمي بدون أي مقدمات عن حاجة العالم إلى السلام بعد حروب أوروبا الدامية ثم دور الأمم المتحدة وميثاقها، ثم تحدث عن السلام العادل، وهو كلام هلامي غير محدد وغير مرتبط بقضايا المنطقة، ثم دور الأردن في قوات حفظ السلام الدولية دون الإشارة إلى أن ذلك امتياز للأردن دون غيره من الدول الأخرى لاهتمامه بتطبيق القانون الدولي وشرعة الأمم المتحدة. وحالة الاستقرار... إلخ.

وفي الوحدة الخامسة عن التفكير والمنطق والحوار، ورد في درس التفكير الأول تعريف للتفكير مختلف عن التعريف الوارد في الدرس الثاني، وورد في هذا الدرس نصوص جامدة. بحاجة إلى إعادة نظر وتبسيط قابل للفهم من قبل الطلبة. وفي الوحدة السادسة ورد درس عن الموازنة العامة لم يتضمن أن الموازنة هي قانون يمر بالمراحل التشريعية ويصادق عليه جلالة الملك، ويحاسب النواب وديوان المحاسبة على أساسها أداء الحكومة المالي. ودرس الاستهلاك والادخار لا يحث على الادخار باعتباره وسيلة تنمية اقتصادية للأسرة والوطن (الدولة) لخلق اتجاه إيجابي عن الادخار لدى الطلبة. بينما وضعت إشارة بصورة اعتباطية في درس الاستثمار في الأردن.

الدرس الخامس عن سوق العمل الأردني: الأرقام قديمة عن عدد السكان وغير دقيقة في معدل النمو السكاني ونسبة الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة. ولم تجر الإشارة إلى ظاهرة التسرب من المدارس، والحديث عن الأمية باعتبارها ظاهرة سلبية مؤثرة على الأفراد والمجتمع.

منهاج التاسع الأساسي في الجزء الأول منه تضمن في الوحدة الأولى: التغيير الاجتماعي، والملاحظة الأولى: أنه تم إقحام الموضوع مباشرة دون أي إشارة إلى مقدمة عن المجتمع وتكوينه وكيفية تطوره وتعقد علاقاته ثم التغيير الاجتماعي. والملاحظة الثانية: أنه عند إيراد المصطلحات الأجنبية يجب أن تترافق كتابة الكلمة الأجنبية بالحروف اللاتينية مع إيراد مقابلها باللغة العربية لكي يكون المصطلح مفهوماً للطلاب، خاصة وأنها كثيرة (تكنولوجيا، إيكولوجي، الديمغرافي، الأيديولوجي) وهكذا. والملاحظة الثالثة: أن تعريف التفكير في الدرس الأول (العلم وأهدافه) يختلف عن التعريفين الواردين في الدروس السابقة للصف الثامن. والملاحظة الرابعة: أن الوحدة الثانية عن التفكير والمنطق والحوار يجب أن تكون سابقة على ما ورد في الصف الثامن لأنها أبسط وأسهل للفهم وأقرب إلى مستوى الطلبة في الصف الثامن.

الوحدة الثالثة: عناصر الدولة (وردت ثلاثة) والصحيح أربعة؛ لأن السيادة ركن أساسي من أركان الدولة، ثم من أين جاء المؤلف بكلمة عنصر أو عناصر الدولة، ثم أن تعريف السيادة الوارد بلون مميز في طرف الصفحة «45» لا يعبر عن حقيقة مفهوم السيادة.

الدرس الثالث: الحكومة: وتعريفها لا يتضمن ببساطة أنها تدير الشؤون اليومية في البلاد... إلخ، ويتضمن التعريف مغالطة بالشكل التالي: «الحكومة يتبعها نظم سياسية تدار عن طريقها شؤون الشعب...» ما هي هذه النظم؟! أم أنها نظم إدارية؟! وتعريف الدستور الوارد بصيغة عامة بحاجة إلى إعادة نظر.

في الوحدة الرابعة وردت إشارة إلى جماعات الضغط دون أي مقدمات عن أنها روابط تتشكل في الدولة الديمقراطية على أسس لها علاقة بالمصالح والاهتمامات، ثم ربط ذلك بالحق الدستوري لتأليف الجمعيات والأحزاب السياسية (المادة 2/16) من الدستور.

منهاج الصف التاسع في الجزء الأول منه تضمن إشارة إلى الموازنة العامة، وغير واضح فيها أن الموازنة هي خطة مالية سنوية تصدر على شكل قانون. والنص هنا أبسط وأقرب للفهم من النص الموجود في الصف السابع مع فارق العمر.

وورد في السيرة الحضارية نصٌّ عن السلط فيه معلومات سطحية ومكثفة وغير واضح فيها التسلسل التاريخي وليست متسلسلة. والصور الواردة غير واضحة وغير مُعبّرة عن المكان بما فيها صورة عن جامعة البلقاء التطبيقية. وبالنسبة لترجمة الأعلام وردت ترجمة لفروة بن عمرو الجذامي في «ست كلمات» غير مُعبّرة وليس فيها ما يشير إلى إسلامه ومراسلته للرسول (ص) وإعدامه وقصيدته، والترجمة عقيمة.

وترجمة سعد جمعة كذلك، وهناك خطأ في عنوان أحد كتبه «معركة المصير» والصحيح «المؤامرة ومعركة المصير»؛ وكان حرّي بالمؤلف التأكيد على دوره خلال حرب حزيران 1967م، وأن هذا الكتاب تضمن رواية أردنية لمسؤول أردني عن ظروف وملابسات الحرب.

منهاج العاشر في جزئه الأول تضمن موضوع الإعلام وتشكيل الرأي العام. وقد وردت هذه المواضيع بصورة مبتسرة بحاجة إلى إعادة نظر جذرية، ودرس المواطنة فيه خلط بين المواطن (الوطن) والدولة، وعدم وضوح مفهوم المواطنة الفعالة وتعريفه بقوة العاطفة الوطنية. هل هذا هو المقياس وماذا يحدث إن كانت هذه العاطفة قوية وجياشة ولكنها غير واعية؟! وهناك أخطاء في مقومات المواطنة، وفي قيم المواطنة واستحقاقاتها هناك خلط بين مفهومي الانتماء والولاء.

وفي درس: «التجربة الديمقراطية في الأردن»، هكذا وردت، صفحة واحدة وردت أخطاء منها: النظر للديمقراطية في الأردن على أنها «تجربة» قد تعود عنها، في حين أن الديمقراطية مسيرة ونهج في الأردن، وبهذا الفهم الوارد نفقد هدفًا تربويًا متعلقًا بالمساهمة والمشاركة في العملية الديمقراطية.

في الوحدة الرابعة خطأ منهجي؛ إذ يجب أن يقدم الدرس الثاني: «الاتجاهات الفكرية والأنظمة الشمولية» على الدرس الأول: «الأحزاب السياسية» لكي يصبح الموضوع منسقًا ومتسلسلاً؛ لأن التعدد الفكري هو الذي يفرز أحزابًا مختلفة وليس العكس.

في الجزء الثاني من منهاج العاشر، الوحدة الخامسة «بدون عنوان» وتضمن تعريفات خاطئة منها تعريف المجتمع المدني (ص 11) الذي ينقصه الكثير ليكون واضحًا. جزء من التعريف أنها روابط اجتماعية وأنها تنفذ نشاطاتها بتمويل ذاتي ولا تتقاضى شيئًا من الموازنة العامة للدولة، ولها برامج مجتمعية... إلخ. وتعريف الرأي العام: «يشير إلى موقف (من؟) يوافق أو لا يوافق... إلخ». ويخلو درس التعصب والتمييز من أي شاهد من الثقافة العربية والإسلامية، وتعريف الإدارة هلامي!!

الدرس الرابع الأجهزة الأمنية لم يرد شيء عن دور الأمن العام في مجالات السير، والمخدرات والتنفيذ القضائي وهي ممارسات يومية والتطرق إليها له أبعاد تربوية.

وتم إقحام التنمية السياسية كموضوع بعد الحديث عن الأجهزة الأمنية!! وختلت الإشارة إلى أي نص دستوري أو قانوني يؤسس لعمل القوات المسلحة الأردنية. في هذه المرحلة العمرية التي يسودها الوعي القانوني، وتم سرد تاريخ محافظة مادبا بكلام هلامي!

### • اقتراحات برسم التنفيذ

أولاً: لتفادي الإرباكات الحاصلة في المواضيع المدروسة في المنهاج؛ فإن فصل التربية الوطنية عن التربية المدنية ضروري؛ وتسمية المنهاج «التربية الوطنية» على أن يبدأ تدريسه من الصف الخامس حتى التاسع؛ ثم يدرس منهاج مستقل لكل من التربية الوطنية والتربية المدنية في الصفوف الثلاثة الأخيرة ولكل الفروع. ويمكن حذف منهاج «الثقافة العامة».

ثانياً: إعادة النظر في منهاج التربية الوطنية بصورة تضمن: وحدة الهدف والشمول والتكامل، ثم التدرّج في تقديم المعلومات والأفكار، وبناء نسق معرفي متكامل حول الموضوعات المطروحة ضمن رؤية موحّدة لكل المراحل الدراسية.

ثالثاً: تضمين منهاج التربية المدنية الموضوعات الرئيسة المطروحة عن مصطلحات ومعنى وأهداف هذه التربية ودور المؤسسات في تعزيزها، ثم عن الدولة وأركانها، والمحاكم وأنواعها، ثم حقوق الإنسان، وحقوق المرأة والطفل والمواطن، ومن ثم المنظمات الدولية والإقليمية ودورها، ثم المجتمع المدني ومنظماته ووظائفه، وشرح المفاهيم المعاصرة المتداولة من مثل: الحوار، التسامح، التعصب، المسؤولية، حوار الحضارات، الإرهاب، ثقافة السلام والمشاركة.

رابعاً: يجب أن تتضمن مفردات المنهاج معلومات ذات أثر تربوي ومعرفي مباشر أو غير مباشر، والابتعاد عن الحشو أو الإصرار على نسق معين في الإخراج دون الحاجة إليه، أو لمجرد المحافظة على شكل معين لكتاب المنهاج.

خامساً: التركيز على مشاركة المعلمين والطلبة في المناسبات العامة الوطنية والدينية والقومية بنشاطات لا منهجية، فتُحيي هذه المناسبات بالتحضير لها. لا من حيث الخطب

والموسيقى والغناء، ولكن أيضًا من حيث استذكار المناسبة، والبحث عن أصلها ومعناها، وأثرها وأهميتها في حياتنا المعاصرة.

سادسًا: مراجعة المنهاج الحالي على ضوء الملاحظات الواردة في هذه الدراسة، وإمكانية الإفادة من خبرات آخرين في هذا الموضوع.

## المسلمون في الصين.. قراءة في الأحداث الأخيرة<sup>(1)</sup>

### • مقدمة

تعتبر الصين أكثر دولة في العالم سكانا، إذ تبلغ التقديرات الحالية للسكان نحو 1.32 مليار نسمة يقطنون على رقعة واسعة من الأرض تبلغ 9.561.00 كيلو مترا مربعا، وهي مساحة تزيد على خمس قارة آسيا كاملة. ويشكل السكان تعددا عرقيا ودينيا متمایزا، ولكن التجربة التاريخية، وقوة النظام المركزي للدولة، وظروف الجغرافيا وطبيعة السكان والموارد صهرتهم، وأصبحت الصين دولة غنية بمواردها الطبيعية والبشرية والصناعية منذ أوائل القرن الحالي.

وبدت الصين تحت الخطى وتؤسس لتحظى بمكانة دولية مرموقة منذ الإصلاحات التي بدأت في العام 1978م، بينما القوى الدولية المنافسة وبعض تحالفات القوى السياسية المحيطة بالصين يعاد تشكيلها على ضوء متغيرات سياسية واقتصادية دولية تحاول فيها كل القوى السياسية المعنية زيادة حصتها ونفوذها والمحافظة على إنجازاتها.

وأبرز التطورات التي يُحَفِّزها الإعلام الغربي، وتؤثر على مدى قدرة الصين على التعاطي معها ما حدث مؤخرا في الصين من مذابح بشرية طالت المسلمين الصينيين في إقليم تركستان الشرقية وعاصمته اورمتشي. ويحسن هنا أن نلقي الضوء على أوضاع المسلمين في الصين، الذين يُشكّلون نحو 7٪ إلى 10٪ من مجموع السكان، ويتوزعون في أقاليم الصين المختلفة، بحيث لا تخلو ولاية صينية من وجود المسلمين فيها.

(1) دراسة مطولة نشرت في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ 25 / 7 / 2009.

## ● نظرة تاريخية

عرف العرب الصين قبل الإسلام، وتاجروا معها، وعرفوا بحر الصين العظيم، والنهر الأصفر، والسواحل الصينية من خلال تجارتهم عبر البحر العربي والمحيط الهندي، وازدادت معرفتهم بالصين من خلال احتكار التجارة مع الشرق في أواخر العصر الروماني. وبظهور الإسلام وانتشاره إلى سواحل الجزيرة العربية ومن خلالها، انتشر عبر مسارات التجارة، واختلفَ في زمان وصول الإسلام إلى الصين؛ إن كان خلال البعثة النبوية وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعد ذلك. لكن المؤكد أن انتشار الإسلام في الصين كان على مراحل كانت أولها من خلال التجارة والدعوة خلال فترة صدر الإسلام، وهذه المرحلة هي استمرار لما اضطلع به المسلمون من دور في التجارة، وما تعزز من خلال مبادئ إسلامية سامية أشاعها التجار المسلمون، وأسهمت في تعزيز مكانتهم في الصين وسواها من خلال الاتصالات عبر المعابر البحرية. ثم بلغت هذه المرحلة ذروتها عندما وصلت الفتوحات الإسلامية إلى مشارف الصين، وأصبح المسلمون تجارا ودعاة قادرين على تحقيق حرية الوصول إلى الصين من خلال الطرق البرية.

وبدأت المرحلة الثانية خلال خلافة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز والخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/703-714م) ومن خلال جهود قائد الفتح الإسلامي قتيبة بن مسلم الباهلي الذي جهز جيشا في سمرقند، واستطاع فتح مدينة (كاشغر) المدينة الرئيسة في تركستان الشرقية وتقع في أواسط بلاد الترك سنة (96هـ/714م). وقد تبادل الوفود مع إمبراطور الصين الذي مال إلى المصالحة ودفع الجزية<sup>(1)</sup>.

---

(1) ابن اعثم، أبو محمد بن أحمد الكوفي (ت: 334 هـ)، الفتوح، طبع تحت مراقبة د. محمد حميد المعيد خان، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر إباد الدكن/ الهند، 1971م، ص 7، ص 234 - 251. ولمزيد من التفصيل حول وفود المسلمين إلى إمبراطور الصين انظر: الطبري، أبو

وبدأت المرحلة الثالثة بانتشار الإسلام سلمياً من خلال تركستان الشرقية عن طريق الدعاة والتجارة، وانتشر الإسلام في غربي الصين، وحافظت تركستان الشرقية على طابعها الإسلامي رغم محاولة الإمبراطور الصيني التوسع في تركستان الغربية والمناطق ذات الأغلبية التركية عام (119هـ / 703م). كما لم يستطع الإفادة من سقوط الخلافة الأموية وانتقال الخلافة إلى العباسيين في إعادة السيطرة على تركستان الشرقية<sup>(1)</sup>. وقد هزم الجيش الصيني في معركة طلس عام (934هـ / 751م) وانحسر النفوذ الصيني في جبال التاي عدة قرون لاحقة، وعززت تأثير الحضارة العربية الإسلامية في تركستان<sup>(2)</sup>. ثم استقر جنود مسلمون أغلبهم من العرب في (تشانغ آن) عاصمة الصين القديمة، بعد أن أعادوا للإمبراطور الصيني (تان سوتشونغ) من أسرة (تانغ) حقه في الملك بناء على طلب الخلفية العباسي أبي جعفر المنصور، وقد تزوج هؤلاء الجنود من صينيات وأقاموا إقامة دائمة في الصين<sup>(3)</sup>.

وتعزز وجود المسلمين في الصين من خلال سيطرتهم على التجارة الدولية عبر طريق الحرير المار من تركستان الشرقية، ومن خلال انتشارهم وإقامتهم في موانئ الصين التجارية وخاصة (كانتون) و(شنغهاي) وغيرهما، كما توغلوا داخل الصين فوصلوا إلى (تشوان تشو) و(يانغ تشو) و(هانغ تشو) على نهر (اليانسيكيانغ).

---

جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 945م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ج4، ص31 وما بعدها.

(1) مهدي، قيس عبد العزيز، الأوضاع السياسية في الصين خلال العصور الإسلامية، مجلة سبأ، العدد (14 - 15)، جمادى الآخرة 1428هـ / يوليو 2007، ص197 - 223.

(2) كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة: بدر الدين قاسم، بيروت، ج1، ص39 - 40.

(3) السامر، فيصل، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، طبعة ثانية، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص124.

وانتشر الإسلام في الصين خلال فترات مميزة من حكم الأسر الصينية، منها ما كان في عهد أسرة (تانغ) التي انتهى حكمها في (295هـ/ 907م) وذلك خلال العصرين الأموي والعباسي، ثم في عهد أسرة (سيونغ) حتى عام (678هـ/ 1279م)، فقد أقرت هذه الأسرة حقاً للمسلمين بأن يختاروا ولائهم وكان دور الأسرة الحاكمة الصينية المصادقة على هذا الاختيار، ثم في عهد أسرة (يوان) حتى عام (770هـ/ 1368م)، وهي الأسرة التي أسسها جنكيز خان المغولي الذي احتلت جيوشه الصين ومعظم بلدان العالم الإسلامي. وكانت الصين من نصيب خلفه (قبلاي خان) الذي لُقّب (يوان سي تسو) وأبنائه من بعده، وقد انتشر الإسلام بين القبائل المغولية<sup>(1)</sup>.

وخلال هذه الفترة أسلم (الإيغور)، وهم قبيلة تركية كانت تقيم في منطقة (قانسو) ومنغوليا وما جاورها، وفي عهد (قبلاي خان) (1215 – 1294م) كانت الصين اثنتي عشرة مقاطعة منها ثمانٍ حكمها ولاية مسلمون، وحكم أربعة نواب مقاطعات أخرى من المسلمين. وقد أفرد الرحالة ابن بطوطة وصفاً للمسلمين في الصين بأنهم وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمععات وسواها وهم «معظمون محترمون...»<sup>(3)</sup>، وإذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح وقالوا: «جاء من أرض الإسلام. وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنياً كواحد منهم»<sup>(5)</sup>.

### ● العصر الذهبي

وفي عهد أسرة (مينغ) الذين عرفوا بالصينيين الأقحاح (770هـ/ 1369م – 1045هـ/ 1644م) ازداد عدد المسلمين زيادة ملحوظة من خلال الدعوة والزيادة الطبيعية للسكان

(1) مهدي، الأوضاع السياسية، ص 217.

(3) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحلة بن بطوطة، دار صادر، بيروت، (د. ت. ن)، ص 628.

(5) ابن بطوطة، ص 633.

المسلمين، والتزاوج بين الأسر المسلمة من الأصول العربية والفارسية أو التركية والصينية. وأقام ملوك أسرة مينغ علاقات طيبة مع الأمراء المسلمين الذين كانوا يحكمون الدول والمقاطعات الواقعة غرب الصين، واستُخدم التقويم الهجري في الصين خلال عهد هذه الأسرة، كما أدخل التعليم الديني ضمن مسؤولية الإمام ورسالة المسجد، وحولت المساجد إلى مدارس في القرن السادس عشر<sup>(1)</sup>.

وقد شجع الإمبراطور (هونج وو) على بناء المساجد، ومنح المسلمين امتيازات كثيرة، مما دفع سلطان التركستان (شاه رخ بهادور) إلى الكتابة للإمبراطور ودعوته للإسلام. وقد رافق هذه المرحلة أن المسلمين أصبحوا يحملون أسماء صينية إلى جانب أسمائهم العربية، وأن تجمعات المسلمين لم تعد مقتصرة على المناطق الجنوبية والساحلية، بل ظهر مسلمون في الشمال والغرب، ومسلمون من ذوي الأصول المغولية<sup>(2)</sup>. وبانتهاء عهد هذه الأسرة وتولي أسرة (تشينغ) (1736-1784م) الأسرة المنشورية انتهى العصر الذهبي للمسلمين في الصين، رغم أن هذه الفترة شهدت ظهور قيادات فكرية وعلماء متخصصين في علوم القرآن الكريم والفقه والتوحيد من المسلمين الصينيين. وحاول الإمبراطور (جيانا ونغ) إعادة السيطرة على تركستان الشرقية، وقامت ثورات إسلامية ضد هذه الأسرة، وتقلص عدد ونفوذ المسلمين في الصين. وكانت أقوى هذه الثورات وأشدّها ضد هذه الأسرة المنشورية ثورة يعقوب بك في كاشغر (1855-1875م) واستخدمت الأسرة المنشورية المسلمين ضد بعضهم بعضاً.

وكانت هذه الثورات في ظل ظروف وأوضاع دولية معقدة، دخل فيها الغرب الاستعماري (البرتغاليون، والإسبان، والهولنديون ثم البريطانيون) في تنافس على توسعة

(1) هويدي، فهمي، الإسلام في الصين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، تموز 1981م، ص 83.

(2) هويدي، ص 87 - 90.

النفوذ الاستعماري لدولهم في المنطقة، وشتت حروب على الصين، والهند، ومنشوريا. وأثارت هذه الدول الاستعمارية نزاعات مسلحة بين الصين واليابان وروسيا والصين، ومنشوريا، كما أثارت الإمبراطور الصيني ضد المسلمين بوصفهم منافسين سياسيين أقوياء يتحينون الفرصة للانقضاض على الدولة وتولي السلطة بدلا من الإمبراطور.

ولذلك فقد حدث خلال مائة عام (1758 – 1873م) خمس ثورات كبرى لمسلمي الصين، فيها ثورة ولاية قانصو سنة 1758م، وثورة سينكيانج (1825 – 1827)، وثورة مقاطعة يوننان التي بدأت عام 1855 واستمرت ثمانية عشر عاماً، وثورة سينكيانج التي استمرت عشرين عاماً بدءاً من عام 1855م.

ومنذ بداية القرن العشرين لوحظ توجه المسلمين الصينيين للنشاطات التربوية والتعليمية، وإنشاء أول معهد إسلامي في بكين عام 1903، وأول مدرسة ابتدائية لأبناء المسلمين كانت تدرس لأول مرة العربية إلى جانب الصينية، وتتداول فيها الترجمة الصينية للقرآن الكريم وللأحاديث. وأصبح للمسلمين في الصين قومية تجمعهم هي قومية (هوى) رغم أنهم من ذوي الأصول الوافدة من خارج الصين، وانتشر الإسلام في شمال وغرب الصين، وتنوعت النشاطات الاقتصادية للمسلمين في الصين، إذ كانت في الجنوب على شكل تجارة، وفي الشمال والغرب في مجالي الزراعة والرعي، وأصبح المسلمون يتصرفون كمواطنين<sup>(1)</sup>.

وعندما برزت فكرة الجامعة الإسلامية، أرسل السلطان العثماني عبد الحميد عام 1318هـ/ 1900م مبعوثه أنور باشا إلى الصين، والتمس لاحقاً المساهمة في إرسال بعثة لبناء مدرسة في بكين، وبُنيت هذه المدرسة فعلاً، غير أن الانقلاب العثماني، وتأسيس (صن) يات صن) جمهورية الصين الوطنية عام 1911 قد غيراً مسار الأحداث.

(1) هويدي، ص 99 – 104.

## • الصين الوطنية

أعلن (صن يات صن) أن الأمة الصينية تتكون من خمسة شعوب هي (الهان، المانشو، والمنغ، والهوي «المسلمين»، والتسانغ). ومنحت هذه الشعوب بموجب القانون الأساسي الصادر عام 1913م حقوقاً متساوية، وأعلنت أن الجمهورية ليس لها دين رسمي وأن الجميع يتمتعون بالحرية الدينية، وقدرت أدبياتها بأن المسلمين قد اضطهدوا، وأن مشاركتهم في الحركة الوطنية الصينية أساسية، وتبعاً لذلك استعاد المسلمون نشاطهم في الصين وتعاونوا مع الحكم الجمهوري، واتصلوا بالمسلمين في الخارج، وتأسست جمعيات عديدة تعنى بشؤونهم. كان أولها عام 1912 (جمعية التقدم الإسلامية) ومقرها بكين، ثم نقلت نشاطاتها العلمية إلى يوننان وأنشأت فروعاً عديدة في الصين لاحقاً، وتوالى إنشاء الجمعيات والمدارس ومدارس المعلمين الإسلامية والصحف في مختلف أنحاء الصين.

غير أن وفاة (صن يات صن) وإخلاء المسلمين للحكومة الوطنية التي أتاحت لهم المشاركة في الانتخابات عام 1946م، حيث حصلوا على أكثر من مائة مقعد في مجلس النواب<sup>(1)</sup>، وكان منهم حكام مناطق متعددة منها التركستان الشرقية، و(تسنغ آن) و(تينغ هسيا) و(كانو) وشاركوا في الوزارة، وكان منهم أول وزير للدفاع الصيني بعد الحرب العالمية الثانية. غير أن تداعيات الحرب الأهلية الصينية وإقرار الشيوعيين الصينيين دستور جمهورية الصين الشعبية وقيام الثورة الثقافية التي أطلقها الرئيس ماوتسي تونغ أدت إلى تراجع في الحريات الدينية والمشاركة السياسية للمسلمين في الصين.

وقد توجست الصين من ازدياد نفوذ وقوة المسلمين، وحدثت انتفاضات تدخلت روسيا في إحداها على الأقل عام 1928. واستغل المسلمون في الصين من قبل اليابان خلال الحرب العالمية الثانية. وخلال المقاومة الصينية للاحتلال الياباني (1937 - 1945)،

(1) إبراهيم، شيونغ، ماذا حدث للمسلمين في ظل الصين الشيوعية، بيروت، لبنان، 1962، ص 16 - 17.

شكلوا (فصيلة قومية الهوى) التي عرفت بالجحافل الحديدية بقيادة ضابط مسلم هو (ماين تشاي)، فخاض معارك طاحنة ضد اليابانيين في شمال الصين وكانت سبباً في وقف محاولات اليابان الاستيلاء على منطقة سينكيانج. وشكّل المسلمون أربع بعثات سافرت إلى الوطن العربي وبعض دول آسيا بحسب الرأي العام إلى جانب الصين وضد اليابان<sup>(1)</sup>.

ورغم أن الزعيم الصيني الشيوعي (ماو تسي تونغ) قد أعلن انفتاحه على المسلمين في البداية (1949 – 1954)، ووقف المسلمون معه ومع الحزب الشيوعي الصيني ضد (تشانغ كاي تشك) المؤيد من الغرب والولايات المتحدة، إلا أن (ماو) حارب المسلمين بدءاً من العام 1954، وقسم تركستان الشرقية وحولها إلى مقاطعة شيوعية، ثم أغلق المساجد ومنع الأذان والصلاة الجامعة والصيام والتعليم الديني الإسلامي، وأعاد توزيع المسلمين والأقليات الدينية في الصين.

وتلاشت نشاطات المسلمين وجمعياتهم وبعثاتهم الخارجية بعد عام 1949 لتستأنف نشاطها بدءاً من عام 1953، فقد أنشأ (برهان شهيدي) الجمعية الإسلامية الصينية، وكان رئيساً لها (1953 – 1980). وأتيح خلال الفترة (1949 – 1980) لمائة شخص فقط أن يدرسوا شيئاً عن الإسلام في معهد بكين الإسلامي<sup>(2)</sup>.

وجرى تهجير واسع للمسلمين في بداية الستينات من وإلى مناطق الكثافة السكانية الإسلامية، ونُقلت آلاف الأسر من قومية (الهان) اللادينية إلى سينكيانج، ويوننان وإلى مقاطعات أخرى، وحدث انفجار شعبي في سينكيانج عام 1962، ولجأ آلاف من المسلمين إلى داخل الحدود السوفيتية.

وقد تأثر المسلمون في الصين سلباً خلال الثورة الثقافية (1966 – 1976) وهاجمت الثورة المسلمين واعتبرتهم أعداء متخفين، وشكلت مجموعة ثورية لمقاومة الإسلام،

(1) هويدي، ص 121.

(2) هويدي، ص 143.

وعُدلت المادة (88) من الدستور لتفعل حرية الإلحاد والدعوة إليه. وانتهت هذه الفترة بالصراع على السلطة بعد وفاة (ماو) وانتهاء عصر عصاة الأربعة.

### • ملاحظات على تطور أوضاع المسلمين في الصين

لوحظ أنه في العام 1773م رفع تقرير للإمبراطور عن أوضاع المسلمين جاء فيه: «إن المسلمين لم يتوقفوا عن الدعوة إلى دينهم بين الصينيين، حتى في ظل مرحلة يسودها التوتر والقلق مثل حكم أسرة مانشو، واشتغالهم بالتجارة والزراعة لم يلههم عن عملية التبشير (الدعوة) للإسلام في تربة الصين الوعرة». وأثناء ثورة البوكسر في العام 1900م التي قامت ضد الوجود الاستعماري الأوروبي في الصين اشترى، مسلمو نينغشيا عددا من نساء وأطفال المسيحيين. وقد تم جمع الزكاة الشرعية وصرفها على وجهها المقرّر<sup>(1)</sup>.

وتجنب المسلمون في الصين إثارة أو استفزاز الصينيين المحافظين بطبعهم والكارهين للأجانب، فلم يبن المسلمون مآذن للمساجد، ولم يلبسوا شيئا مختلفا عن الصينيين العاديين، واكتفوا بلبس الطاقية داخل المسجد، واحترموا الأفكار والطروحات الواردة عند كونفوشيوس، وامتدحوها في كتبهم<sup>(2)</sup>، واحترموا كل ما يتعلق بأداب الصينيين واحترامهم للإمبراطور، وعدم معارضة الأفكار الشيوعية الصينية مباشرة أو الصدام معها، وحرصوا باستمرار على أن لا يظهروا الدين الإسلامي بمظهر الدين المعارض لدين الدولة الصينية<sup>(3)</sup>.

(1) هويدي، ص 94.

(2) ميرديث، روبين، الفيل والتنين: الهند والصين ودلالة ذلك لنا جميعا، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة (359)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 2009م، ص 265.

(3) المسلمون الصينيون.. من هم؟ وأين هم؟، مجلة «بناء الصين»، توزيع الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب جمهورية الصين الشعبية، الطبعة الأولى، بكين، 1983، ص 105.

وقد ركّز المسلمون في الصين خلال القرن العشرين على النشاطات التربوية والتعليمية، وطوروا مناهج للتعليم فيها، وتزايد عدد المدارس والمعاهد العلمية، واهتموا منذ العام 1931 بإرسال بعثات تعليمية إلى الأزهر الشريف، كما اهتموا بتنظيم رحلات الحج كلما كان ذلك ممكناً. وظهرت عام 1945 أول وأفضل وأشهر ترجمة للقرآن الكريم إلى الصينية أعدها الشيخ (وانغ جينغ تشاي) الذي توفي عام 1947م، وأسهم المسلمون في الانتخابات الصينية على اختلافها في المجالس المحلية والمجالس الإقليمية ونجحت المرأة المسلمة في هذه الانتخابات<sup>(1)</sup>.

ولاحظ فهمي هويدي أن الفترة (1949 – 1958م) شهدت في الصين «مرحلة تأميم النشاط الإسلامي ونقل إدارته وتوجيهه من الجمعيات الأهلية إلى الدولة والحزب (الشيوعي)»<sup>(2)</sup>، ويمكنني أن أضيف هنا أن المسلمين في الصين تفاعلوا بإيجابية مع هذا التوجه رغم الاختلاف العقائدي والفكري مع الحزب الشيوعي واعتبروا أنفسهم محققين لأهداف الحزب والدولة، وحرصين على العمل من خلالهما لتعزيز مكاسبهم.

وقد كانت ولا تزال غالبية مسلمي الصين من السُّنَّة، ويتوزعون على عشر قوميات من أصل أربعة وخمسين قومية في الصين، والقوميات الإسلامية في الصين هي: (هوى) في سهول الصين الوسطى، (الإيغور) في تركستان الشرقية، (القازاق) في مروج جبال تيانشان، والتتار ومعظمهم في مدن سينكيانج، و(القرغيز) غربي الصين، ومسلمو التبت في التبت وفي (ساللا) في المجرى الأعلى للنهر الأصفر، والمنغول أو مسلمو كوبار، والأوزبك، وهناك أقلية مسلمة شيعية من الطاجيك ينتشرون على الحدود الصينية الأفغانية.

(1) المسلمون في الصين، مجلة «بناء الصين»، بكين، الطبعة الأولى، 1982، ص 82 – 83.

(3) هويدي، ص 141.

كما أن هناك تأثيراً ثقافياً شيعياً واضحاً في أوساط السُّنة من حيث الثقافة الإسلامية العامة والممارسات، كما أن هناك أقلية قليلة من الشيعة الإسماعيلية، قُدِّرَت عام 1980م بنحو (20) ألفاً ينتمون إلى قومية الطاجيك ويتشرون على حدود الصين مع أفغانستان<sup>(1)</sup>. وتنتشر الطرق الصوفية في الصين، وخاصة الطريقة الخوفية القريبة من النقشبندية في مقاطعتي قانصو وسينكيانج، والطريقة الجهرية الأقرب إلى القادرية في نينغشيا وقانصو، والسلفيون القدامى والمحدثون وخاصة الوهايبة التي انتشرت منذ سنة 1894م بواسطة كوبوان أو (الحاج البستاني)<sup>(2)</sup>. وينتشر المسلمون الصينيون في مختلف المقاطعات الصينية ولا تخلو مقاطعة صينية من وجود المسلمين فيها<sup>(3)</sup>. وقد انتشرت مذاهب إسلامية صوفية متأثرة بالكونفوشية منها مذهب توفقي أسسه (ليوجيه ليان) العالم المسلم في نانكين<sup>(4)</sup>.

### ● الإصلاحات الصينية

وفي فترة الإصلاحات التي بدأت في الصين عام 1978 حدث انفراج في سياسة الحكومة الصينية تجاه المسلمين، بل حاولت كسب رضاهم عقب الغزو السوفييتي لأفغانستان عام 1979م ومنح المسلمون حرية الاعتقاد الديني، وحرية ممارسة عادات وأعراف الأقليات، وأقيمت الصلوات الجامعة في المساجد، وبالمقابل انخرط المسلمون الصينيون في عملية الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والسياسية، وأعفت الحكومة الصينية المسلمين من

(1) هويدي، ص 187.

(2) هويدي، ص 116.

(3) حول توزيع المسلمين على المقاطعات الصينية، وإحصاءات عن عدد السكان المسلمين في كل مقاطعة وعدد المساجد فيها انظر: شيونغ، إبراهيم، ص 13-15.

(4) المسلمون الصينيون، ص 105.

قوانين تحديد النسل، وسمحت ببناء المساجد وإنشاء المدارس لتعليم القرآن الكريم والحديث النبوي واللغة العربية.

وقد لوحظ أن المسلمين الصينيين أفادوا من فترة الإصلاحات في مجالات منها: إحياء نشاطات الجمعية الإسلامية، وطبع القرآن الكريم عدة مرات، وإعادة إصدار مجلة «المسلمون في الصين»، واستئناف بعثات الحج بصورة منتظمة منذ 1979م. وإعادة فتح جسور التواصل مع العالم الإسلامي، وإعادة فتح المساجد التي أغلقت في فترة (ماو) وخاصة في سينكيانج حيث أعيد فتح 1900 مسجد، وأعيدت عطلة أعياد المسلمين في عيدي الفطر والأضحى، والمولد النبوي<sup>(1)</sup>. وتشكلت في فترة لاحقة وبدءاً من العام 1912 الكثير من التنظيمات الإسلامية والثقافية وشبه السياسية<sup>(2)</sup>.

وقد نص الدستور الصيني على أن مقاطعة سينكيانج (مركز تجمع المسلمين الأتراك الإيغوريين) ومقاطعة نينغشيا (مركز الهويين) أصبحتا تتمتعان بالحكم الذاتي، وكان ذلك من قبيل التقدير لوضع المسلمين واحتراماً لوضعهم الخاص بحسب السلطات الصينية<sup>(3)</sup>. وأصبح لكل مقاطعة حاكم مسلم من الويغور والهوى، وعُيّن كبار مسؤولي المقاطعة من المسلمين.

أتاحت الإصلاحات الصينية للأمة الصينية نقلة نوعية متقدمة، يمكن أن يُشار إلى أبرز ملامحها بما يلي:

(1) هويدي، ص 152 – 153.

(2) جي، بدر الدين. و. ل، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي الحاضر، دار الإنشاء للطباعة والنشر، لبنان (د. ت. ن)، ص 109 – 136.

(3) هويدي، ص 172.

أولاً: أصبحت الصين قوة دولية سياسياً واقتصادياً، ورممت علاقتها الدولية مع دول الجوار ومع القوى الدولية على حد سواء باتجاه تسامحي قائم على جلب المنافع وتفادي الصدام في علاقاتها الدولية<sup>(1)</sup>.

ثانياً: ركزت الصين على الاستثمارات الأجنبية وجلبت اهتمام الاستثمارات الأمريكية بشكل خاص، واهتمت بزيادة حجم هذه الاستثمارات في مختلف قطاعات الإنتاج. وقد مكنتها هذه الاستثمارات في قطاع التقنية من تصدير ما قيمته (180) بليون، دولار وهي أعلى حصيلة استثمار في مجال التقنية في العالم، وأصبحت الصين (مصنع العالم)<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: تجاوز 87٪ من سكان الصين خط الفقر في العام 2003م، وتغيرت صورة الصين التي عانت من مجاعات أدت إلى وفاة ما بين (30-40) مليون نسمة خلال الأعوام (1959-1962). وبلغ معدل دخل الفرد عام 2007 نحو ألفي دولار، وازدادت نسبة استهلاك اللحوم من 5٪ عام 1978 إلى 25٪ عام 2005، مما يشير إلى زيادة الرفاه الاقتصادي والاجتماعي للمواطن الصيني الذي هو أصلاً نباتي، وإعادة تشكيل حياة العمال والفلاحين وزيادة كسبهم<sup>(3)</sup>.

رابعاً: استثمرت الصين في البنى التحتية المحفزة للإنتاج، ومنها: زيادة الاستثمارات في الطرق والسكك الحديدية، وتقضي الخطط الصينية أن تستثمر الصين مبلغ (240) بليون دولار في هذا المجال حتى عام 2015م، وهي تخطط لمضاعفة عدد المحطات النووية، ورفع مستوى الطاقة المولدة منها إلى ثلاثة أضعاف بحلول عام 2020م<sup>(4)</sup>.

(1) See: Mahbubani, Kishore, «Understanding China», Foreign Affairs, September/ October, 2005, p.49 – 60.

(2) ميرديث، ص 30.

(3) ميرديث، ص 49.

(4) ميرديث، ص 41.

## • مسلمو الصين في الأفق الدولي

تضم منطقة سينكيانج ذات الحكم المحلي الواقعة في وسط آسيا أكبر تجمع للمسلمين في الصين، إذ تقيم فيها أغلبية من قومية (الإيغور) من العنصر التركي الذي له امتدادات إقليمية في كل الدول ذات الحدود المشتركة مع الصين في وسط آسيا.

وقد كانت المنطقة وستبقى منطقة حيوية لوقوعها على طريق الحرير البري القديم، وطريق الحرير الجديد العابر لوسط آسيا، وتوجد فيها أكبر احتياطات للنفط والغاز في العالم. وقد تنازعت عليها السيطرة خلال القرن العشرين بريطانيا وروسيا ثم الاتحاد السوفييتي فيما عرف باللعبة العظيمة (The Great Game)<sup>(1)</sup>. وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991م؛ أدت حملة الولايات المتحدة الدولية على الإرهاب في العام 2001م إلى تورط الولايات المتحدة في قضايا المنطقة.

وكان من المعضلات التي واجهت الولايات المتحدة في المنطقة إقناع السكان المسلمين فيها بأنها تهتم بهم وتسعى لتحقيق أمانهم في الإصلاح. وكان التساؤل المطروح أمريكياً حول شكل الإصلاح، وهل سيأخذ التيار الرئيسي للإصلاح فيها الشكل الإسلامي؟ وهل كان التطوير الديمقراطي الأمريكي مناسباً للمكونات الثقافية؟ وهل سيقدم خيارات واقعية تخدم أهداف الولايات المتحدة؟<sup>(2)</sup>.

وفي المقابل اعتبرت الصين أن منطقة وسط آسيا تقع ضمن مجالها الاقتصادي وكانت تتساهل مع الدور الروسي، لكن الوجود العسكري الأمريكي نبهها إلى إعادة تنشيط دورها

---

(1) Burghart, Daniel, L., In the Tracks of Tamerlane: Central Asia's path to 21st century, National Defence University, center for Technology and National Security policy, Washington, D. C., 2004.

(2) Babus, Sylvia W., «Democracy – Building in Central Asia Post – September 11», In the tracks, p.115 – 138, see p.134 – 135.

في مجالات الطاقة والمصالح التجارية<sup>(1)</sup>. لذلك فإن الصين والولايات المتحدة أصبحتا قوتين دوليتين حديثتي العهد بالمنطقة وأصبحتا تتنازعان النفوذ، وقد يتطور تنافسهما على النفوذ في ظل تراجع الدور الروسي، وتعاضم الاهتمام الاستراتيجي الأمريكي بالمنطقة، وتعارض أهدافهما الاستراتيجية إلى صدام<sup>(2)</sup>.

### • أبرز مؤشرات الصدام الأمريكي الصيني

ورد في تقرير مراجعة الدفاع (Quadrrnial Defence Review) لعام 2006، وهو تقرير تُعدّه وزارة الدفاع الأمريكية مرة كل أربع سنوات لتحليل الأهداف الاستراتيجية والأخطار العسكرية المحتملة عن الصين، ما يلي: «إن الصين من بين القوى الكبرى البازغة التي تملك أعظم إمكانية للمنافسة عسكرياً مع الولايات المتحدة». وأشار التقرير إلى أن الولايات المتحدة ستردع أي مُنافس، وترفض أن تُعطل أي قوة معادية أهدافها الاستراتيجية أو الإجرائية<sup>(3)</sup>.

وبينما يتحكم الأسطول الأمريكي في محيطات العالم، يركز اقتصاد الصين على صادرات السلع الصينية، وواردات النفط والمواد الطبيعية الصينية التي تحملها السفن في ظل سيطرة الأسطول الأمريكي. ولدى الولايات المتحدة أن تُعطل فوراً 40٪ من واردات الصين النفطية عبر البحار، لذلك فإن الصين تحاول أن تصبح قوة نقل بحري وربما قوة بحرية. ويجري حالياً سباق تسلح هائل بين الولايات المتحدة والصين. وفي الوقت الذي تحول البلدان إلى مرحلة التكافؤ الاقتصادي عام 2015، وعندها تصبح الولايات المتحدة

(1) Petros, Tiffany, *Islam in central Asia: The Emergence and Groth of Radicalism in post – Communist Era*, In the Tracks, p.139 – 155, See p.p139 – 140.

(2) Oresman, Matthew; *Beyond the Battle of Talas: China's Re – emergence in central Asia*. In the Tracks, p.401 – 424, see p.402.

(3) ميرديث، ص 265 – 266.

في حاجة الصين اقتصادياً، وسيزداد نفوذ الصين الاقتصادي والعسكري وستعتبر الولايات المتحدة ذلك تحوُّلاً في ميزان القوى العالمي، وستجد الولايات المتحدة نفسها متورطة أكثر في الإقليم<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أنه عندما طلبت الولايات المتحدة دعم الصين في حربها المعولمة على الإرهاب، فإن الصين ضغطت عليها وطلبت منها أن تغمض العين حين تمارس الصين سياسة قمعية ضد مقاطعة سينكيانغ ذات الأغلبية المسلمة وضد التبت. وقد حثت الولايات المتحدة الصين والهند على ألا تسمحا لإيران بتطوير تكنولوجيا نووية لا تخضع لرقابة الأمم المتحدة<sup>(2)</sup>.

وحيث أن مصالح الصين في وسط آسيا تتمحور حول قضايا الأمن القومي التي من أبرزها: قطع الدعم الخارجي للداعين للانفصال في سينكيانغ، والمساعدة الأمنية للتحكم في شتات الإيغور (Uyghor diaspora) والمتعاطفين معهم، والتأكد من أن القوى الراديكالية لن تقلق الحكومات الصديقة للصين في المنطقة، وتحديد الحدود واستقرارها مع هذه الدول وتجريدها من الصفة العسكرية، ورعاية المصالح الاقتصادية الصينية في المنطقة، وخاصة تطوير مصادر الطاقة الذي يتزايد الاهتمام الصيني به في المنطقة<sup>(3)</sup>.

التطور الهام بالنسبة للصين هو أن القاعدة) وبعض الجماعات الراديكالية بما فيها الحركة الإسلامية الأوزبكية (Islamic Movement of Uzbekistan) (IMU) ترتبط بعلاقات مع الانفصاليين الإيغور، وخاصة الحركة الإسلامية لتركستان الشرقية (East Turkestan Islamic Movement) (ETIM) التي صنفتها وزارة الخارجية الأمريكية عام 2003 على أنها ضمن المنظمات الإرهابية.

(1) Oresman, p.412 - 413

(2) ميرديث، ص 278.

(3) Oresman, op. cit, p.403 - 404

ولاحظت الدراسة الأمريكية أن ما بين (300 – 700) شخص من المسلمين الصينيين الإيغور اعتقلوا في أفغانستان خلال الحرب التي تقودها الولايات المتحدة ضد نظام طالبان، وقد نقل بعضهم إلى سجن (غوانتانامو) (Guantanamo Bay). وعزت الدراسة الأمريكية ذلك إلى سياسات الصين «التي لم تتح إلا فرصاً ضئيلة للمقاومة السلمية في سينكيانج ودبلوماسيتها التي قطعت دعم الجوار عن الإيغور في وسط آسيا»<sup>(1)</sup>.

لا تزال الصين ترصد وتراقب الإنترنت وتسجن الناشطين دفاعاً عن حقوق الإنسان ومحاميه، وتكتشف وتجهض حالات الحمل المخالفة لسياسة الطفل الواحد، لكنها لم تقدم ما يكفي من السياسات المرتبطة بحقوق وحرية المسلمين في الصين وخاصة في سينكيانج، بل ارتكبت مذابح ضدهم أمام نظر العالم.

وتحاول الصين حالياً تطوير تعاون إقليمي لمواجهة التهديدات الإرهابية، وذلك لمساندة نظام الحكم الذاتي الصيني في سينكيانج وفي دول وسط آسيا. لذلك فقد طورت هذا التعاون من خلال منظمة شنغهاي للتعاون (Shanghai Cooperation Organization) (SCO)، وعملت على إنشاء مركز لمكافحة الإرهاب في طشقند هدفه الأولي تبادل المعلومات، وقد يُطور آليات عملية للاستجابة الأمنية العاجلة<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى قضايا أخرى مؤثرة على العلاقات الصينية الأمريكية من مثل: تجارة المخدرات، والاعتقادات السياسية، والإيدز، وأمن الحدود<sup>(3)</sup>. والمصالح الأمريكية موجودة في وسط آسيا، لذلك ستجد الولايات المتحدة نفسها متورطة في هذا الإقليم في المستقبل المنظور<sup>(4)</sup>.

(1) Ibid., p. 407 - 408

(2) Oresman, Ibid., p.408

(3) Oresman, p.403

(4) Olikcer, Olga; *Friends Like these: Defining U.S. Interests in Central Asia*, In the Tracks pp.445

- 464, see p.462.

على أن التطورات الهامة التي ستشهدها الأعوام (2011 – 2015) سينعكس تأثيرها على أوضاع المسلمين في تركستان الشرقية في ظل التنافس الاقتصادي والعسكري الأمريكي - الصيني على وسط آسيا، والأوضاع الداخلية في تركستان الشرقية حيث يقيم نحو (13) مليون مسلم مضطهدين، ولهم امتدادات إسلامية وتركية عبر المنطقة، وتراجع الدور الروسي، وتزايد الاهتمام الأمريكي بالحركات الإسلامية في ظل تراجع وفشل أمريكي في معالجة موضوع الإرهاب، و/ أو تقديم مشروع إصلاحية يتم التوافق عليه في دول وسط آسيا بشكل عام، وأفغانستان بوجه خاص، وتنامي الاهتمام بالثروات الطبيعية في هذه المنطقة الحيوية.

## • خاتمة

هذه هي أبرز المؤشرات على أوضاع المسلمين في الصين، وربما تتضمن طرفاً من الإجابة عن السؤال: لماذا المسلمون الصينيون يستهدفون الآن؟ ولماذا يُثار هذا الموضوع الحساس في تركستان الشرقية بين الحكومة الصينية التي يسيطر عليها شعب (الهان)، وبين الهان والمسلمين الأتراك الإيغور في تركستان الشرقية حيث تلتقي حدود دولية متشابكة وقابلة للاثارة؟

إن الإجابة على هذه التساؤل هامة وأساسية، ليس فقط للمسلمين الإيغور الذين توحدت مشاعر المسلمين معهم خلال المذابح التي تعرضوا إليها، لكنه هام أيضاً للمسلمين في العالم الإسلامي، وصناع القرار السياسي فيه، ولكل مسلم معني بالشأن الإسلامي ومتابع له.

ولمحاولة فهم ما يجري، لا بد من الإشارة إلى أن الإعلام الغربي والتغطية الإعلامية الأمريكية للمذابح وما رافقها شابه تحيز واضح لاتجاه الجمعية الأمريكية – الإيغورية وزعيمتها التاريخية ربيعة قدير المقيمة حالياً في الولايات المتحدة، التي كانت قد ساعدتها في علاج زوجها، وفي تفادي السجن في الصين ثم في تأمين مغادرتها للصين عام 2005، وهو العام نفسه الذي بلغت فيه السياسة الأمريكية مرحلة متقدمة في تحقيق أهدافها بالسيطرة على ما يعرف بطريق الحرير القديم إلى الصين عبر هضبة الأناضول وأواسط آسيا، مروراً بأفغانستان وباكستان والهند، وقرغيزستان وتركستان.

وعام 2005م هام أيضاً لأنه أعاد رسم سياسة التدخل الأمريكي في أواسط آسيا لمحاولة (تقليم أظافر الصين)، عبر طريق الحرير ومن خلاله، ومحاولة أمريكية للسير على خطى تيمورلنك، كما جاء في دراسة متكاملة لخبراء أمريكيين عن مستقبل السياسة الأمريكية في آسيا. والمثير للدهشة أنها حملت عنوان: (In the tracks of Tamerlane)، وقدمت هذه الدراسة لكلية الدفاع الوطني الأمريكية، ثم صدرت في كتاب عام 2004م. وجرى التأكيد في

هذه الدراسات على أن أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في آسيا خلال القرن الحادي والعشرين هو تحجيم ثلاثة قوى رئيسية هي: الصين، وإيران، وروسيا. وأصدرت مجلة (Foreign Affairs)، المجلة التي تسهم في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية، عددا خاصة عن الصين في العام 2005 أكدت فيه على جملة من الحقائق المتعلقة بالصين وهي: أن الصين بدأت بالصعود سلميا لتتبوأ مركز القوة العظمى العالمية، وأنها تجاهد على مستوى العالم (هكذا) لاقتناص الموارد، فكيف يمكن أن نفهم طموحها؟

إن الاستقرار الذي نعم به المسلمون الصينيون خلال ربع القرن الماضي، والازدهار الذي حققته الصين، ومطامع السياسة الأمريكية في أواسط آسيا هي الآن على محك الاختبار. والمؤمل أن تكون دعوة تركيا للوساطة بين المسلمين الصينيين الإيغوريين الأتراك، والحكومة الصينية، ودعوات الوساطة الإسلامية الأخرى بما فيها دور منظمة المؤتمر الإسلامي قادرة على احتواء الأزمة، وتجنب آثارها على الصين والمسلمين في الصين وحولها، كما أنها قادرة على تجنب آثار الأزمة على القوى الإقليمية المجاورة للصين، والحفاظ على علاقات الصين القوية مع بلدان العالم الإسلامي.

## • المصادر والمراجع

### أولاً: العربية أو المعرّبة

- إبراهيم، شيونغ، ماذا حدث للمسلمين في ظل الصين الشيوعية، بيروت، لبنان، 1962.
- ابن أعثم، أبي محمد بن أحمد الكوفي (ت: 334هـ)، الفتوح، طبع تحت مراقبة د. محمد حميد المعيد خان، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1971.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، (د. ت. ن).
- مي، بدر الدين و. ل.، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الإنشاء للطباعة والنشر، لبنان، (د. ت. ن).
- السامر، د. فيصل، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، الطبعة الثانية، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310 هـ / 945م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 10 مجلدات، بيروت، 1969م.
- كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة: بدر الدين قاسم، بيروت، ج1.
- المسلمون الصينيون.. من هم؟ وأين هم؟، مجلة بناء الصين، توزيع: الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب، جمهورية الصين الشعبية، الطبعة الأولى، بكين، 1983.
- المسلمون في الصين، مجلة بناء الصين، بكين، الطبعة الأولى، 1982م.

- مهدي، قيس عبد العزيز، الأوضاع السياسية في الصين خلال العصور الإسلامية، مجلة سبأ، العدد (14 – 15)، جمادى الآخر 1428هـ/ يوليو 2007.
- ميرويث، روبين، الفيل والتنين: الهند والصين ودلالة ذلك لنا جميعاً، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة (359) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 2009م.

#### ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية

- Babus, Sylvia W., *Democracy – Building in Central Asia Post – September 11*, In the Tracks of Tamerlane: Central Asia's Path to 21 century, National Defence University, Center for Tecnology and National Security Policy, Washington, D. C., 2004.
- Burghart, Daniel L., editor, In the traks of tamerlane, Washington, D. C. 2004.
- Mahbubani, Kishore, *Understanding Chiana*, Foreign Affaris, September/ October, 2005.
- Oresman, Matthew; *Beyond the Battle of Talas: China's Re- emergence in Central Asia* In The Tracks of Tamerlane.
- Oliker, Olga; *Friends Like these: Defining U.S. Interests in Central Asia*; In the Tracks.
- Petros, Tiffany; *Islam in Central Asia: The Emergence and Groth of Radicalism Communist Era*, In The Traks of Tamerlane.
- Foreign Affairs, September/ October, 2005.
- Foreign Affairs, September/ October, 2006.
- Foreign Affairs, May/ June, 2007.
- Foreign Affairs, September/ October, 2007.

## كلية عمان الجامعية أقدم معهد للتعليم العالي في الأردن.. بين الماضي المجيد والحاضر الزاهر<sup>(1)</sup>

### • مقدمة عن لجنة التوثيق والأرشفة

شُكِّلت اللجنة بمبادرة من الأستاذ الدكتور «محمد عدنان» البخيت رئيس مجلس أمناء جامعة البلقاء التطبيقية، بهدف رصد وتوثيق ونشر تجربة التعليم العالي في الأردن، التي بدأت في كلية عمّان الجامعية عام 1951/ 1952م. قامت اللجنة بإجراء مقابلات ميدانية، وأجرت اتصالات مع طلبة وأساتذة وعمداء سابقين في الكلية وسجلت ذلك ووثقته، وجمعت دراسات وبيانات وصوراً عن الكلية، ولا تزال تعمل على جمع هذه المعلومات والبيانات والصور من مضاها المختلفة.

### • عمّان عام التأسيس

شهدت عمّان توسّعاً عمرانياً وزيادة سكانية كبيرة خلال الأعوام (1948- 1951م). وبلغت مساحة بلديتها ثم أمانة عاصمتها 10 كيلومترات مربعة. وبدأت المدينة في التوسع وكان من المناطق الجديدة فيها جبل الطهطور/ جبل الحسين. تم استئجار مبنى لمخفر الشرطة، وتوسيع مدرسة كلية الحسين، وتم في العام 1951/ 1952م استحداث صف معلمين في الكلية يستخدم مبناهما، وكان عدد طلابه 50 طالباً، واستؤجر مبنى يملكه السيد حسني عبد الفتاح العطوط مؤلف من طابق علوي يتكوّن من أربعة غرف وصالون وساحة سماوية والمنافع في جبل الحسين، ليكون مسكناً لطلاب صف تدريب المعلمين في كلية الحسين بعمان. وكان الإيجار السنوي (400) دينار

(1) محاضرة ألقيت في مدرّج كلية عمّان الجامعية بتاريخ 2/ 3/ 2014م.

أردني تُدفع من مخصصات إعانة فقراء الطلاب في مركز تدريب المعلمين، وجدّد العقد في 4/10/1952م لمدة سنة واحدة و168 يوماً.

في العام 1952/1953م قررت وزارة المعارف تأسيس دار للمعلمين في عمان على أرض خصصت لها في جبل الحسين.

في عام التأسيس كان مجموع عدد مدارس المملكة (141) مدرسة، منها (31) مدرسة للإناث. وعدد المعلمين والمعلمات 476 معلّمًا ومعلمة، منهم 114 معلمة. وكان عدد الطلبة 24556 طالبًا وطالبة، منهم 5282 طالبة.

### • الأفق الدولي

شهدت السنوات الأولى من عقد الخمسينيات تحولات هامة في ميزان القوى الدولية والتحالفات الإقليمية، وظهرت محاور جديدة، تمثلت في حلف وارسو وحلف شمال الأطلسي، واستقطابات إقليمية بين هذين المحورين.

تجاوب الأردن مع دعوة الكونجرس الأمريكي في آذار 1948م لمقاومة الشيوعية، وسن قانونًا يعاقب على الانتماء والدعاية للشيوعية في أيار 1948م. وبدأت اتصالات أردنية - أمريكية رفيعة في ظل تزايد اهتمام الولايات المتحدة بموضوع اللاجئين الفلسطينيين على أراضيه إثر حرب عام 1948م، وتطور اهتماماتها بالمنطقة كلاعب جديد بعد تراجع السيطرة البريطانية.

عام 1949م عينت الولايات المتحدة ممثلًا دبلوماسيًا لها في الأردن كان يقيم في فندق فيلادلفيا، واعترفت الولايات المتحدة اعترافًا متزامنًا بالأردن وإسرائيل.

عند إعادة انتخاب الرئيس الأمريكي هاري ترومان، وفي خطاب تنصيبه عام 1949م أعلن عن برنامج مساعدات النقطة الرابعة (Point Four). وقد وضع هذا البرنامج موضع التنفيذ في 5 حزيران 1950م، بعد موافقة الكونجرس على تخصيص (35) مليون دولار لهذا المشروع.

لاحظت الوثائق البريطانية في 16 كانون أول 1950م تراجعًا كبيرًا في الموجودات النقدية المقدّرة للموازنة الأردنية، وأنه لم يتم تخصيص أي مبالغ مالية في موازنة عام 1951م لاستكمال بناء الملحقة الأمريكية التي خصص لها في العام 1950م مبلغ (100000) دينار. وقد لاحظ الباحث أن الوثائق البريطانية ركزت عام 1950م على الواردات والصادرات الأردنية وأكدت أن الفارق بينهما كبير، وأن المستقبل المالي للأردن «غامم»، وأنه بالكاد قادر على الوفاء بالتزاماته خلال العام 1951م، وأن البلاد ستواجه إفلاسًا في العام 1952م، إلا إذا تمت سلسلة من الإجراءات القاسية وغير المستحبة، وتساءل كاتب التقرير عن الوضع الاقتصادي في الأردن في نهاية تقريره: «إن كانت الأردن في واقعها الحالي قادرة على أن تشكّل وحدة قابلة للحياة».

وفي عام 27 شباط عام 1951م وقّعت في عمّان: «اتفاقية مساعدات اقتصادية بين حكومة المملكة الأردنية الهاشمية وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية معقودة تبعًا للاتفاقية العامة للتعاون الفني».

لذلك فإن هذا المعهد العلمي هو أول معهد للتعليم العالي في الأردن، أسس بشراكة ناجعة مع الولايات المتحدة اعتبارًا من موازنة العام 1951م.

### • التأسيس

تعتبر كلية عمّان الجامعية، التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية حاليًا، أقدم معهد للتعليم العالي في الأردن، فقد بدأ التدريس فيها دارًا للمعلمين في عمّان في العام الدراسي 1950-1951م، بأربعين طالبًا على شكل «صف معلمين واحد» انتظم للدراسة أولًا في كلية الحسين، ثم انتقل إلى مبنى الكليّة الحالي، وقد تخرّج فوجها الأول ذو الأربعين طالبًا بعد عامين من الدراسة حاصلين على درجة الدبلوم.

وقد استمرت الدار بهذه الصيغة حتى عام 1965م عندما تحوّلت إلى معهد للمعلمين. وقد ذكر المرّيّ القدير د. سعيد التل أن تغيير التسمية تم بسبب الرغبة في إضافة برامج

جديدة لدور المعلمين، واستيعاب التحوّل في البرامج الأكاديمية الجديدة مثل: المحاسبة، الإدارة، والسكرتارية.

واستمرت الحال كذلك حتى عام 1979-1980م، عندما قام أعضاء هيئة تدريس من المعهد بزيارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاطلاع على تجربة كليات المجتمع فيها. وقد اقتبست وزارة التربية والتعليم آنذاك التجربة الأمريكية، وتم تحويل جميع معاهد المعلمين إلى كليات مجتمع. ثم حوّلت كلية مجتمع عمان إلى كلية جامعية تابعة لجامعة البلقاء التطبيقية في العام 1997م.

### • المناهج وأساليب التدريس

كانت دار المعلمين في عمّان قد سبقت زماناً ومكاناً، وتجهيزات فيّئة ومكتبة عامرة، إنشاء الجامعة الأردنية باثني عشر عاماً. والذين درّسوا في الدار أو تعلّموا فيها يقولون إن مكتبة الدار كانت أكثر غنىً وتنوعاً وتنظيماً من مكتبة الجامعة الأردنية حتى أواسط الستينيات، وقد كانت ميزة الدار مرتبطة بتركيزها على التعليم الأكاديمي المتنوّع والمتداخل (تخصصات علمية وأدبية)، والتدريب العملي داخل الدار وخارجها في مدارس وزارة التربية والتعليم.

ولعلّ أبرز ملامح تجربة الدار تتركز حول مجموعة من العناصر التي كانت ولا تزال ضرورية للمحافظة على جودة التعليم العالي. أولها: طريقة اختيار الطلبة الحاصلين على المترك أو الثانوية العامة لاستكمال دراستهم العليا، وأهمها المعدّل ثم مقابلات للمتقدّمين تجري في مديريات التربية والتعليم في المحافظات وامتحانات نظريّة، ثم مقابلة في الوزارة. وثانيها أن التعليم والإقامة في الدار مجانيان وإلزاميان، ما أتاح للأساتذة أن يعيدوا إنتاج ثقافة وسلوك الطالب في هذه الدار على أسس. قد ذكر المربّي الفاضل الأستاذ تيسير الدويك، أحد الذين تعلّموا في الدار، أن التعلّم في الدار كان «صناعة»، وأن كل شيء مهياً للطالب لكي يتشرّب المعارف والسلوكات عملياً، وليس من خلال التلقين. وكان نمط

الحياة الموحد يذوّب الفروقات وتشكّل وحدة وطنية تذوب فيها الاختلافات في الأصول الجغرافية، والثقافية والسياسية؛ رغم تنوعها وتصارعها أحياناً. وكان الوقت مخصّصاً للتعليم وإشغال الطلبة في مجالات الدراسة والتحصيل العلمي واجتياز الامتحانات، والأبحاث والتقارير والتدريب الميداني. وكان الحوار أساساً في عملية التعلّم، حتى إن بعض الطلبة كانوا ينزعجون من مساحة الحوار، وقد نعتوا أحد أبرز الأساتذة فيها بأنه لا يقوم بالتدريس بل بإدارة الحوار وأنه (كسول). وكل ذلك يتم بصورة مقصودة ومبرمجة من خلال المناهج والعيش المشترك والإقامة بصحبة الأساتذة وقيادتهم.

### ● الإدارة الأكاديمية

تميزت الكلية بالإدارة التربوية الحازمة المنتجة لمفهوم القدوة التي كانت تتمتع بالاستقامة؛ فقد كانت إدارة أول مدير للدار وهو المرحوم عبد الحميد ياسين حازمة مع الطلبة والأساتذة، وصارمة في تحديد الأهداف والأولويات. ورفض مدير الدار عام 1957م انتظار بدء الحفل عشر دقائق لحين قدوم راعي حفل الدار وزير التربية والتعليم، آنذاك. وكانت أولوياته مرتبطة بتنظيم عمل جميع الأساتذة والطلبة والموظفين، دون أن يُخلّ ببرنامج عمله؛ وإن كان لصالح مسؤوله الأعلى المباشر. كل ذلك في أداء متناغم ومنضبط وقتاً وأداءً فيه مساحة من الديمقراطية، والجميع منضبط بقواعد محدّدة لا يحيد عنها أحد إدارةً وأساتذةً وطلبة، واتحاد طلبة.

وقد وصف الطلبة معاقبة طالب لرفضه الأكل؛ بسبب تكرار نوع معيّن منه بأنها «كسوف للديمقراطية». وعندما قرّر المدير تحويل خلاف بين المربي الفاضل الأستاذ علي الغول ومجموعة من الطلبة حرمهم من مغادرة الدار إلى وسط البلد في عمّان ذات يوم خميس، وهو يوم إجازتهم، بسبب مخالفة ارتكبتها الطلبة؛ حوّل الخلاف إلى اتحاد الطلبة، ونظر

الاتحاد في الخلاف والتقى الطرفان؛ وأقرّ اتحاد الطلبة قرار المدرّس، وتنفيذ حرمان الطلبة المعنيين من مغادرة الدار في ذلك اليوم. وكانت هناك تجربة لإشراك الطالب في إدارة الدار في مختلف المجالات بدءاً من الجرساتي، إدارة المطبخ، الإشراف على الطاولات، النشاطات العامة والثقافية، وزراعة الأشجار والتدريس تحت إشراف أساتذتهم، وتحضير الوسائل التعليمية. وهذا غيض من فيض، وللحديث صلة.

### ● كلية عمان في حاضرها

- تبلغ المساحة الإجمالية لأرض الكلية 8 دونمات و391 متراً مربعاً، تشكل مساحة المباني ما يقارب 2200 م<sup>2</sup>، وتُزَيّن وسط ساحتها الرئيسية شجرة صنوبر زرعها المغفور له جلاله الملك الحسين طيب الله ثراه.
- ويبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس في الكلية (83) عضو هيئة تدريس، ويبلغ عدد أعضاء الهيئة الإدارية فيها (138) موظفاً وموظفة. ويبلغ مجموع إعداد الطلبة على مقاعد الدراسة للعام الحالي 2012/2013 (2999) طالباً وطالبة منهم (2670) طالباً في مرحلة البكالوريوس و(161) طالباً في مرحلة الماجستير.

الأقسام الأكاديمية في الكلية

1. قسم إدارة الأعمال.
2. قسم العلوم المالية والمصرفية.
3. قسم المحاسبة ونظم المعلومات المحاسبية.
4. قسم العلوم الأساسية.
5. قسم نظم المعلومات الإدارية.

الدرجات العلمية التي تمنحها الكلية

- درجة الماجستير في تخصص إدارة الأعمال.

- درجة الماجستير في تخصص الحكومة الإلكترونية.
  - درجة البكالوريوس في تخصصات:
    - إدارة الأعمال.
    - نظم المعلومات الإدارية (MIS).
    - العلوم المالية والمصرفية.
    - المحاسبة.
    - نظم المعلومات المحاسبية (AIS).
  - تم إيقاف العمل ببرنامج الشهادة الجامعية المتوسطة (الدبلوم) اعتباراً من الفصل الدراسي الثاني للعام 2012/2013.
  - طموحات ومشروعات
  - تطوير قاعدة البيانات (السيرفر) وزيادة سرعة الإنترنت.
  - تحديث مباني الكلية وساحاتها ومرافقها المختلفة وصيانتها.
  - تطوير الخطط الدراسية للتخصصات الأكاديمية لبرنامج البكالوريوس.
  - تطوير مختبرات الحاسوب الموجودة.
  - عقد دورات تدريبية متخصصة لطلبة الكلية وأساتذتها وإدارييها وأبناء المجتمع المحلي.
  - السعي لاستقطاب طلبة الدول العربية الشقيقة.
  - السعي لتنظيم معرض سنوي دائم للوظائف.
  - إنشاء مكتب خاص يعنى بأمور الطلبة الوافدين ومتابعة شؤونهم.
- نقبض اليوم على قلوبنا لكي يستمر عطاؤها، ويبقى ألقها نبزاً وحاديًا وملهمًا ودافعًا  
ومحفزًا للعطاء والإنجاز في بلدنا الذي يؤكد دائماً على أن الإنسان الأردني هو ثروة الوطن

وعدّته وعتاده ومستقبله المشرق. وأن تطوّر الأردن واستمرار ازدهاره مرتبط بهذه القيمة والبناء على هذا النهج في الزمان والمكان.

حمى الله الأردن بقيادته الهاشمية الملهمة، وحفظ حادي ركبته جلاله الملك عبد الله الثاني بن الحسين المعظم راعي نهضته العلمية المباركة، وأدامكم جميعاً فرساناً للتغيير وأملًا للمستقبل.

## دراسات في تاريخ اليمن المعاصر<sup>(1)</sup>

صدر الكتاب عن دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، وتضمن مقدمة وست دراسات مختارة عن تاريخ اليمن. جاء في مقدمته موجز عن إشكالية الإقدام على دراسة التاريخ الحديث والمعاصر، أو الابتعاد عنها، إذ كانت وما زالت موضع نقاش وجدل بين الكثيرين من دارسي التاريخ؛ ذلك أن التاريخ الحديث أو المعاصر قريب إلى نفس المؤرخ أو محيطه أو بيئته، وبالتالي فهو مؤثر ومتأثر فيها سلباً أو إيجاباً. وبالمقابل هناك وجهة نظر معتبرة لدى العديدين منهم مفادها أن المؤرخ لا بُدَّ أن يدلي بدلوه في المواضيع المعاصرة؛ لأن يعيش حيس التاريخ البعيد منشغلاً به أو متوارياً من خلاله عن العصر والأحداث. وأول هذه المواضيع دراسة حول الشخصية الرئيسة التي واكبت الأحداث وأثرت وتأثرت بها؛ فقد قَدِّمَتْ دراسة حول الإمام يحيى حميد الدين، نشأته، وتعليمه، وعلمه، ومواقفه على الصعيد الداخلي اليمني، ثم مواقفه من مطامع الدول الكبرى التي كانت تحوم حول اليمن كطيور جارحة.

وبينت جهاده ضد الأتراك العثمانيين مع والده، ثم اختياره إماماً بعد وفاة والده؛ واتفاقه مع الأتراك المسمى اتفاق دعان 1911، ثم توسعه السلمي في السيطرة على أجزاء من اليمن حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وتسليم الجنود الأتراك بعد هدنة مودرس 1918م إلى الإمام يحيى وإفادته منهم. وتوسعه في توحيد أجزاء من اليمن تحت سيطرته من خلال إصراره على وحدة الأراضي اليمنية.

(1) عرض لكتاب: دراسات في تاريخ اليمن المعاصر.

وقد ناقشت كذلك الأوضاع الداخلية في اليمن، الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، قبيل وأثناء تولي الإمام يحيى مقاليد الإمامة. ثم تعرضت إلى الوضع الدولي والتنافس التجاري الدولي على الموانئ اليمنية.

وتضمن الكتاب شهادات معاصرة لمسؤولين أمريكيين حصل المؤلف عليها من الوثائق الأمريكية المحفوظة في الأرشيف الوطني الأمريكي، وتُرجمت للعربية مع بعض الإيضاحات الضرورية. وهذه الوثائق تنشر للمرة الأولى، وتتضمن وثيقة هي رسالة مطولة كتبها نائب القنصل الأمريكي في عدن جيمس لودر بارك لوزارة الخارجية الأمريكية في العام 1926م وعنوانها: «تجارة الأسلحة الأمريكية مع اليمن»، ونصها بالإنجليزية في ثمانٍ وثلاثين صفحة كتب فيها بارك ملاحظاته وانطباعاته عن اليمن والإمام يحيى خلال هذه الفترة، ومحاولاته ومحاولات أمريكيين آخرين دخول السوق اليمني. وناقش الموقف البريطاني والإيطالي والسوفييتي من هذه المحاولات، كما ناقش من خلال الوثيقة مدى شرعية طلبات الإمام يحيى من الأسلحة الأمريكية والمواقف الدولية والمحلية من ذلك.

وتضمن الكتاب أيضاً ترجمة لمقالات معاصرة لفترة الدراسة كتبت بالإنجليزية من قبل دبلوماسيين مميزين، الأول: هارولد جاكوب المستشرق البريطاني، وضابط مخبرات الخدمة المدنية في عدن، والمقال المعنون «مملكة اليمن: مكانتها في المعاملة الدولية»، هو نص محاضرة قدمها جاكوب أمام جمعية جرويتس في العام 1932، وتضمنت معلومات هامة عن البلاد اليمنية وأوضاعها الداخلية والوجود البريطاني في عدن والتدخلات الدولية، ورؤيته لمستقبل المنطقة، وموقف كل من وزارة المستعمرات وحكومة الهند البريطانييتين من التطورات السياسية والعسكرية في المنطقة العربية بشكل عام.

أما الثاني فهو هارلن كلارك الدبلوماسي الأمريكي الذي شغل منصب القنصل الأمريكي في عدن بين عامي 1944 و1945م، والمقال بعنوان: «اليمن، جنوبي جبال الجزيرة العربية، أرض العجائب». وتتضمن المقال وصفاً دقيقاً لزيارته الأولى لليمن مع

وفد أمريكي ومقابلاته مع الإمام يحيى وسيف الإسلام الأمير أحمد، ولي العهد آنذاك، وخلاصة عن زيارات الأمريكيين الذين سبقوه لليمن، وتضمن المقال معلومات هامة عن اليمن خلال هذه الفترة: اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وعن نظام التعليم في اليمن، والطبيعة والعمران، وعن المشاريع الأمريكية في اليمن قبل زيارته.

وتضمن الكتاب أيضاً بحثاً عن تعز في النصف الأول من القرن العشرين، حاول أن يرسم تصوّرًا لمدينة تعز في هذه الفترة المتقلبة والمضطربة من تاريخ اليمن والجزيرة العربية. تناول فيها البحث أوضاع هذه المدينة السياسية والإدارية في العهد العثماني المتأخر وعهد الإمام يحيى إلى أن أصبحت مقرّاً للإمام أحمد بن يحيى حميد الدين وعاصمة لليمن خلال السنوات الثلاث الأخيرة من فترة الدراسة.

والبحث الأخير دراسة وثائقية عن الموقف الأمريكي من انقلاب عبد الله الوزير على الإمام يحيى حميد الدين؛ الذي كان قد عقد معاهدة مع الولايات المتحدة قبل نحو عام من الانقلاب عليه. رصدت الدراسة موقف الولايات المتحدة من الإمام يحيى ومن اليمن من خلال الوثائق الأمريكية.

تجدر الإشارة إلى الدكتور الجباريات سبق أن نشر دراسة هامة عن العلاقات اليمنية الأمريكية (1904-1948) نشرت في بيروت 2008، وله العديد من المشاركات البحثية، وشارك في عدة مؤتمرات دولية حول تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر وعلاقتها الدولية، فضلاً عن مساهماته في الكتابة للمجلات والصحف وحضوره الإعلامي.

## فهرس المحتويات

7	مقدمة.....
9	نقوش في ذاكرة المكان ومقاربة بين زمانين.....
14	الحوثيون في اليمن: بين الاجتهاد الديني والممارسة السياسية.....
31	النساء الفقيهات في مكة خلال القرن التاسع الهجري.....
47	وَقْفُهُ مع العلامة العُزيري في كتابه «تطور حقوق الإنسان».....
50	مشروع نهوض يمنع سايكس بيكو.....
74	المغالاة في التفسيرات ومداواة الجراح!.. المتعاطفون مع الإرهاب.....
77	في ذكرى معركة الكرامة.....
85	الاعتراب في المجتمعات المعاصرة.. في المصطلح ومظاهره.....
91	خصائص التربية والتعليم وظروفها في فجر الإسلام.....
94	«فرسان التغيير والانتخابات النيابية».....
108	سبر أغوار الحضارة الإسلامية بمنهج تاريخي تحليلي.....
112	دور المسجد في التجربة التاريخية الإسلامية.....
117	محطات في تاريخ اليمن المعاصر.....
130	أهمية وضرورة المعرفة التاريخية.. السخاوي في الإعلان بالتوبيخ نموذجًا.....
138	تاريخ اليمن الحديث والمعاصر.....
143	في فلسفة التأريخ.....
147	جهود الباحثين واهتمامهم بمعاهد العلم في بيت المقدس.. «كامل العسلي أمودجًا».....
163	مناهج التربية الوطنية والمدنية.. (من الصف الخامس إلى العاشر).....
172	المسلمون في الصين.. قراءة في الأحداث الأخيرة.....

كلية عمان الجامعية أقدم معهد للتعليم العالي في الأردن.. بين الماضي المجيد والحاضر الزاهر....194

دراسات في تاريخ اليمن المعاصر.....202



